الفصل الثالث

(الإعجاز فى ضوء علم المعانى)

obeikandl.com

الفصل الثالث

(الإعجاز فى ضوء علم المعانى)

تمهيد :

١) تعريف العلم .
٢) موضوع العلم .
٣) ثمرة العلم .

وستة مباحث :

المبحث الأول : الأثر الدلالى للغة .

أولاً :الدلالة المعجمية .

ثانياً : الدلالة الصرفية .

أ) معانى الأفعال .
ب) دلالة الفعل المبنى لغير فاعله .
ج) دلالة التفضيل .
د) أوصاف الفاعل .
١) دلالات اسم الفاعل .
٢) دلالات صيغ المبالغة .
٣) دلالات الصفة المشبهة .
هـ) دلالات المصدر المؤول .

ثالثاً : الدلالة الصوتية .

رابعاً : الدلالة النحوية (أثر دلالات الإضافة وقطعها) .

المبحث الثانى : دلالات الأساليب الخبرية .

المبحث الثالث : من دلالات الأساليب الإنشائية .

أولاً : الأمر .

ثانياً : النهى .

obeikandl.com

ثالثاً : الاستفهام .

رابعاً : التمنى .

خامساً : النداء

سادساً : الخبر بمعنى الإنشاء .

المبحث الرابع : دلالات الحصر والتخصيص ، والإطلاق والتقييد .

أولاً : دلالات الحصر والتخصيص .

ثانياً : دلالات الإطلاق والتقييد .

المبحث الخامس : دلالات العموم

المبحث السادس : دلالات الإيجاز والإطناب .

أولاً : دلالات الإيجاز .

ثانياً : دلالات الإطناب .

obeikandl.com

تمهيـــــد

(١) تعريفه :

علم المعانى : أصول وقواعد يُعرَف بها أحوال الكلام العربى التى يكون بها مطابقًا لمقتضى الحال ، بحيث يكون وفق الغرض الذى سيق له . فذكاء المُخاطَب حالٌ تقتضى إيجاز القول ، فإذا أوجزت فى خطابه ، كان كلامك مطابقًا لمقتضى الحال ، وغباوته حالٌ تقتضى الإطناب والإطالة ، فإذا جاء كلامك فى مخاطبته مطنبًا ، فهو مطابق لمقتضى الحال ، ويكون كلامك فى الحالين بليغًا، ولو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة . [١]

تعريف ابن خلدون :

قال ابن خلدون – رحمه الله – : علم البيان [٢]، هذا العلم حادث فى الملة بعد علم العربية واللغة ، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ ، وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعانى ، وذلك أن الأمور التى يقصد المتكلم بها إفادة السامع مع كلامه هى : إما تصور مفردات تسند ويسند إليها ويفضى بعضها إلى بعض ، والدالة على هذه المفردات من الأسماء والأفعال والحروف ، وإما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة ، ويدل عليها بتغيير الحركات وهو الإعراب وأبنية الكلمات ، وهذه كلها هى صناعة النحو .

ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل ، وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة . [٣]

*** ويرى الدكتور حسن طبل أن علم المعانى :**

هو أحد علوم البلاغة الثلاثة ، ووظيفته هى النظر فى الأسلوب الفنى من حيث بناؤه النحوى ، أى: من حيث ترتيب عناصره ، والعلاقات الخاصة الماثلة بينها فى هذا الترتيب والكيفيات ، أو الأحوال (النحوية) التى تتعاورها من تعريف أو تنكير أو ذكر أو حذف أو فصل أو وصل

---

(١) الهاشمى – جواهر البلاغة – دار ابن الجوزى – ٢٠١٠ م – ص (٣٤) .

(٢) يعنى – رحمه الله – علم المعانى ، ولعله مصطلح خاص به ، إذ إن (البيان) كان يقصد به علم البلاغة عموماً ، فمن ذلك قول ابن الأثير (ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه؛ فمنهم من ألحقه بالتطويل الذي هو ضد الإيجاز) انظر : المثل السائر (١١٩/٢) .

(٣) ابن خلدون – المقدمة – ص (٥١٩)

أو تقييد أو إطلاق أو ما إلى ذلك من أحوال وكيفيّات . [١]

* تعريف السكاكى :

يقول السكاكى : اعلم أن المعانى هو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره . [٢]

تعريف ابن الناظم : هو تتبع خواص تراكيب الكلام ، وقيود دلالته ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما تقتضى الحال ذكره . [٣] .

(قلت): والملاحظ أن هذا التعريف هو عين تعريف السكاكى ، وفى ذلك تأكيدٌ لما أكده الدكتور حسنى عبد الجليل محقق كتاب المصباح بقوله : ذكر الدارسون أن كتاب المصباح هو اختصار للجزء الثانى من كتاب المفتاح لأبى يعقوب السكاكى ، ومن هؤلاء (كارل بروكلمان) ، (والدكتور رمضان شيس) ، وهو ما ذكره (الدكتور شوقى ضيف) فى كتابه (البلاغة تطور وتاريخ) . إلى أن قال : ومع اعترافنا بأن المصدر الأساسى للمصباح هو مفتاح العلوم للسكاكى ، فإننا نجد بدر الدين بن مالك يتوسع فى الاستشهاد بالشعر توسعاً يفوق السكاكى ، كما نجده يستخدم شواهد لم يستخدمها السكاكى . [٤]

* تعريف آخر :

علم المعانى هو علم يعرف به مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، والمطابقة لا تعتبر إلا بعد الفصاحة ، ومما تتوقف عليه الفصاحة الخلو من التعقيد اللفظى . [٥]

تعريف آخر :

---

(١) د. حسن طبل – دراسات فى علمى المعانى والبديع – مكتبة الزهراء – القاهرة – ١٩٩٥ م – ص(٣) بتصرف .

(٢) السكاكى – مفتاح العلوم – ضبطه وكتب هوامشه : نعيم زرزور . دار الكتب العلمية . بيروت . ط٢: ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م . (١/ ١٦١) .

(٣) ابن الناظم . المصباح . تحقيق : د. حسنى عبد الجليل . مكتبة الآداب . مصر . د. ت . (٢٤)

(٤) ابن الناظم . المصباح . مقدمة المحقق . ص(ل ، م) .

(٥) د. أحمد محمد خليفة و عبد الحكيم حسن نعناع – مفتاح البلاغة . دار الجمهورية . مصر . د. ت . ص (١٣٦)

علم المعانى علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى يطابق بها مقتضى الحال ، فتختلف صور الكلام لاختلاف الأحوال . [١]

<u>تعريف العلاّمة ابن عاشور</u> :

المعانى علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يكون بليغًا فصيحًا فى أفراده وتركيبه. [٢]

<u>مما سبق</u> : نستنتج أن علم المعانى قسيم علم النحو ، فهو العلم الذى يتعدى الناحية الشكلية لعلم النحو ، ويتبعه ليعطى الجملة النحوية دلالتها ومعناها ، ولكن ثَمَّ مرحلة استباقية انتقائية ، تسبق هاتين المرحلتين المتلازمتين ، ألا وهى اختيار اللفظة السليمة الخالية من عيوب الفصاحة ، فاللفظة الفصيحة بمثابة اللبنة القوية ، التى لا يروق لأحدٍ أن ينظر إليها إلا وقد انتظمت مع أختها فى جدار بطريقة متسقة متناسقة ، لا شذوذ فيها ولا تغاير ولا تنافر ، فإذا حدث ذلك ، يلزم عنه أن ترى للجدار صورة جمالية بديعة ، يزداد بهاؤها و تزداد روعتها كلما أحكم الصانع صنعته ونأى بها عن التنافر والنشوز ، فما أروعَ هذا البناءَ الذى يَظْهَر جمالُه وروعتُه فضلاً عن كونه ستراً وجُنّةً لأصحابه .

وكذلك الأمر بالنسبة للغة ومعانيها ، فحرىٌّ بأرباب الفصاحة أن ينتقوا اللفظة الفصيحة ، ويضعوها فى إطارها النحوى الصحيح ، حتى ينتج عن ذلك اللغة الجمالية التى هى أخص من مجرد الإفهام والتخاطب ، ولا يتأتَّى ذلك إلا بمراعاة الدلالات الصوتية والصرفية والنحوية مجتمعة وغيرها ، فالألفاظ المفردة مهما بلغت فى الحسن مبلغًا ، لا يحكم لها بفصاحة ، ولا تظهر مدلولاتها الإيحائية إلا إذا انتظمت مع غيرها ، بل هى نفسها قد يحكم عليها فى مقام آخر بعدم الفصاحة ، لكونها لا تصلح لمراعاة حال المخاطب .

وهذا المعنى قرّره إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجانى – رحمه الله – إذ يقول :

وهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعانى جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها ؟

---

(١) حفنى ناصف – سلطان محمد – محمد دياب – مصطفى طموم – دروس البلاغة – شرح محمد بن صالح العثيمين – مكتبة الهدى المحمدى – مصر – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م – ص (٢٣)

(٢) ابن عاشور – موجز البلاغة – المطبعة التونسية – نهج سوق البلاط – تونس – د . ت – (٦)

obeikandi.com

وهل قالوا : لفظة متمكنة ومقبولة ، وفى خلافه : قلقة ونابية ، ومستكرهة ، إلا وغرضهم أن يُعبِّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها ، وبالقلق والنبوِّ عن سوء التلاؤم ، وأن الأولى لم تلتقِ بالثانية فى معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفقاً للتالية فى مؤدَّاها ، وهل تشك إذا فكرت فى قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود/٤٤] فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذى ترى وتسمع ، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة ، إلا لأمرٍ يرجع إلى ارتباط هذه الكَلم بعضها ببعض ، وأنه لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة وهكذا ، إلا أن تستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تَنَاتُج ما بينها ، وحَصُلَ من مجموعها . [١]

(٢) موضوعه :

هو اللفظ العربى من حيث إفادته المعانى الثوانى [٢] التى هى الأغراض المقصودة للمتكلم ، من جَعْلِ الكلام مشتملًا على تلك اللطائف والخصوصيات ، التى بها يطابق مقتضى الحال .[٣]

(٣) ثمرته :

(أ) معرفة إعجاز القرآن الكريم ، من جهة ما خصه الله به من جودة السبك ، وحسن الوصف ، وبراعة التراكيب ، ولُطف الإيجاز ، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب ، وجزالة كلماته ، وعذوبة ألفاظه وسلامته ، إلى غير ذلك من محاسنه التى أقعدت العرب عن مناهضته ، وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته .

(ب) والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة فى منثور العرب ومنظومه ، كى تحتذىَ حذوه ، وتنسجَ على منواله ، وتَفْرِقَ بين جيد الكلام ورديئه . [٤]

---

(١) الجُرجانى – دلائل الإعجاز – دار القلم للتراث – مصر – د. ت – (٤٣-٤٤) – وانظر : د. مختار عطية – علم المعانى – (١١) .

(٢) وهى قسيمة المعنى الأصلى أو الأول ، الذى هو أصل وضع المعنى .

(٣) الهاشمى – جواهر البلاغة – (٣٤)

(٤) نفسه – (٣٤ -٣٥)

المبحث الأول : الأثرالدلالى للغة

أولاً : الدلالة المعجمية

لفظة سورة القصص (تِلْك) (القصص /٢ – ٤٢)

اللفظة المقابلة (هذه)

الفرق بين اللفظين

ذِهْ – ذي – تي – تا ، أسماء إشارة للمؤنث وهذه الأربعة مقتصرة هى المؤنث ، كما قال ابن مالك– رحمه الله– :

بذا لمفردٍ مذكرٍ أَشِرْ ❖ بذي وذِهْ تي تا على الأنثى اقتصر[1] .

والفرق أن اللفظ (تلك) دخلت عليه لام وكاف ، وهما للبعد ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، والكاف حرف خطاب وليس ضميراً للمخاطب ، ولذلك فإنه لا يعرب مضافاً إليه [2] ، وبتتبع الآيات التي جاء فيها اسم الإشارة (هذه) وجدت أنها للقريب ، وأقصد القرب المكاني الحسي أو القرب المعنوى بدلالته البلاغية ، وبتتبع الآيات التي جاء بها اسم الإشارة (تلك) – وهي آيات كثيرة أكتفي بالإشارة إلى أنها (٤٥) آية – وجدت أنها جميعها للإشارة للبعد الحسي أو المعنوى ، كعلو القدرة أو الشأن ونحوهما ، إلا موضعاً واحداً في سورة طه آثرت أن أشير إليه في الملاحظات

الملاحظات

قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [طه/١٧]

أشار الله عز وجل إلى العصا بإشارة البعيد ، بالرغم من أن العصا بيد موسى عليه السلام فانتقي عنها البعد المكاني ، وأيضاً لا نستطيع أن نقول بأن العصا ذات قيمة جمالية ومادية عالية لنشير إليها بالبعد المعنوى الذي يساوى علو القدر ، ذلك لأن رسل الله عليهم السلام كانوا مجبولين على التواضع واقتناء مثل هذه الأشياء الفارهة ليس من سماتهم والجواب : إنه ربما أشير إليها بالبعيد ، لعظم قدرها من جهة أنها عون لموسى عليه السلام في فعل الخيرات والمنافع وهذا ما قرره موسى عليه السلام فى قوله :

---

(1) ابن مالك . ألفية ابن مالك . مكتبة السنة . القاهرة . ط٢: ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٣ م . البيت رقم (٨٢) .

(2) ابن عثيمين – شرح الألفية . دار ابن الجوزى . القاهرة . ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م . ص(١٤٧) .

obeikandl.com

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ [طه/ ١٨]

لفظة سورة القصص : (نتلو) (القصص/٣)

اللفظة المرادفة:

لتقرأه

(الإسراء/١٠٦)

اقرأ

(الإسراء/١٤

(العلق ١/٣)

قرأ

(النحل/٩٨)

(الإسراء/٤٥)

(الشعراء/١٩٩)

(القيامة/١٨)

قُرئ

(الأعراف/٢٠٤)

اقرؤوا

(الحاقة/١٩)

(المزمل/٢٠)

جاء في معجم الفروق اللغوية أن التلاوة لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً ، والقراءة تكون للكلمة الواحدة ، يقال: قرأ فلانٌ اسمه ، ولا يقال : تلا اسمه ، وذلك أن أصل التلاوة إتباع الشيءِ الشيءِ ، يقال : تلاه إذا تبعه ، فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضاً ، ولا تكون في الكلمة الواحدة إذ لا يصح فيه التلو[1]

قال الراغب في مفرداته:

([1]) أبو هلال العسكري – معجم الفروق اللغوية – تحقيق : الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي . طبعة مؤسسة النشر – ١٤١٢هـ – الفرق بين التلاوة والقراءة ص(١/١٤٠).

obeikandl.com

والتلاوة تختص بإتباع كتب الله المنزلة تارةً بالقراءة وتارةً بالارتسام لما فيها من أمر ونهى ، وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك وهو أخص من القراءة ، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة ، لا يقال : تلوت رِقعتك ، وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتباعه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنفال/٣١)

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (العنكبوت/ ٥١)

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (يونس/١٦)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الأنفال/٢)

فهذا بالقراءة وكذلك : ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الكهف /٢٧)

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۖ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المائدة/٢٧)

﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الصافات/٣)

وأما قوله : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة/١٢١) فإتباع له بالعلم والعمل ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾ (آل عمران: ٥٨) أى : نُنَزِّلُهُ ، وقوله : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ (البقرة / ١٠٢) ، واستعمل فيه لفظ التلاوة لما كان يَزْعُمُ الشيطان أن ما يتلونه من كتب الله [1]

وقيل : إن معنى تتلو : تكذب

قال أبو مسلم : تلا عليه إذا كذب

فاليهود لما ادّعوا أن سليمان وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان

([1]) الراغب الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن – مادة (تلا) ص(٨٢) – وانظر : معجم مقاييس اللغة .

قال الطبرسي : الفرق بين القراءة والتلاوة أن أصل القراءة جمع الحروف [1].

الملاحظات

١. بتتبع ألفاظ التلاوة في الكتاب العزيز نلاحظ أنها أتت في الصور التالية :

(أتلو) (النمل/٩٢) – (الكهف/٨٣)

(اتلُ) (المائدة/٢٧) – (الأعراف/١٧٥) (يونس/٧١) – (الكهف/٢٧) – (الشعراء/٦٩) – (العنكبوت/٤٥)

(نتلو) (البقرة/٢٥٢) – (آل عمران/٥٨) –(آل عمران/١٠٨) – (القصص/٣) – (الجاثية/٦)

(يتلو) (البقرة/١١٣/ ١٢١/١٢٩/١٥١) (آل عمران / ١١٣/١٦٤) – (هود/١٧) – (الحج/٧٢) – (القصص/٥٩) – (فاطر/٢٩) – (الزمر/٧١) – (الجمعة/٢) – (الطلاق/١١)– (البينة/٢)

(يُتْلَى) (النساء/١٢٧) – (المائدة/١) – (الإسراء/١٠٧) – (الحج/٣٠) – (القصص/٥٣) – (العنكبوت/٥١) – (الأحزاب/٣٤)

(تُتْلى) (آل عمران/١٠١) – (الأنفال/٣١) – (يونس/١٥) – (مريم/٥٨/٧٣) – (الحج/٧٢) – (المؤمنون/٦٦/١٠٥) – (لقمان/٧) – (سبأ/٤٣) – (الجاثية/٨/٢٥/٣١) – (الأحقاف/٧) – (القلم/١٥) – (المطففين/١٣)

(تلْوتُ) (يونس/١٦) (التاليات) (الصافات/٣)

(تلاوة) (البقرة/١٢١)

٢. بتتبع ألفاظ القراءة وجدت أنها كما أشرت إليها في موضعها .

٣. أن ألفاظ التلاوة مع اختلاف صيغها تأتي إما لتلاوة القرآن أو الكتاب أو الوحي وإما لتلاوة نبأ أي قصة أو خبر

٤. أن لفظة القراءة جاءت في التنزيل في الآيات المشار إليها بمعنى قريب جداً من معنى التلاوة وهذا يخالف ما أورده أبو هلال العسكرى – والأصفهاني – وابن فارس وغيرهم ، بيد أن الذي يجعلنا نجزم بالفوارق التي أثبتها العلماء القاعدة التي تقرر أن الخلاف في المبنى

([1]) أبو هلال لعسكرى – معجم الفروق اللغوية – الفرق بين التلاوة والقراءة – ص (١/١٤٠-١٤١)

obeikandi.com

خلاف في المعنى ، وعليه يبقى الإشكال قائماً في توجيه معنى الآيات على أساس اختلاف معنى المترادفين.

لذلك

أقول – والله أعلم – إن الذي يبدو لى أن ألفاظ القراءة جاءت في مقام التدبر مع الاستماع لـه والإصغاء قال تعالى :﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (الأعراف/٢٠٤) ، وأيضاً في مقام التيسير على القارئ قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ، وأيضاً في مقام التمهل كما فى قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء/١٠٦) ، وأيضاً في مقام التخفيف ولو بآية وذلك في بداية نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في الغار قال تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ (العلق/٣/١) ، وأيضاً في حال الشروع في القراءة وهذا مقام الغالب فيه أنه يبدأ بهدوء وتخفيف قال تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (النحل/٩٨) ، وشبيه بذلك أيضاً وعد الله

-جل وعلا- لمن شرع في القراءة بأنه محفوظ مستور من كل أشر كفور لا يؤمن بالآخرة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (الإسراء/٤٥) ، وأيضاً جاءت القراءة في مقام القراءة والتباهي بالعربية ، ولو فرض أن يقرأه الأعجمي ما آمن به المشركون ، ومعلوم من دلالة التلازم أن قراءة الأعجمي لابد أن تكون على مهل حتى يفُهمهم ويعقلون عنه ، قال تعالى :﴿ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الشعراء/١٩٩) ، وجاءت أيضاً القراءة في مقام المتتبع للقراءة الذي يتلقف الحرف من فِيِّ القارئ ليردده ، ومعلوم أن هذا المقام أيضاً لابد فيه من التمهل والتؤدة لأنه مقام تعليم ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ (القيامة: ١٨) ، وجاءت أيضاً القراءة مع غير القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الإسراء/١٤) ومعلومٌ أن هذا مقام المتحسر الذي يعيد النظر في الكلمة من كتابه ألف مرة

، وعلّه يجد لنفسه مخرجاً ، وعلى النقيض منه جاء قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾ (الحاقة/١٩) يصور لنا أحد الفائزين في عرصات يوم القيامة ، وهو يتباهى بصحيفة أعماله ، ويريد من أحبابه أن يقرؤوها معه ، ولاشك أن هذا المقام يجعله يقف أمام الكلمة لايكاد يتعداها لغيرها من شده فرحه بها ، وكأنه يستحضر بذلك استنطاق ذكريات الطاعة، واستعذاب البلاء فى الله ، فيما خلا من عمره .

والنتيجة

أنه كما سبق من تقييد العلماء لمعنى القراءة من عدم التوالى والتتابع ، فإن القراءة ربما تأتي في مواضع التدبر أو التحسر أو التعليم أو التعلم أو الشروع في التلاوة أو مقامات التخفيف، وكل هذا لا يحتاج إلى التوالى والتتابع وهذا يوافق سياق الآيات ، وهو ما ذهب إليه كوكبةُ العلماء .

لفظة سورة القصص:

نبأ (القصص/٣)

اللفظة المقترحة:

خبر

الفرق بين اللفظين

١. النبأ لايكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المُخْبَر ، ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه ، ولهذا يقال : تخبرني عن نفسى ، ولا يقال تنبئنى عن نفسى وفي القرآن : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الأنعام/٥) ، وإنما استهزءوا به ، لأنهم لم يعلموا حقيقته ، ولو علموا ذلك لتوقوه ، يعنى العذاب ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (هود/١٠٠) ، وكان النبي – ﷺ – لا يعرف شيئاً عنها وقتئذٍ .

٢. النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وهذا قول الراغب في مفرداته ، وقال على بن عيسى : في النبأ معنى عظيم الشأن ، كذلك أخذ منه صفة النبي ﷺ.

٣. حقُّ الخبر الذى يقال فيه : (نبأ) أن يتعرى عن الكذب ، كالتواتر المأخوذ من خبر الله – تعالى– ، وخبر رسوله ﷺ .

٤. قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الأنعام/٥) : أنباؤه : تأويله

٥– قال أبو هلال : و الإنباء عن الشيء أيضاً قد يكون بغير حمل النبأ عنه ، تقول : هذا الأمر ينبئ بكذا ، ولا نقول : يخبر بكذا ، لأن الإخبار لا يكون إلا بحمل الخبر[1]

ملاحظات

قال بعض الباحثين: النبأ : مستعمل فى الإنباء عن الأخبار البعيدة زماناً ومكاناً فيستعمل النبأ فيما مضى .

أما الخبر والإخبار :

فيستعملان فى الكشف عن الوقائع القريبة العهد أو التى لا تزال ماثلة للناظرين [2].

ولكننى لم أقف على هذا القول ، وأيضاً قد ينقضه قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النبأ:١]

ومعلوم أنه نبأ مستقبلى بدليل قوله بعدها : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النبأ:٤.٥]

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الشعراء:٦]

وقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنعام:٥]

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النمل / ٢٢)

---

(1) أبو هلال العسكري – الفروق اللغوية – المكتبة التوفيقية – القاهرة – د. ت .
ص (٣٧–٣٨) . وانظر: الراغب الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن – مادة (نبأ) ص(٤٨٢) .

(2) انظر : هانى سعد غنيم . أسرار لغوية ودلالات لفظية من الآيات القرآنية . مكتبة الإيمان . المنصورة . ط٢ : ٢٠١٠م . ص (١٨٤)

(قلت) :

والذى أراه أن النبأ : هو الخبر الصادق ذو الفائدة العظيمة ، والذى لم يعلمه المتلقى من قبل ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (يوسف: ٣٧) ، لكن قد يُشْكِل علينا هذا المعنى فى آيتين كريمتين .

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة:٣٣]

الجواب

إن الإنباء لم يكن لكل مَلَك باسمه، ولكن كان بذكر أسماء كل شىء ، وهذا لاشك لم تعلمه الملائكة ، وهذا الإخبار بهذا الاعتبار إنباء ولا إشكال إذن مع ما ذكرناه ، وهو ما تؤيده الفاصلة التى جمعت علم ما بدا وما خفى لله وحده ، الذى أنبأ آدم ابتداءً بما لم يعلمه من قبل ، فقوله :" أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ " [البقرة:٣٣] شبيه بقوله : ﴿ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة: ٥٤) ، وليس المعنى أن كل رجل يقتل نفسه ، وكذلك فإنباؤه بأسمائهم كان على الجملة ، وهو ما تؤيده أقوال المفسرين ، قال ابن كثير فى تفسيره ، قال زيد بن أسلم ، قال : أنت ميكائيل، أنت جبرائيل ، أنت إسرافيل، حتى عَدَّدَ الأسماء كلها ، حتى بلغ الغراب، وقال مجاهد فى قوله الله :

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ قال : اسم الحمامة، والغراب ، واسم كل شىء [١].

وقال السعدى : أى : أسماء المسميات التى عرضها الله على الملائكة فعجزوا عنها . [٢] .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران/٤٩] ، ومعلوم أن المرء يعلم ما يأكله وما يدخره

والجواب من وجهين

الوجه الأول : إن إخباره لهم كان عن المستقبل ، وهو بذلك عين الإنباء ، وأكدّ هذا الوجه القرطبى فى تفسيره إذ يقول: أى : بالذى تأكلونه، وما تدخرون ، وذلك أنهم لما أحيا لهم

---

(١) انظر : ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . (١ / ٧٤) .

(٢) السعدى . تفسير السعدى . (١ / ٣١) .

الموتى طلبوا منه آية أخرى ، وقالوا : أخبرنا بما نأكل فى بيوتنا وما ندخر للغد ، فأخبرهم ، فقال : يا فلان أنت أكلت كذا وكذا ، وأنت أكلت كذا وكذا، وادّخرت كذا وكذا، فذلك قوله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم ﴾ [1] ، ولا شك أن معنى الإنباء أقوى من معنى الإخبار، وهو أقرب لوجه الإعجاز فى الآية .

الوجه الثانى : لو انتقض الجواب الأول بأن المصدر المؤول قد يكون للماضى ، نقول: إن الإنباء لم يكن لواحد بعينه ، بل لهم مجتمعين، فيكون ما أعلمه عن نفسى لا يعلمه عنى غيرى ، ويكون إخبارهم مجتمعين هو إنباء بالجملة، وهو ما أكدّه القرطبى والرازى وابن كثير فى تفسيراتهم ، أنه . عليه السلام . كان يخبرهم مجتمعين [2].

لفظة القصص:

علا (القصص/٤)

اللفظة المرادفة : طغى (طه /٢٤ /٤٣/٤٥) - (النجم/٥٢/١٧) - (الحاقة/١١) (النازعات/٣٧/١٧) - (العلق/٦)

طغيان

(البقرة/١٥) -(المائدة/٦٤/٦٨) - (الأنعام/١١٠) - (الأعراف/١٨٦) (يونس/١١) - (الإسراء/٦٠) - (الكهف/٨٠)- (المؤمنون/٧٥)

الطاغوت

(البقرة/٢٥٦/٢٥٧) -(النساء/٥١/٦٠/٧٦) - (المائدة/٦٠)- (النحل/٣٦) (الزمر/١٧)

طاغون أو طاغين

(الصافات/٣٠) - (ص/٥٥) - (الذاريات/٥٣)- (الطور/٣٢)- (القلم/٣١) - (الحاقة/٥)- (النبأ/٢٢)

الفرق بين اللفظين

---

(1) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . تحقيق : أحمد البردونى . وإبراهيم أطفيش . دار الكتب المصرية . القاهرة ط ٢ : ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م . (٤/ ٩٥) .

(2) السابق . (٤/ ٩٥) .

obeikandi.com

(العلو) : يأتى معنى العظمة والتجبر، وهذا فى حق الله . عز وجل . صفة كمال، وفى حق غيره صفة ظلم ونقص، ويأتى أيضاً بمعنى الشرف والرفعة، كأن أقول : فلان عالى الكعب فى العلم أو النسب ، أى : شريف رفيع القدر .

قال أحمد بن فارس فى معجمه مقاييس اللغة فى مادة (علو) ، قال الخليل : أصل هذا البناء العُلُوّ، فأمّا العلاء : فالرفعة ، وأما العُلُوُّ: فالعظمة والتجبر، يقولون : علا الملِكُ فى الأرض علواً كبيراً، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص/٤]

ويقولون : رجلٌ عالى الكعب : أى : شريف.[1]

(طغى)

الطغيان : مجاوزة الحد فى المكروه مع غلبة وقهر، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ [الحاقة/١١] ، الآية يقال : طغى الماء إذا جاوز الحد فى الظلم [2].

قال ابن فارس : والطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد فى العصيان، يقال : هو طاغٍ ، وطغى السيل: إذا جاء بماء كثير ، قال تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ [الحاقة:١١] يريد . والله أعلم . خروجه عن المقدار، وطغى البحر : هاجت أمواجه، وطغى الدم : تبيّغ، قال الخليل: الطُّغيان والطُّغْوان لغةٌ، والفعل طَغَيْتُ وطَغَوْتُ،ومما شذ عن هذا الأصل قولهم : إن الطَّغيَةَ : الصَّفَاةُ الملساء [3].

قلت : والذى يظهر لى ابتداءً . والله أعلم . أن العلو بداية التجبر والفساد ، والطغيان منتهاه ، ولكن يبقى هنا إشكال

لماذا عبر الله . عز وجل . عن فساد فرعون فى سورة القصص (بالعلو فى حين عبّر عنه (بالطغيان) فى مواضع أخرى ؟

---

(1) ابن فارس . مقاييس اللغة . تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون . دار الفكر . بيروت . ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م . باب العين واللام وما يثلثهما مادة (علو) . (٤/ ١١٣) .

(2) أبو هلال العسكرى . الفروق اللغوية . الفرق بين الطغيان والعتو ص (٢٤٣)

(3) ابن فارس . مقاييس اللغة . (باب الطاء والغين وما يثلثهما) مادة (طغى) . (٣ / ٤١٣)

obeikandl.com

والجواب :

إن الله ـ عز وجل ـ فى سورة القصص يخبر عن بداية طغيان فرعون فى الأرض ولذلك قّدر الله –عز وجل– ولادة نبى الله موسى عليه السلام لوقف هذا الفساد فى الأرض، ولما بعث الله النبيين الكريمين موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ أخبرهما بأن فرعون طغى ، أى: أنه تجاوز الحد فى الطغيان، وبلغ سقف الفساد ، وهو نفس

التعبير الذى استخدمه النبيان الكريمان عندما استغاثا بربهما ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ [طه:٤٥] ، وهذا التعبير أيضاً استخدم مع قوم نوح لما جاوزوا الحد فى الكفر والعناد ، قال تعالى : ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النجم / ٥٢] ، وفى سورة العلق ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ [العلق:٦] ، نزلت فى فرعون الأمة، فى الطاغية الأكبر أبى جهل عليه – لعنه الله– ، أخرج ابن المنذر عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل : نعم ، فقال : واللاتِ والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب فأنزل الله :﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ [1] [2]

بيد أن القول بأن (العلو) بداية الطغيان ، والطغيان هو المنتهى قد ينقضه قوله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس: ٨٣]

فهذه الحادثة بعد إخبار الله تعالى لموسى وهارون –عليهما السلام– أنه طغى ، ولو كانت العلاقة بين (العلو) و(الطغيان) علاقة ابتداء وانتهاء لوصفه بالطغيان كما قال تعالى حكاية عما يدور بين الظالمين فى جهنم ـ عياذاً بالله ـ : ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الصافات/ ٢٤: ٣٠]

وذكر هذا اللفظ أيضاً فى سورة [ص/٥٥] وغيرها كما أشرنا إليه فى موضعه، ولكن الذى يبدو لى ـ والله أعلم ـ أن (العلو) صفة ذاتية نفسية ، وهى مفتاح كل شىء إذا كان المقصود

---

(١) السيوطى ـ لباب النقول فى أسباب النزول ـ سورة العلق ـ (٢١٢) .

(٢) والحديث ذكره الشيخ مقبل بن هادى الوادعى فى الصحيح المسند من أسباب النزول ـ (٣١٥ ـ ٣١٧) .

منها التجبر ، ولعل الذى يؤيد كونها صفة ذاتية قوله تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل / ١٤] فعزا الظلم والعلو إلى النفس ، وهو عين الصفة الذاتية .

و(الطغيان) صفة فعلية تترجم هذا التعالى النفسى فى صورة أفعال الفساد والإجرام .

والذى يؤكد هذا أن الله –عز وجل– وصف فرعون (باسم الفاعل) ، والإخبار بالاسمية كما هو معلوم يفيد الثبوت ، وهذا كقولى : زيد طويل ، فهذا الخبر يفيد الثبوت ، ولا يفهم منه تجدد ، لأنه لا يزيد طوله ولا ينقص كل يوم ، بخلاف الصبى الصغير ، وأما الإخبار بالفعل فيفيد التجدد والحدوث فى زمن معين ، ولا يفهم منه إفادة الدوام إلا مع وجود القرائن .

واعلم – رحمك الله – أن الجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن إلا إذا كان خبرها مفرداً نحو : الوطن عزيز ، أو كان خبرها جملة اسمية نحو : الوطن هو سعادتى [1] ، وجملة : (إن فرعون لعالٍ فى الأرض) اسمية خبرها مفرد ، لذلك يتأكد عندنا ثبوت ودوام الصفة، وهذا هو شأن معظم الصفات الذاتية كالكرم والبخل والتواضع والعلو .. إلخ .

قال الجرجانى – رحمه الله– : فصل : (فى الاسم والفعل فى الخبر المثبت) .... وبيانه أن موضع الاسم على أن يثبت به المعنى للشىء من غير أن يقتضى تجدده شيئاً بعد شىء .

وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شىء ، فإذا قلت : زيد منطلق ، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى فى قولك : زيد طويل وعمرو قصير، فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث ، بل توجبها وتثبتها فقط ، وتقضى بوجودها على الإطلاق ، كذلك لا تتعرض فى قولك : زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد .

أما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك ، فإذا قلت : زيدٌ هاهو ذا ينطلق ، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه ... ومتى اعتبرت الحال فى الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهراً بيناً ولم يعترضك الشك فى أن أحدهما لا يصلح فى موضع صاحبه، فإذا قلت :

([1]) الهاشمى . جواهر البلاغة . المبحث الثالث : فى تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية – (٥١ . ٥٢) .

زيدٌ طويلٌ وعمرو قصير، لم يصلح مكانه يطول ويقصر، وإنما تقول : يطول ويقصر إذا كان الحديث عن شيء يزيد وينقص وينمو كالشجر والنبات والصبى ونحو ذلك [1] .

مما سبق يمكننا استنتاج ما يلى :

(أولاً) أن (العلو) صفة ذاتية ، هى نتاج حب الكفر والمعاصى فإذا أحبَّ الرجل المعصية والكفر جُبِلَ على العلو ، والعلو منشأ الطغيان ، ومبدأ كل شر .

(ثانيا) أن (الطغيان) صفة فعلية ، متعلقة بأفعال القلب والجوارح على السواء، وهى نتاج للعلو والتجبر ، وترجمة عملية لما فى القلب باستعمال واستخدام آلية الجوارح، وذلك هو مجاوزة الحد فى الشر .

(ثالثا) أخبر الله تعالى عن الطغيان والطغاة تارة بالفعل ، وتارة بالاسم .

فأخبر بالفعل الذى يدل على الحدوث والتجدد ، وذلك فى إخباره عن طغيان فرعون فى سورة قوله تعالى : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه /٢٤] ، وقوله : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه / ٤٣] ، وقوله : ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ [طه / ٤٥] ، و قوله تعالى : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [النازعات /١٧] ، وعن طغيان الإنسان بصفة عامة وأبى جهل ـ لعنه الله ـ بصفة خاصة فى قوله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ [العلق / ٦] ، وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ (النازعات /٣٧) .

وأخبر بالاسمية التى تفيد بأصل وضعها ثبوت الشىء للشىء ، فأخبر بالاسمية عن قوم نوح بصيغة (أفعل التفضيل) فى الطغيان قوله تعالى : ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴾ [النجم/٥٢] وعن المتخاصمين من الطغاة فى النار قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠ ﴾[الصافات /٣٠] .

، وعن مآلهم ومآبهم فى جهنم قال تعالى : ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ ﴾ [ص/٥٥] ، وقوله: ﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ ﴾ [النبأ/٢٢] وأخبر عن كفار قريش وكل من اجتمعوا على النيل والمكر برسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ .

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ ﴾

([1]) عبد القاهر الجرجانى ـ دلائل الإعجاز ص (١٢٢) – ص (١٢٣) .

[الـــــذاريات /٥٢- ٥٣] وقولـــــه تعـــــالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الطور /٣٢] ، والمتأمل للفارق بين الإخبار بالفعل والاسم يجد أن الإخبار بالاسم فيه معنى الثبوت الذى لا ينفك عنه بخلاف الإخبار بالفعل بدليل قوله تعالى لموسى وهارون :﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طـه / ٤٣ . ٤٤] فـأخبر عن الطغيان (بالفعل) لذلك لما انتفى الثبوت رجونا له أن يتذكر أو يخشى لو دعوناه بالقول اللين.

(رابعاً) أخبر . سبحانه وتعالى . عن صفة (العلو) تارة بالاسم وتارة بالفعل . ، فعندما أخبر (بالاسمية) أشار إلى ثبوتها وذلك مثل مخاطبته لإبليس . قبحه الله . فقال : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [ص/٧٥] ، وإخباره عن فرعون بأنه عالٍ فى الأرض ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يـونس / ٨٣] ، ولمـا أخبـر (بالفعل) فالدلالـة علـى التجـدد والحدوث فى زمن معين ، كما أخبر عن بنى إسرائيل وأنه سيصيبهم العلو والتجبر والإفساد فى الأرض فـى قولـه : ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الإسراء/ ٤) ، ولمـا كـان المقام مقام تحذير منـه فـى المستقبل اقتضت الحكمة نفى ثبوتـه عنهم وقتئذٍ ، وكان التعبير بالفعل أقيس ، وكذلك الإخبار عن فرعون فى سورة القصص بأنـه (علا فى الأرض) بصيغة الماضى ، وهذا الإخبار بهذه الصيغة فيه إشارة إلى العناية والرحمة المطلقة من الله
ـ عز وجل . بعباده ، لأنـه يخبر أن فرعون لمّا حَدَث أن علا وبدأ ظهور علوه فى الأرض بالتقتيل للذرية واستعباد الرجال واستحياء الفساد، أراد الله كوناً أن يولد نبى الله موسى لوقف هذا العلو، ولما بلغ ذروته بالطغيان، أراد الله كوناً إهلاكه وجنوده بالإغراق فى اليم ، وفى هذا أتم إشارة إلى لطف الله وتدبيره لشؤون عباده ، حتى تتم الموازنة ، بل والغلبة لأهل الحق على أهل الباطل.

(خامسا) قد يحذرنا الله . عز وجل . من التعالى بصريح القول كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الدخان/١٩] ، أو بالإشارة كما فى قصص الهالكين ، وهذا حتى لا تقع فى الطغيان ، الذى هو بمثابة النتيجة من السبب ، فصار هذا التحذير أمر احترازى من الوقوع فى الأشد ، وهذا هو الترقى من الأدنى إلى الأعلى وهو فى القرآن كثير كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات/١٢] ، وهذا الترتيب من الأدون إلى الأعلى .

لفظة القصص:

جَعَلَ (القصص/٤)

فقه اللغة

جاء فى معجم الفروق اللغوية رقم (١٥١٧) الفرق بين العمل والجعل .

أن العمل هو إيجاد الأثر فى الشىء على ما ذكرنا ، والجعل تغيير صورته بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، ألا ترى أنك تقول : جُعِلَ الطينُ خزفاً ، وجُعِلَ الساكنُ متحركاً ، وتقول : عُمِلَ الطينُ خزفاً ، ولا تقول : عمل الساكن متحركاً ، لأن الحركة ليست بأثر يؤثر به فى الشىء ، والجعل أيضاً يكون بمعنى الإحداث ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام / ١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ [النحل / ٧٨] ، ويجوز أن يقال : إن ذلك يقتضى أنه جعلها على هذه الصفة التى هى عليها، كما تقول جعلت الطين خزفاً، والجعل أيضاً يدل على الاتصال ولذلك جعل طرفاً للفعل فتستفتح به كقولك ، جعل يقول ، وجعل ينشد ، قول الشاعر :

فاجعل تحللك من يمينك إنما حِنْثُ اليمين على الأثيم الفاجر

فدل على تحلل شيئاً بعد شىء، وجاء أيضاً بمعنى الخبر فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزخرف/١٩] أى : أخبروا بذلك، وبمعنى الحكم فى قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ [التوبة / ١٩] ، أى : حكمتم بذلك ، ومثله جعله الله حراماً وجعله حلالاً ، أى : حكم بتحليله وتحريمه [١].

وتلخيص ما سبق : أن أبا هلال حصر معانى (جعل) فى :

١) أن الجعل تغيير صورة الشىء وتحويله إلى صورة أخرى كالطين يجعل خزفاً والتبر خاتماً.

٢) أن الجعل بمعنى الإحداث ، أى : بعد إذ لم يكن .

٣) أن الجعل بمعنى الاتصال مثل : صار وطفق وشرع .

---

(١) أبو هلال العسكرى . معجم الفروق اللغوية . الفرق بين العمل والجعل . (١/ ٣٧٧) .

٤) أن الجعل بمعنى الخبر .

٥) أن الجعل بمعنى الحكم .

وأما الراغب الأصفهانى : فعرفها تعريفاً آخر يتلاقى فى بعضها مع أبى هلال العسكرى فقال: (جعل) لفظ عام من الأفعال كلها وهو أعم من (فَعَلَ) و (صَنَع) وسائر أخواتها ، ويتصرف على خمسة أوجه :

(الأول) يجرى مجرى صار وطفق فلا يتعدى ، نحو : جعل زيد يقول: كذا ، قال الشاعر :

فقد جَعَلَتْ قَلُوصُ بنى سهيلٍ مِنْ الأكوارِ مرتعها قريب

(الثانى) يجرى مجرى (أوجد) فيتعدى إلى مفعول واحد ، نحو قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾ (الأنعام/١) ، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (النحل/٧٨).

(الثالث) فى إيجاده شيئاً من شىء وتكوينه منه ، نحو : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾ (النحل/٧٢)، وقوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا ﴾ (النحل /٨١)

(الرابع) فى تصيير الشىء على حالة دون حالة ، نحو:﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ (البقرة /٢٢)، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا ﴾ (النحل/٨١)، وقوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا ﴾ (نوح/ ١٦)، وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ (الزخرف/٣) .

(الخامس) الحكم بالشىء على الشىء حقاً كان أو باطلاً ، فأما الحق: فنحو قوله تعالى : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾ [القصص/٧] وأما الباطل : فنحو قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ﴾(الأنعام/١٣٦) وقوله : ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ ﴾ (النحل/٥٧) ، وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١ ﴾ (الحجر/٩١) [١] .

(قلت) :

(١) والذى يظهر لى ـ والله أعلم ـ أن المعنى الذى فى الآية هو المعنى الثانى عند أبى هلال الإحداث بعد إذ لم يكن ، وهو نفسه عند الراغب تصيير الشىء على حالة دون حالة ، والذى يؤكد ذلك أنهم كانوا من علية القوم أيام نبى الله يوسف ـ عليه السلام ـ فحولهم فرعون

---

(١) الراغب الأصفهانى ـ المفردات فى غريب القرآن ـ (جعل) ص (١٠١) بتصرف يسير .

إلى هذه الحالة المهنية المشينة ، وبالعكس جعلهم الله تعالى أئمة بعد إيلافهم الامتهان ، فكأنه صيّرهم خلقاً آخر مشرفاً ، وهذا رحمة منه وفضل .

(٢) أن الجعل نوعان : كونى وشرعى ، وهذا إذا تعلق بالله -عز وجل- ، فالكونى يكون فيما يحبه الله -عز وجل- ، وفيما لا يحبه الله ، والشرعى لا يكون إلا فيما يحبه الله – تعالى- ، والكونى لابد من وقوعه لا محالة ، والشرعى قد يقع وقد لا يقع .

قال العلاّمة محمد بن صالح بن العثيمين . رحمه الله تعالى . فى قوله تعالى فى الحديث القدسى : « وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » أى لا يظلم بعضكم بعضاً ، و (الجعل) هنا الجعل الشرعى ، وذلك لأن الجعل الذى أضافه الله إلى نفسه إما أن يكون كونياً مثل قوله – تعالى- : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ/١٠.١١] ، وإما أن يكون شرعياً مثل قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المائدة/١٠٣] ، (ما جعل) أى : ما شرع وإلا فقد جعل ذلك كوناً ، لأن العرب كانوا يفعلون ذلك [١].

لفظة القصص:

شيعاً (القصص/٤)

هذا من شيعته (القصص/١٥)

الذى من شيعته (القصص/١٥)

فقه اللغة

جاء فى معجم الفروق اللغوية (الفرق بين الشيعة والجماعة) : أن شيعة الرجل هم الجماعة المائلة إليه من محبتهم له ، وأصلها من الشياع ، وهى الحطب الدقاق التى تجعل فى النار لتشتعل ، كأنه يجعلها تابعاً للحطب الجزل لتشرق [٢].

---

(١) ابن عثيمين . شرح رياض الصالحين . دار العقيدة . مصر . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م . باب المجاهدة – حديث رقم (١١١) (١/ ٤٢٣)

(٢) أبو هلال العسكرى . معجم الفروق اللغوية . ص (١/ ٣٠٧) .

opelkandil.com

وجاء فى مقاييس اللغة : الشيعة : الأعوان والأنصار [١] .

وجاء فى القاموس المحيط : شِيعة الرجل بالكسر : أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث ، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته ، حتى صار اسماً لهم خاصاً ، (ج) أشياع وشِيَع كعِنَب [٢].

(قلت) : لكن يبقى بالمعنى بعض الخفاء بالنسبة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص/٤] ، فلقائل أن يقول : إن الأشياع هم الأعوان ، فكيف يستضعف أشياعه ؟!

والجواب : يجيب عن هذا الإشكال ثلاثة من المفسرين .

١) يقول الزمخشرى فى الكشاف : (شيعاً) : فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه ، لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه

قال الأعشى :

وبلدةٍ يرهبُ الجوَّاب دُلْجَتَها ❁ حتى تراه عليها يبتغى الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضاً فى طاعته ، أو أصنافاً فى استخدامه يتسخر صنفاً فى بناء ، وصنفاً فى حرث ، وصنفاً فى حفر [٣].

٢) ويقول البيضاوى فى أنوار التنزيل وقد زاد فائدة : وجعل أهلها (شيعاً) فرقاً يشيعونه فيما يريد، أو يشيع بعضهم بعضاً فى طاعته ، أو أصنافاً فى استخدامه ، استعمل كل صنف فى عمل ، أو أحزاباً بأن أغرى بينهم العداوة كى لا يتفقوا عليه [٤] .

٣) ويقول النسفى وقد زاد فائدةً أخرى : (جعل أهلها شيعاً) فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه ، أو فرقاً مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى ، فأكرم القبط وأهان الإسرائيليين [٥].

قلت :

---

(١) ابن فارس . مقاييس اللغة . باب الشين والياء وما يثلثهما . (شيع) . (٣/ ٢٣٥) .

(٢) الفيروز آبادى . القاموس المحيط . مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ط ٨ : ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م . باب العين فصل الشين . (١/٧٣٥) .

(٣) الزمخشرى . الكشاف . سورة القصص . (٣/٣٩٢) .

(٤) البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . (٤/١٧١) .

(٥) النسفى . مدارك التنزيل وحقائق التأويل . (٢/٦٢٧)

obeikandl.com

والذى يظهر لى من تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص/٤]

١) أن فرعون نجح فى جعل أهل مصر كافة شيعاً له ، أى أعواناً وأنصاراً فى خدمته، ولم يُستثْنَ منهم الكبراء، بل الكل يتعاون فى إرضائه ، حتى صار أهل كل فن يتشايعون فيما بينهم لنيل رضاه أو اتقاء بطشه ، ولو كان المقصود من قوله ﴿ شِيَعًا ﴾ حصره فى المستضعفين وفقط لفات معنى الإخبار بعدها باستضعاف طائفة منهم ، ويقوى هذا القول اعتبار جملة « يستضعف » مستأنفة لئلا يفهم أن الاستضعاف وقع على شيعة الكبراء ، بخلاف لو قدرت حالاً من الضمير فى جعل ، أو صفة لشيعاً، وجوّز إمكانية مجيئها مستأنفة كلٌّ من : الزمخشرى[١] والبيضاوى [٢] ، وبدأ أبو حيان الأندلسى بالاستئناف ثم جوّز الحالية أو الوصفية بعد ذلك [٣].

٢) أن فرعون أغرى بينهم العداوة . كما تقدم . حتى لا يتفقوا عليه، بل يتفقوا له ولأجله ، فصاروا فيما يبدو للناظر كأنهم أصفياؤه وشيعته حقيقةً ، من شدة اتساقهم فى خدمته والتفانى فى تبعيته ، وهذا المعنى تقوية القيمة الإيحائية والاعتبارات الدلالية للفظة «شيعاً» وأصل اشتقاقها ، وذلك كما جاء فى معجم الفروق اللغوية . كما سبق .

٣) أن قوله : " يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ " بمثابة الاستثناء ، والملاحظ أنه لم يستثنِ بلفظ (شيعة) ، بل جاء بلفظ (طائفة) ، وهى الجماعة الصغيرة ، وذلك مقارنة بباقى أهل مصر، وأيضاً فإن هذه الجماعة أضاءت بشاشة الإيمان قلوبهم فطافوا به ، ولذلك أفرط فرعون فى عقابهم ، حتى أعمل سيفه فى صغارهم فضلاً عن كبارهم ، وبذلك يزول الإشكال – والله أعلم– .

---

(١) الزمخشرى . الكشاف . (٣/ ٣٩٢) .

(٢) البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٧١/٤) .

(٣) أبو حيان الأندلسى . تفسير البحر المحيط . (١٠٠/٧) .

لفظة القصص:

طائفة (القصص/٤)

فقـه اللـغة

جاء فى لسان العرب : الطائفة : الجماعة من الناس ، وتقع على الواحد، كأنه أراد نفساً طائفة، وسئل إسحاق بن راهويه فقال: الطائفة دون الألف ، وسيبلغ هذا الأمر إلى أن يكون عدد المتمسكين بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ألفاً يُسَلِّى بذلك أن لا يعجبهم كثرة أهل الباطل [١].

وفى قاموس المحيط : (الطائفة) من الشىء : القطعة منه ، أو الواحد فصاعداً أو إلى الألف أو أقلها رجلان أو رجل ، فيكون بمعنى النفس [٢].

وفى مقاييس اللغة : فأما الطائفة من الناس فكأنها جماعة تطيف بالواحد أو بالشىء ، ولا تكاد العرب تحدها بعدد معلوم ، إلا أن الفقهاء والمفسرين يقولون فيها مرةً : إنها أربعة فما فوقها ، ومرةً : إن الواحد طائفة ، ويقولون: هى الثلاثة ، ولهم فى ذلك كلام كثير ، والعرب فيه على ما أعلمتك، أن كل جماعة يمكن أن تحف بشىء فهى عندهم طائفة ، ولا يكاد هذا يكون إلا فى اليسير من اللغة . والله أعلم . ، ثم يتوسعون فى ذلك عن طريق المجاز ، فيقولون : أخذت طائفة من الثوب : أى: قطعة منه [٣].

وفى مفردات غريب القرآن : نجد تقريباً نفس المعانى السابقة [٤].

وفى معجم الفروق اللغوية : (الفرق بين الجماعة والطائفة)

أن الطائفة فى الأصل : الجماعة التى من شأنها الطوف فى البلاد للسفر ، ويجوز أن أصلها الجماعة التى تستوى بها حلقة يطاف عليها ، ثم كثر ذلك حتى سمى فى كل جماعة طائفة [٥] .

---

(١) ابن منظور . لسان العرب . دار صادر. بيروت . لبنان . ط ٣ : ١٤١٤هـ – (٢٢٦/٩) .

(٢) الفيروز آبادى . القاموس المحيط . باب الفاء فصل الطاء . (٨٣٣/١) .

(٣) ابن فارس . مقاييس اللغة . باب الطاء والواو وما يثلثهما – (٣/ ٤٣٣) .

(٤) الراغب الأصفهانى . مفردات غريب القرآن . (طوف) – (٣١٣) .

(٥) أبو هلال العسكرى . معجم الفروق اللغوية . (٣٣٤/١) .

obeikandl.com

قلت : والقاسم المشترك مما سبق :

١) أن الطائفة تقع على الواحد وحتى الألف ، أى هى الجماعة القليلة أو الكبيرة .

٢) أن الطائفة القطعة من الشىء ، وعليه فالجماعة أكبر من الطائفة ، والطائفة جزء منها .

٣) أن الطائفة يميزها عن الجماعة الأم أن الطائفة تطوف أو تلتف حول شىء معين ، تتلاقى قلوبهم عليه وقد يكون (حسياً) مثل الطواف حول الكعبة ، وقد يكون (معنوياً) كفكرٍ معين أو عقيدة تتلاقى عليها قلوب هذه الطائفة وتتمايز عن غيرها لهذا السبب ، وهذا ما حدث مع بنى إسرائيل ، فهم الطائفة التى اجتمعت وطافت قلوبهم حول عقيدة التوحيد ، لذلك خصوا بالاستضعاف دون غيرهم من سائر الأشياع، ، ومما يؤيد ذلك أيضا، أن لفظ (الطائفة) ذكر فى التنزيل أكثر من مرة، ونلاحظ فى كل مرة وجود التباين المعنوى أو الفكرى لكل طائفة، فمن ذلك :

قوله تعالى : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور/٢] (فالطائفة) هنا قطب رحاها الإيمان.

وقوله تعالى : ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ [القصص/٤] يقال فيها كسابقتها .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب /١٣]

فواضح أن هذه الطائفة تلاقت وطافت قلوبها حول النفاق .

وقوله تعالى : ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ [الصف/١٤]

وهنا وجدت الطائفتان : طائفة الإيمان وطائفة الكفر .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل/٢٠]

هذه الطائفة اختصت دون باقى الصحابة بحرصها على التأسى برسول الله ﷺ حتى فى قيام الليل [١] .

والخلاصة : أن لفظة (الطائفة) تكون دون الجماعة وتتلاقى على وجهة معينة حسية أو معنوية .

لفظة سورة القصص:

يذبّح (القصص/٤)

اللفظة المرادفة: " يقتّلون أبناءكم " (الأعراف/١٤١)

([١]) انظر: المحلى والسيوطى . تفسير الجلالين . دار الحديث . القاهرة . د . ت : (١/٧٧٥) .

الفرق بين اللفظين

(الفرق بين الذبح والقتل)

أن الذبح عمل معلوم ، والقتل ضروب مختلفة ، ولهذا منع الفقهاء عن الإجارة على قتل رجل قصاصاً، ولم يمنعوا من الإجارة على ذبح شاة ، لأن القتل منه لا يُدْرَى أيقتله بضربة أو بضربتين أو أكثر وليس كذلك الذبح [١].

قلت : وورود لفظ الذبح بالتشديد ثلاث مرات ، ولفظ القتل بالتشديد مرة واحدة لا يوهم تعارض؛ لأن القتل أعم من الذبح فربما عبّر عن الخاص بالعام ، ولكن ربما فيه إلماح إلى أن معظم قتل الأبناء كان بالذبح . والله أعلى وأعلم ورأى السيوطى أنه من تنويع الألفاظ المسمى (بالتفنن) [٢].

لفظة سورة القصص:

أبناءهم (القصص/٤)

اللفظة المرادفة:

أولادهم

الفرق بين اللفظين

١) أن الابن يفيد الاختصاص ومداومة الصحبة ، ولهذا يقال : ابن الفَلاة لمن يداوم سلوكها ، وابن السّرَى لمن يكثر منه .

٢) أن الابن للذكر والولد للذكر والأنثى [٣].

لفظة سورة القصص:

نريد (القصص/٥)

اللفظة المرادفة:

---

(١) أبو هلال العسكرى . معجم الفروق اللغوية . (٢٤١/١) .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (٤٦٣) .

(٣) أبو هلال العسكرى . الفروق اللغوية (٢٩٩ . ٣٠٠) .

obeikandl.com

يشاء (البقرة/٢٥٣)

الفرق بين اللفظين

(الإرادة والمشيئة)

جاء فى الفروق اللغوية أن الإرادة تكون لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى ، والمشيئة لما لا يتراخى وقته[١].

وأما (الراغب الأصفهانى)

فما قاله عن الإرادة : فإذا استعمل فى الله ، فإنه يراد به المنتهى دون المبدأ ، فإنه يتعالى عن معنى النزوع . يقصد الاشتياق الشديد . فمتى قيل : أراد الله كذا فمعناه : حكم فيه أنه كذا وليس بكذا ، نحو : ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ (الأحزاب/١٧) [٢].

قلت : فصل الخطاب فى هذه المسألة أن الإرادة إرادتان : كونية وشرعية .

فالكونية: تكون فيما يحبه الله تعالى وفيما لا يحبه ، ولكن لابد من وقوعها وهى تساوي (المشيئة) ، والمشيئة يلزم منها وقوع المشاء ، وهو معنى قولنا : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

والإرادة الشرعية : لا تكون إلا فيما يحبه الله . عز وجل . ، وقد تقع وقد لا تقع ، وهى تساوى (المحبة) .

قال الشيخ ابن عثيمين :

وأما الإرادة ووقوع المراد ، ففيه تفصيل :

فالإرادة الشرعية لا يلزم منها وقوع المراد ، وهى التى بمعنى المحبة ، قال تعالى :

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

[النساء/ ٢٧] بمعنى : يحب ، ولو كانت بمعنى يشاء لتاب الله على جميع الناس .

والإرادة الكونية : يلزم منها وقوع المراد ، كما قال الله تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ

---

(١) أبو هلال لعسكرى . الفروق اللغوية . ص (١٢٨ . ١٢٩) .

(٢) الراغب الأصفهانى . المفردات فى غريب القرآن . (رود) . ص (٢١٢) .

ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة /٢٥٣] [١].

(مما سبق)

نستنتج أن الإرادة فى قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [القصص/٥] هى إرادة كونية لابد من وقوعها ، وهى التى تساوى المشيئة .

لفظة القصص:

أن نمن (القصص/٥)

جاء فى مقاييس اللغة :

(**مَنَّ**) الميم والنون أصلان ، أحدهما يدل على قطعٍ وانقطاع ، والآخر يدل على اصطناع خير .

(**فالأول**) [المَنُّ] : القطع ، ومنه يقالُ : مننتُ الحَبْلَ : قطعته ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/٦] ، والمَنُون : المنية ؛ لأنها تَنْقُص العدد وتقطع المدد ، والمَنُّ : الإعياء ؛ وذلك أن المُعْيِىَ ينقطع عن السير. قال : قلائصاً لا يشتكين المَنَّا .

والأصل الآخر : [المَنُّ] تقول : مَنَّ يَمُنُّ مَنًّا ، إذا صنع صنعاً جميلاً ، ومن الباب المُنَّةُ هى القوة التى بها قِوام الإنسان [٢].

---

(١) ابن عثيمين . القول المفيد . تحقيق : هانى الحاج . مكتبة العلم ودار البصيرة . إسكندرية . د. ت . (١ /١٩ . ٢١) بتصرف .

(٢) ابن فارس . مقاييس اللغة . (كتاب الميم) . باب الميم وما بعدها فى المضاعف والمطابق . (٥/ ٢٦٧) .

obeikandl.com

وجاء فى المفردات :

المِنَّةُ : النعمة الثقيلة ، ويقال ذلك على وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك بالفعل ، فيقال : مَنّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة ، وعلى ذلك قوله : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران/١٦٤) ، وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء/٩٤) ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (الصافات/١١٤) ، وقوله : ﴿ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم/١١) ، وقوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(القصص/٥) وذلك على الحقيقة لا يكون إلا الله تعالى .

والثانى : أن يكون ذلك بالقول ، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة [١].

. وجاء أيضا فى معجم الفروق اللغوية :

أن (الحنان) الذى يُقْبِل على مَنْ أعرض عنه ، و (المنان) الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال [٢] .

وجاء أيضاً فى (الفرق بين النعمة والمنة)

أن المنة هى النعمة المقطوعة من جوانبها ، كأنها قطعة منها ، ولهذا جاءت على مثال قطعة ، وأصل الكلمة القطع ومنه قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/٦] ، أى : غير مقطوع ، وسمى الدهر منوناً لأنه يقطع بين الإلف ، وسمى الاعتداد بالنعمة مناً ، لأنه يقطع الشكر [٣] .

قلت : مما سبق نستنتج ونلاحظ ما يلى :

١) أن المَنَّ جاء من القطع ، ولذلك فَمِنَن الله . عز وجل . غير مقطوعة، ومنن البشر تقطع الشكر وتوجب الأذى .

٢) أن المنة هى النعمة الثقيلة .

٣) أن المنة هى البدؤ بالنوال قبل السؤال ، وهذا من أفضل ما يتصور ، وهذه صفة من صفات الله المنان .

---

(١) الراغب الأصفهانى . المفردات فى غريب القرآن . (منن) . ص (٤٧٧) .

(٢) أبو هلال العسكرى . معجم الفروق اللغوية . الفرق بين الحنان والمنان . (١/ ٢٠٤) .

(٣) نفسه (١/٥١٥)

obeikandl.com

٤)أن المنة جزء من النعمة وعندما نرى عظم منن الله علينا ، وهى جزء ضئيل من نعمه ، علمنا أن مداد نعم الله تعالى لا تنقطع ، قال عز من قائل : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل/١٨] ، فهذه اللفظة تفيد بدلالة المخالفة أنهم إذا مُكِنّوا ، بوارثة الأرض هلك فرعون ومن معه، لأن الوارث يخلف من مات .

لفظة القصص:

الوارثين (القصص/٥)

فقه اللغة

جاء فى القاموس المحيط :

(ورث) أباه ، ومنه بكسر الراء يَرِثُه ، كَيَعِدُه ، وِرْثًا وَوِرَاثةً وإِرْثًا ورِثَةً ، بكسر الكُلِّ وأورثهَ أبوه ، وورثه : جعله من ورثته

و(الوارث) : الباقى بعد فناء الخلق .

وفى الدعاء : أمتعنى بسمعى وبصرى واجعله الوارث منى ، أى : أبقه معى حتى أموت [١].

وجاء فى مقاييس اللغة :

والميراث أصله الواو ، وهو أن يكون الشىءُ لقومٍ ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب قال :

وَرِثناهُنَّ عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا[٢]

---

(١) الفيروز آبادى . القاموس المحيط . باب الثاء فصل الواو (١ / ١٧٧) .

(٢) ابن فارس . مقاييس اللغة . باب الواو والراء وما يثلثهما (٦ / ١٠٥) .

obeikandl.com

لفظة القصص:

نُمَكِنّ (القصص/٦)

فقه اللغة

جاء فى الفروق اللغوية : (الفرق بين القادر والمتمكن)

أن التمكن : مُضَمّن بالآلة ، والمكان الذى يُتَمَكَّن فيه ... ويقال : مكّنه ومكّن له ، قال بعضهم : معناهما واحد ، وقال : ومنه قوله تعالى : ﴿ مَكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ [الأنعام/٦] ، قال : فجاء باللغتين للتوسع فى الكلام، والصحيح : أن مكّنْت له : جعلت له ما يتمكن به ، ومكّنْتهُ : أقدرته على ملك الشىء فى المكان .

وجاء فى الفرق بين (التكمين و الإقدار) أن التمكين : إعطاء ما يصح به الفعل ، كائناً ما كان من الآلات والعُدَد والقُوَى ، والإقدار إعطاء القدرة وذلك أن الذى له قدرة على الكتابة تتعذر عليه إذا لم يكن له آلة لكتابة، ويتمكن منها إذا حضرت الآلة ، والقدرة ضد العجز والتمكن ضد التعذر [١].

قلت : ويفهم مما سبق أن بنى إسرائيل كانت معهم القدرة المستمدة من قوة إيمانهم بالله ـ عز وجل ـ ، ولكن بقى التمكين بالآلة والأرض ، ولذلك كان متعذراً عليهم قبل تمكين الله لهم الظهور فى الأرض مع إيمانهم بالله

([١]) أبو هلال العسكرى ـ الفروق اللغوية (١١٤) .

obeikandl.com

(ألقى- نبذ- قذف)

قال الراغب الأصفهانى : " **والإلقاء** : طرح الشىء حيث تلقاه ، أى: تراه ، ثم صار فى التعارف اسماً لكل طرح ، قال تعالى : " فَكَذَلِكَ أَلْقَى السّامِرِيّ " ، وقوله : " قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ " ، وقال تعالى : " قَالَ أَلْقُوا " ، وقال : " قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا " ، وقال : " فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ " .(١)

قذف: قال الراغب :

القذف : الرمى البعيد ، ولاعتبار البعد فيه ، قيل: منزلٌ قذفٌ وقذيف ، وبلدةٌ قذوف : بعيدة ، وقوله : " فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ " أى : اطرحيه فيه ، وقال : " وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ " .(٢)

نبذ : قال الراغب :

(النَّبْذ) : إلقاء الشىء ، وطرحه لقلة الاعتداد به ، ولذلك يقال : نبذته نبذَ النعل الخَلِقِ ، قال تعالى : " لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ " ، وقوله : " فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ " لقلة اعتدادهم به ، وقال تعالى : " نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ " أى طرحوه لقلة اعتدادهم به ، وقال : " فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ " وقوله : " فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ " وقوله : " لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ " ، وقوله : " فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ " فمعناه ألق إليهم السلم . (٣)

(قلت) : وهنا إشكالات

الأول : كيف نجرى معنى عدم الاعتداد وعدم الاكتراث بنبى الله يونس عليه السلام ؟

الآية الأولى : " فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ " الصافات (١٤٣-١٤٥)

الآية الثانية : " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ – لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُوم – فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ " .

(القلم /٤٨-٥٠) .

---

(١) **انظر : الراغب- المفردات- (لقى) – ص (٤٥٧)**

(٢) **نفسه – (قذف) (٣٩٨)**

(٣) **نفسه – (نبذ) – ص (٤٨٣-٤٨٤)**

obeikandi.com

الجـواب

(١) الآيتان فى موضـع المن على يونس – عليه السلام – : والتذكير بنعمة الله عليه وإنقاذه من الحوت ، وذلك بسبب أنه كان ملازماً للتسبيح لله – عز وجل – ، ولا يستقيم أن يجتمع المن على العبد المؤمن حال قبول توبته ، وذكره أو وصفه بالذم والنقص .

(٢) أن هذا القصص خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم ومن ورائه أمته اعتباراً واقتداءً برسل الله – صلوات الله وسلامه عليهم– ، قال تعالى عنهم : " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ " ولا يجوز أن يكون المقام مقام اقتداء برسل الله ويقع فيه انتقاص

(٣) أن النبذ فى هذا المقام نعمة ، لأن الحوت هو الذى باشر هذا الفعل ، فصار عدم اعتداد الحوت به وإهماله له رحمةً من الله ، لأنه صار بقدر الله الغالب كالعبء فى بطنه ، ولذلك لم يصبه بشىء .

ولكن قد يُشكِل علينا أن الفعل أُسند إلى ضمير العظمة ، فيكون الذى نبذ ولم يعتد به هو الله عز وجل ؟

والجـواب

إنه لما كان فعل الحوت بأمر الله تعالى ؟ صح أن يسند الفعل إليه ، وشبيه بهذا قوله تعالى : " فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ " وإبراهيم عليه السلام لم يخاطب إلا الملائكة ، ولكن لما كانوا مرسلين بأمر الله تعالى جاز إسناد الفعل إليه . والله أعلم

مما سبق نستنتج :

(١) أن الإلقاء فيه رحمة وتؤدة وأن القذف فيه عصف وسرعة وأن النبذ فيه الإهمال وعدم الاعتداد ، وأن الأخير قد يكون نعمة فى موضع دون آخر

(٢) أن أم موسى – عليها السلام – خوطبت تارة بالإلقاء وتارة بالقذف ، وهنا يعرض لنا إشكال ، كيف نوفق بينهما ؟؟

والجواب

إن الله– جل وعلا– أوحى إليها فى البداية بأن ترضعه ، وإذا خافت عليه عيون وغوائل فرعون ألقته فى اليم ، ولّما كان اليوم الموعود قذفته بعيداً حتى لا يراه أحدٌ ، وهذا الأخير امتن الله به على موسى – عليه السلام – فقال تعالى : " وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ " ثم يجرى لطف الله به فلا يقذفه اليم بالساحل بل "

فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ " وكما سبق أى: يطرحه على قرب ، فجرى من أم موسى الإلقاء والقذف ، ولم يجرِ من اليم إلا الإلقاء ، فصار اليم له كالأم الحانية بعد أمه .

وما أحسن ما قاله سيد قطب : فجعل الله له اليم ملجأً ومناماً كما جعل النار لإبراهيم برداً وسلاماً

إشكال آخر :

قوله تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا " (مريم /١٦)

وقوله تعالى : " فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا " (مريم /٢٢)

والجواب

إن انتباذ مريم – عليها السلام – ليس فيه انتقاص لها ، لأنها جرى باختيارها لأسباب ، أما الأول : فقد اختارته لنفسها ، لتتقوى على العبادة ، والدليل " فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا " (مريم/١٧) ، قال السعدى : " أى : ستراً ومانعاً ، وهذا التباعد منها ، واتخاذ الحجاب لتعتزل وتنفرد بعبادة ربها ، وتقنت له فى حالة الإخلاص والخضوع ، والذل لله تعالى ، وذلك امتثال منها لقوله تعالى : " يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ – يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ " .(1)

وأما الثانى : قال السعدى : لما حملت بعيسى عليه السلام خافت من الفضيحة ، فتباعدت عن الناس .(2)

(**قلت**) : ولفظ (النبذ) مع مريم – عليها السلام– قد خدم مقتضى الحال ، لأنها لم ترد أن يقترب منها أحد ، فيقطع عليها حبل العبادة ، أو يتكلم فيها بما لا يليق ، فتباعدت تباعد المنبوذ اختياراً وطواعيةً منها ، وهو ما يأباه الناس ، ولكنها لم تستنكفه تحقيقاً لاتصال قنوتها وتبتلها

(خاف) ، (الحذر)

* قال أبو هلال : الخوف توقع الضرر المشكوك فى وقوعه ، ومن يتيقن الضرر لم يكن خائفاً منه ، وكذلك الرجاء لا يكون إلا مع الشك ، ومن يتيقن النفع لم يكن راجياً له .

والحذر توقى الضرر وسواء كان مظنوناً أو متيقناً ، والحذر يدفع الضرر ، والخوف لا يدفعه ، ولهذا يقال : خُذ حِذرك ، ولا يقال : خذ خوفك . (3)

* قال الجرجانى فى التعريفات : الخوف : توقع حلول مكروه ، أو فوات محبوب .(1)

---

(١) انظر : السعدى – التفسير – ص (٤٩١)

(٢) نفسه – ص (٤٩٢)

(٣) أبو هلال العسكرى – الفروق اللغوية – (٢٥٤)

* قال الراغب : الخوف : توقع مكروه عن أمارةٍ مظنونه أو معلومة ، كما أن الرجاء أو الطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ، ويضاد الخوف الأمن . (٢)

(قلت): واستعمال هذا اللفظ فى هذا السياق القرآنى يفيد بمدلوله على عظم رحمة الله – عز وجل– واعتنائه بأم موسى ، حتى إنه لينهاها عن مجرد توقع الشر ، فضلاً عن توقيه وسط هذا الزخم من بحر الشر المتلاطم ، الذى حرك راكده فرعون – قبحه الله– ، فعلم أن لفظ (خاف) أتى ليراعى السياق أكثر مما لو استعمل لفظ (الحذر) .

(لا تحزنى) – (حَزَناً) – (الكرب) – (البث)

الحزن : عبارة عما يحصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب فى الماضى . (٣)

والحُزْن والحَزَن : خشونة فى الأرض ، وخشونة فى النفس لما يحصل فيه من الغم ، ويضاده الفرح .(٤)

وجاء فى الفروق اللغوية : أن (الحزن) تكاثف الغَمّ وغِلظة ، مأخوذ من الأرض الحَزْن ، وهو الغليظ الصُّلْب .

(والكرب) : تكاثف الغم مع ضيق الصدر ، ولهذا يقال لليوم الحار : يومٌ كَرْب ، أى : كَرُبَ من فيه ، وقد كَرُب الرجل وهو مكروب ، وقد كربه : إذا غمّه وضيّق صدره .

ويقول الراغب فى المفردات : الكرب : الغم الشديد ، قال تعالى : " فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ " ، والكربة : كالغُمة ، وأصل ذلك من كَرْب الأرض ، وهو قلبها بالحفر ، فالغَمُّ يثير النفس إثارة ذلك . (٥)

(البَثُّ) : يفيد أن ينبث ولا ينكتم من قولك : أبثثته ما عندى ، وبثثته : إذا أعلمته إياه ، وأصل الكلمة : كثرة التفريق ، ومنه قوله تعالى : " كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ " (القارعة /٤) ، وقال تعالى : " إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ " (يوسف/٨٦) فعطف البث على الحزن لما بينهما من الفرق فى المعنى وهو ما ذكرناه . (٦)

---

(١) **الجرجانى على بن محمد – التعريفات . تحقيق : إبراهيم الإبيارى . دار الريان . د. ت . (١٣٧)**

(٢) **الراغب – المفردات فى غريب القرآن – (خوف) – ص (١٦٦)**

(٣) **انظر : الجرجانى – نفسه – ص (١١٧)**

(٤) **انظر : الراغب – نفسه – ص (١٢٣)**

(٥) **نفسه – ص (٤٣٠)**

(٦) انظر : أبو هلال العسكرى – الفروق اللغوية – (٢٨٢–٢٨٣) بتصرف .

(**قلت**) : وبعد معرفة الفروق اللغوية بين الألفاظ السابقة ، نلاحظ أن القرآن الكريم تكلم عن كل حالة بما يناسبها ، ويراعى ويخدم سياقها .

فعن الكلام عن (الكرب) الذى يساوى الحزن مع ضيق الصدر ، لأنه من كَرْب الأرض وإثارتها ، مما يدل على أنه أشد الأنواع الثلاثة ، عند الكلام عنه يمتن الله –عز وجل– بتنجيته أوليائه منه ، فقال : " فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ " (الأنبياء/٧٦) ، لأنه من الواضح أن الكرب مما لا طاقة لأحد بدفعه ، فأسند الله فعل النجاة إليه .

وأما (الحزن) فلعله أخف منه ، فلذلك نُهِيَتْ أم موسى عنه .

وأما (البث) ، فلأنه من إذاعة الحزن ، ولما كان حال يعقوب – عليه السلام – بث الحزن وكتمه ، وإن كان بثه أكثر ، جُمِعَ له الأمران ، وقُدِّم البث على الحزن فقال تعالى : " إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ " .

(اليم)

قال الراغب : اليم : البحر ، قال تعالى : " فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ " . (١)

لكن يُشكِلُ علينا أن أم موسى ألقته فى نيل مصر ، فهل الأنهار تسمى يمًّا ؟

يقول ابن منظور فى اللسان : (يَمَّمَ) : الليث : اليم : البحر الذى لا يُدْرك قعره ، ولا شطّاه ، ويقال : اليَمُّ لُجَّتُه ، وقال الزجاج : اليم : البحر ، وكذلك هو فى الكتاب ، إلى أن قال :

ويقع اسم اليم على ما كان ماؤه مِلحاً زُعافاً ، وعلى النهر الكبير العذب ، وأُمرت أم موسى حين ولدته ، وخافت عليه فرعون أن تجعله فى تابوت ، ثم تقذفه فى اليم ، وهو نهر النيل بمصر – حماها الله تعالى – ، وماؤه عذب ، قال تعالى : " فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ " (طه/٣٩) فجعل له ساحلاً ، وهذا كله دليل على بطلان قول الليث : إنه البحر الذى لا يدرك قعره ولا شطاه . (٢)

وأما قوله – تعالى– : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ (طه: ٧٧ – ٧٨) فلسائلٍ أن يتساءل ، فالبحر الذى نجى الله – تعالى– موسى منه هو ذاته الذى أغرق فيه فرعون وجنوده ، فلماذا عُبِّر عنه مع موسى فى الآية الأولى بالبحر ، ومع فرعون فى الثانية باليم ؟

والجواب :

---

(١) انظر : الراغب – المفردات (اليم) ص (٥٥٤)

(٢) انظر : ابن منظور – لسان العرب – باب الميم فصل الياء المثناة من تحتها (يمم) (٦٤٧/١٢)

١) إن البحر لما كان فيه معنى الشق والسعة ، كما نقل الفيروزآبادى وغيره [١] ، وهو ما يتناسب مع حال موسى – عليه السلام – الذى شق الله له البحر ، فكان فيه السعة والرحمة والنجاء ، وهو ما يتوافق أيضاً مع المخرج الصوتى للكلمة التى ينفتح لها الفم ، بخلاف اليم التى تنطبق معه الشفتان ، وهو ما يتسق وانطباق الفرقتين على فرعون .

٢) فى اليم معنى (**الغرق)** وهذا ذكر حكاه الخليل ، ونقله عنه ابن منظور ، وابن فارس ، وهذا نص كلامه : " وتقول: يُمَّ الرَّجُلُ فهو ميموم، إذا وقع في اليَمِّ وغَرِقَ فيه**."** [٢]

٣) فى اليم معنى (**التغطية والغلبة**) ، قال ابن منظور : " ويُمَّ الساحلُ يَمّاً: غَطَّاه اليَمُّ وطَما عَلَيْهِ فغلَب عَلَيْهِ. ابْنُ بَرِّيٍّ: واليَمُّ الحيَّةُ " [٣]

٤) فى اليم معنى **(القصد)** ، قال ابن فارس : " **(يَمَّ)**الْيَاءُ وَالْمِيمُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قَصْدِ الشَّيْءِ وَتَعَمُّدِهِ وَقَصْدِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} [النساء: ٤٣] . قَالَ الْخَلِيلُ: يُقَالُ تَيَمَّمْتُ فُلَانًا بِسَهْمِي وَرُمْحِي، إِذَا قَصَدْتَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ**"** [٤] ، فلما قصد فرعون قتل موسى ليحيا بعده فى سعة وراحة ، عوقب بنقيض قصده ،– والله أعلم –

" **<u>التقطه</u>** "

جاء فى المعجم الوسيط : " التقط " الشىءَ : لَقَطَه ، وعَثُر عليه من غير قصد ولا طلب ، وفى التنزيل : " فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ " ، ويقال : لقيته التقاطاً : إذا لقيتَه من غير أن تتوقعه . [٥]

(<u>قلت</u>) : مما سبق نستنتج أن التقاط التابوت كان لأمرٍ أراده الله ، وهيّأ له أسبابه ، وفى ذلك دلالة على أن الله – عز وجل – إذا أراد أمراً أصابه ، وأنه لا راد لأمره ، " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ "

يضاف إلى ذلك المعنى الدلالى للفظ ، الذى يدل على الاهتمام الكبير من المُلتقِط ، أُخذ ذلك من (لقط) الطائر الحَبَّ : أخذه من هنا ومن هنا ، و (لقط) العلم من الكتب : أخذه من هذا الكتاب ومن ذلك الكتاب . [٦]

---

(١) الفيروزآبادى – القاموس المحيط – باب الراء فصل الباء

(٢) الخليل –العين – باب الميم – وانظر لسان العرب ، وانظر مقاييس اللغة .

(٣) ابن منظور – لسان العرب – باب المبم فصل الياء المثناة من تحتها

(٤) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الياء وما بعدها فى المضاعف و المطابق .

(٥) انظر : المعجم الوسيط – مادة (لقط) – (٨٦٧/٢)

(٦) انظر : المصدر السابق . (٨٦٧/٢)

obeikandi.com

(لتبدى – تظهر)

قال الراغب : (بدا) الشىءُ بَدْواً وبَدَاءً أى : ظهر ظهوراً بيناً ، قال تعالى : " وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ " وقوله : " وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا " وقوله : " فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (١)

(**ظهر**) الشىءُ أصله أن يحصل شىء على ظهر الأرض فلا يخفى ، وبَطَنَ إذا حصل فى بُطْنان الأرض فيخفى ، ثم صار مستعملاً فى كل بارز مُبْصَر بالبصر والبصيرة . قال تعالى : " أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ " ، وقوله : " مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ " وقوله : " إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا " وقوله : " يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " أى : يعلمون الأمور الدنيوية دون الأخروية ..... وقوله : " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ " أى كثر وشاع ، وقوله : " نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً " . (٢)

قال صاحب اللسان : " بدا الشىء يبدو بَدْواً وبُدُوًّا وبَداً ، الأخيرة عن سيبويه : ظهر ، وأبديته أنا : أظهرته ، وبداوة الأمر : أَوَّلُ ما يبدو منه ، هذه عن اللِّحيانى . (٣)

جاء فى مقاييس اللغة : ظهر : الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبُروز ، من ذلك : ظهر الشىء يَظْهَرُ ظهوراً ، فهو ظاهر : إذا انكشف وبرز ، ولذلك سُمِّىَ وقت الظهور والظهيرة ، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها ، والأصل فيه كله ظهر الإنسان وهو خلاف بطنه ، وهو يجمع البروز والقوة . (٤)

وجاء فى المعجم الفروق اللغوية :

الفرق بين الظهور والبُـدُوّ : أن (الظهور) يكون بقصد ، وبغير قصد ، تقول : استر فلان ، ثم ظهر ، ويدل هذا على قصده للظهور ، ويقال ظهر أمر فلان ، وإن لم يقصد لذلك ، فأما قوله تعالى : " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ " (الروم /٤١) ، فمعنى ذلك الحدوث ، وكذلك قولك : ظهرت فى وجهه حمرة ، أى : حدثت ولم يعنِ أنها كانت فيه فظهرت .

و (البدو) : ما يكون بغير قصد ، تقول : بدا البرق ، وبدا الصبح ، وبدت الشمس ، وبدا لى فى الشىء ، لأنك لم تقصد للبدو " . (٥)

---

(١) انظر : الراغب – المفردات – ص (٤٩)

(٢) نفسه – ص (٣٢١)

(٣) انظر : ابن منظور – اللسان – (بدو) (٦٥/١٤)

(٤) انظر : ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الظاء والهاء وما يثلثهما (٤٧١/٣)

(٥) العسكرى – معجم الفروق اللغوية – (١ / ٣٤٤)

(**قلت**) : مما سبق يمكننا استنتاج أن الفعل " لَتُبْدِي " وجه ، وفضل فى رعاية السياق مما لو كان الفعل " لتظهر " ، وذلك للأسباب التالية :

(١) أن الفعل " لَتُبْدِي " كما سبق يكون أحياناً بدون قصد ، وهذا يؤكد حال أم موسى ، فإن خوفها عليه كاد يظهر عليها دونما قصد منها لشدة وجدها عليه ، والمرء إذا جاشت أحاسيسه انفلتت منه فى زلة اللسان أو فى صفحة الوجه .

(٢) أن البُدُوَّ كما سبق ، أول ما يبدو ويظهر من الأمر ، وهذا أيضاً فيه رعاية لمقتضى الحال ، لأن أم موسى ، كانت تكتم أمرها ، ولو بثته قبل ، لَقَرُبَ حالها من الفعل " **لتظهر** ". والله أعلم

(٣) أن (الظهور) لما كان فيه بروز وانكشاف ، ناسب السياق استعمال (البدو) الذى هو للستر والكتمان أقرب ، وفى ذلك دلالة واضحة على حصافتها ، وحرصها على سلامة ولدها .

(الغفلة والسهو)

جاء فى معجم الفروق اللغوية : الغفلة تكون عن فعل الغير ، تقول: كنتُ غافلاً عما كان من فلان ، ولا يجوز أن يسهى عن فعل الغير ، وقيل : السهو عدم التفطن للشىء مع بقاء صورته أو معناه فى الخيال أو الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها إلى بعض مهماتها ، والغفلة : عدم حضور الشىء فى البال بالفعل ، فهى أعم من السهو ولما كان ذلك من لواحق القوى الإنسانية كان مسلوباً عن الملائكة . (١)

وجاء فى التعريفات : (الغفلة) : وقيل : الغفلة عن الشىء ، هى ألا يخطر ذلك بباله " . (٢)

وجاء فى مقاييس اللغة : غفل : الغين والفاء واللام :

أصل صحيح يدل على ترك الشىء سهواً ، وربما كان عن عمد ، من ذلك ، غفلت عن الشىء غَفْلَةً وغُفُولاً ، وذلك إذا تركته ساهياً ، وأغفلته ، إذا تركته على ذكر منك له .

ويقولون لكل ما لا مَعْلَم له : غُفْلٌ ، كأنه غُفِل عنه ، فيقولون : أرضٌ غُفْلٌ : لا عَلَمَ بها ، وناقة غُفْل : لا سمة عليها ، ورجلٌ غُفْل : لم يجرب الأمور . (٣)

وجاء فى المصدر نفسه :

---

(١) أبو هلال العسكرى – الفروق اللغوية (٣٨٩/١)

(٢) الجرجانى – (التعريفات)– (٢٠٩)

(٣) ابن فارس – المقاييس – باب الغين والفاء وما يثلثهما (٤ / ٣٨٦)

obeikandi.com

(سهو) : يدل على الغفلة والسكون ، فالسهو : الغفلة ، يقال : سهوت فى الصلاة أسهو سَهْواً ، ومن الباب المساهاة ، حسن المخالقة ، كأن الإنسان يسهو عن ذلة إن كانت من غيره ، والسهو : السكون يقال : جاء سهواً رَهْواً . [1]

(قلت) : ما سبق نستنتج :

(١) أن القبط غفلوا عن دخول موسى – عليه السلام – المدينة ، وأن هذا الدخول لم يخطر لهم على بال لأنه كما سبق من فعل غيرهم

(٢) أن غفلتهم هذه أعم من السهو لعدم العلم بالشىء ابتداءً ولو كان العكس هو الصحيح لجاز أن ينتبه إليه ، لأن الساهى عنده علم مسبق ذهل عنه بخلاف الغفلة . والله أعلى وأعلم

وكز

جاء فى مقاييس اللغة : (وكز) يقال : وكزه : طعنه ، ووكزه : جمعه بجُمع كفه ، ووكزه : دفعه . [2]

وجاء فى مختار الصحاح : و ك ز : (وكزه) ضربه ودفعه ، وقيل : ضربه بِجُمْع يده على ذقنه ، وبابه وَعَدَ . [3]

وجاء فى الصحاح تاج اللغة : (وكز) الأصمعى : وكزه مثل نكزه ، أى : ضربه ودفعه ، ويقال : وكزه أيضاً : ضربه بجُمْع يده على ذقنه . [4]

(قلت) : ومن الواضح أن ضربة موسى – عليه السلام – لم تكن ضربة إماتة بل كانت ضربة ردع وإخافة بدليل أنها قد تكون فى الذقن وهو ما لا يميت أو يقتل .

(غَوِىَ – مُضِلّ)

---

(١) نفسه – (١٠٧/٣)

(٢) المقاييس باب الواو والكاف وما يثلثهما (١٣٩/٦) وانظر : المفردات (وكز) – ص (٥٤٦)

(٣) زين الدين الرازى – مختار الصحاح –تحقيق : يوسف الشيخ محمد– المكتبة العصرية – بيروت – ط٥ : : ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م– (وكز) – (٣٤٤/١).

(٤) الجوهرى – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين– للملايين– بيروت – ط٦ : ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م – باب الزاى فصل الكاف (٩٠١/٣)

obeikandi.com

* قال الزمخشرى : استغواهم بالأمانى الكاذبة ، وهو من الغواة ، ومن أهل الغواية ، وتقول : هو فى غياية الضلال ، وغواية الضلال ، وتغاووا عليه فقتلوه : تألبوا عليه تألب الغواة ، قال :

تغاوت عليه ذئاب الحجاز	✹	بنو بهثةٍ وبنو جعفر . (١)

* وذكر **ابن فارس** أن لمعنى (غَوِىَ) معنيان : أحدهما : يدلُّ على خلاف الرشد ، وهو إظلام الأمر . والآخر : يدل على فساد فى شىء .

والأول مشتق من الغياية ، وهى الغُبْرة والظلمة تغشيان ، كأن ذا الغى قد غشيه مالا يرى معه سبيل الحق ، ويقال : تغايا القوم فوق رأس فلان بالسيوف ، كأنهم أظلوه بها .

والمعنى الآخر مأخوذ من قولهم : غَوِى الفصيل : إذا أكثر من شرب اللبن ففسد جوفه ، والمصدر الغَوَى . (٢)

* **وفى معجم الفروق اللغوية** : الفرق بين (الغى – الضلال)

(١٥٧٧) – أصل الغىّ : الفساد ، ومنه يقال : غَوِى الفصيل : إذا بشم من كثرة شرب اللبن ، وإذا لم يَرْوَ من لبن أمه فمات هزلاً ، فالكلمة من الأضداد .

وأصل الضلال : الهلاك ، منه قولهم : ضلت الناقة ، إذا هلكت بضياعها وفى القرآن : " أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ " أى : هلكنا بتقطع أوصالنا .

فالذى يوجبه أصل الكلمتين :(١) أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغىّ فيه .

(٢) يستعمل الضلال أيضاً فى الطريق كما يستعمل فى الدين ، فيقال : ضلّ عن الطريق : إذا فارقه .

(٣) لا يستعمل الغىّ إلا فى الدين خاصة .

(٤) وربما استعمل الغىّ فى الخيبة ، يقال : غوى الرجل : إذا خاب فى مطلبه . (٣)

* **وجاء فى القاموس المحيط** : (غَوِىَ) : الغىّ : الضلال والخيبة أيضاً . (٤)

---

(١) انظر : الزمخشرى – أساس البلاغة – (غوى)

(٢) انظر : ابن فارس – مقاييس اللغة – (غوى) (٤/٤٠٠) باختصار – وانظر : الخليل بن أحمد – العين – باب اللفيف مع الغين (٤/٤٥٦)

(٣) انظر : معجم الفروق اللغوية (١/٣٩٣) بتصرف يسير

(٤) انظر : الفيروز آبادى : القاموس المحيط .(غوى)

obeikandi.com

(**قلت**) : (١) ينبغى أن ننبّه على أن الضلال الذى وصف به الشيطان ، بخلاف الضلال الذى هو التيه عن الحق ، لأن الضلال ضلالان : أحدهما : من أتاه الحق ولم يقبله . والثانى : من لم يبلغه الحق ، ولم تقم عليه الحجة . (١)

(٢) مما يسترعى الانتباه ، وصف موسى – عليه السلام – للشيطان بالإضلال ، وللإسرائيلى من شيعتة بالغواية ، واللفظان من المترادفات ، لكن مجيئهما فى آية النجم مجتمعين " مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ " (النجم/٢) ، يؤكد أن ثمة مفارقات ومخالفات بينهما ، وهو ما أكدته المعاجم اللغوية السابقة ، وأكده المفسرون ، يقول ابن كثير : " هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول– صلى الله عليه وسلم– بأنه راشد تابع للحق ، ليس بضال : وهو الجاهل الذى يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوى : هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره " (٢)

ويقول السعدى : " والمقسم عليه ، تنزيه الرسول عن الضلال فى علمه والغى فى قصده " (٣)

(٣) نستنتج مما سبق ذكره فى المعاجم والتفاسير أن :

لفظ (غوى) يدل على :
- التقصُّد والتعمد ، كما ذكر ابن كثير ، وأبو هلال العسكرى
- الغواية خاصة بالدين ، كما جاء فى معجم الفروق اللغوية
- مخالفة الرشاد ، والانهماك فى الباطل ، كما ذكر الخليل ، وابن فارس
- الفساد كما ذكرابن فارس وهو نتاج الإفراط من كثرة شرب الفصيل اللبن
- الخيبة ، كما جاء فى القاموس المحيط .

ولفظ "الضلال" يدل على
- الضلال فى الدين ، والضلال فى الطريق ، كما جاء فى معجم الفروق اللغوية
- الهلاك والموت من ضياعٍ أو تِيهٍ ، كما جاء فى معجم الفروق اللغوية
- شدة الغىّ ، كما جاء فى معجم الفروق اللغوية .

(٤) فعلم مما سبق أن بين اللفظين عموم وخصوص من وجهين :

---

(١) انظر : ابن عثيمين – شرح رياض الصالحين – (١/ ٤٢٦)

(٢) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٤/٢٤٦)

(٣) السعدى – تفسير السعدى – (٨٤٨)

obeikandi.com

فالضلال أخص من الغواية ، لكونه أشدهما ، والغواية أخص من الضلال ، لكونها تشمل الغواية المعنوية " فى الدين "

والنتيجة :

إن وصف الشيطان بالإضلال أليق من الإغواء ، لأن الإضلال – كما سبق – أشد من الغواية ولا يعكر أحدٌ علينا ، بأن الضلال ليس من معانيه التعمد بخلاف الغواية ، والجواب أن هذا ليس ضلالاً ، بل إضلال ، والإضلال لا بد فيه من القصد ،علم ذلك من التعدية، ويؤكده قبله لفظ " عَدُوٌّ " وبعده " مُّبِينٌ " ، ويضاف إلى ذلك ، أن من دلالات الضلال الموت والهلاك تيهاً ، وأيضاً (الضلال) أعم من الغواية لشموله ضلال الدين والطريق ، فأفادت كل هذه الدلالات رعاية مقتضى أحوال هذا اللئيم .

وجاء وصف الإسرائيلى من شيعتة بـ " غَوِىّ" دون " مُغْوٍ " ، لأن غوايته فى نفسه ، فلم يغوِ غيره ، فتطابقت دلالات اللفظ مع حاله ، الذى قصد وتعمد ما فيه الفساد والخيبة ، بالاشتباك مع من لا طاقة به ، وهذا هو مخالفة الرشاد بعينه ، وهو ما قد يؤثر على دينه وإيمانه ، فكان هذا اللفظ أليق به .

بطش

البطش : التناول عند الصولة ، والأخذ الشديد فى كل شىء: بطشٌ به ، والله ذو البطش الشديد ، أى : ذو البأس والأخذ لأعدائه . (١)

وجاء فى تاج العروس :

بطش به يبطش ، وبه قرأ السبعة قوله تعالى : " يَوْمَ نَبْطِشُ " ويَبْطُشُ بالضم ، وبه قرأ الحسن البصرى ، وأبو جعفر المدنى : أخذه بالعنف والسطوة ، وتناوله بشدة عند الصولة ..... والبطش

---

(١) الخليل بن أحمد – العين – تحقيق : د. إبراهيم السامرائى ، ود. مهدى مخزومى – دار ومكتبة الهلال – بيروت – د. ت – باب الشين والطاء والياء (٦/٢٣٩-٢٤٠) – وانظر : ابن فارس – مقاييس اللغة – الباء والطاء وما يثلثهما – بطش (١/٢٦٢)

: الأخذ الشديد القوى فى كل شىء ، ومنه فى الحديث : " فإذا موسى باطش بجانب العرش أى متعلق به بقوة ، والبطش : البأس والأخذ " . (١)

وفى أساس البلاغة : " ومن المجاز : فلان يبطش فى العلم بباع بسيط ، وبطشت بهم أحوال الدنيا " .(٢)

(قلـــت) :

مما سبق : فإن البطش يستخدم فى القوة ، سواء أكانت فى حق كما حدث فى انتصار نبى الله موسى من الظالم ، أو فى باطل كما حدث مع قوم عاد ، قال تعالى عن قوم عادٍ : " وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ " ، فقد تكون بطشتهم لأخذ حق لهم ، بيد أنهم لا يكتفون به حتى يزايدوا على الناس بالتجبر والتكبر .

السبيل – الطريق – الصراط

جاء فى معجم الفروق اللغوية:

الصراط : هو الطريق السهل ، قال الشاعر :

غشونا أرضهم بالخيل حتى	✹	تركناهم أذل من الصراط

وهو من الذل خلاف الصعوبة وليس من الذل خلاف العز

والطريق : لا يقتضى السهولة .

والسبيل : اسم يقع على ما يقع عليه الطريق ، وعلى ما لا يقع عليه الطريق ، تقول : سبيل الله ، وطريق الله ، وتقول : سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل به ، ويراد به سبيل ما يقصد ، فيضاف إلى القاصد ويراد به القصد . أ. هـ

ثم قال أبو هلال فى الفرق بين السبيل والطريق : قد يفرق بينهما بأن السبيل أغلب وقوعاً فى الخير ، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك كقوله تعالى : " يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ " . (٣)

---

(١) الزبيدى – تاج العروس – تحقيق : مجموعة من المحققين – دار الهداية – د. ت – فصل الباء مع (بطش) (٨٢/١٧)

(٢) الزمخشرى – أساس البلاغة (بطش) (٦٥/١)

(٣) معجم الفروق اللغوية (٣١٣/١-٣١٤)

obeikandl.com

(قلت) : ويمكننا أن نستنتج أن كلمة (سبيل) أفادت أن موسى – عليه السلام – سأل الله سواء القصد وسواء الطريق ، أى سأله كليهما ، بلفظ واحد جامع .

الملأ – الجماعة

إن الملأ الأشراف الذين يملؤون العيون جمالاً والقلوب هيبةً ، وقال بعضهم : الملأ : الجماعة من الرجال دون النساء ، والأول الصحيح وهو من (ملأت) ، ويجوز أن يكون الملأ الجماعة الذين يقومون بالأمور من قولهم : هو ملىء بالأمر إذا كان قادراً عليه ، والمعنيان يرجعان إلى أصل واحد وهو الملء .(١)

وجاء فى مقاييس اللغة : الملأ : الأشراف من الناس ، لأنهم مُلِئوا كرماً . (٢)

وفى القاموس المحيط : " المَلَأ : كجَبَل : التشاور والأشراف – والعلية والجماعة والطمع والظن والقوم ذوو الشارة والتجمع والخلق " . (٣)

(قلت) : مما سبق، فالملأ هم جماعة أخص من مطلق الجماعة ، فهو الذين يملؤون العين والقلب وهم أهل الحل والعقد ، ومن بيدهم القرار ، ولذلك فإن اجتماعهم لا يكون إلا لأمر مريب ، سيما إذا كانوا ملأ فرعون ، وهو الذى دفع موسى –عليه السلام– إلى الخوف والخروج من مصر .

أمة – فئة – جماعة – طائفة

الفئة : هى الجماعة المتفرقة من غيرها من قولك : فأوت رأسه أى : فلقته ، وانفأى الفرج إذا انفرج مكسوراً ، والفئة فى الحرب : القوم يكونون ردء المحاربين يعنون إليهم إذا حالوا ومنه قوله عز وجل : " أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ " . (٤)

الطائفة : الطائفة فى الأصل الجماعة التى من شأنها الطوف فى البلاد للسفر ويجوز أن يكون أصلها الجماعة التى تستوى بها حلقة يطاف عليها .... والطائفة فى الشريعة قد تكون اسماً لواحد

---

(١) نفسه – (٥٠٩/١)

(٢) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الميم واللام وما يثلثهما (ملى) (٣٤٦/٥)

(٣) الفيروز آبادى – القاموس المحيط – باب الهمزة فصل الميم (ملأ) (٥٢/١)

(٤) معجم الفروق . ١٥٨٧. الفرق بين الفئة والجماعة . ص (١ / ٣٩٦)

، قال تعالى : " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ " ولا خلاف فى أن اثنين إذا اقتتلا كان حكمهما هذا الحكم ، وروى فى قوله عز وجل : " وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " أنه أراد واحداً .... (١)

(أمة) : جاء فى معجم العين .

والأمة : كل قوم فى دينهم من أمتهم ، وكذلك تفسير هذه الآية : " إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ " (الزخرف /٢٣) ، وكذلك قوله تعالى : " إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً " (الأنبياء / ٢٠) ، أى : دين واحد ، وكل من كان على دين واحد مخالفاً لسائر الأديان فهو أمة على حدةٍ ، وكان إبراهيم –عليه السلام – أمةً ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يبعث يوم القيامة زيد بن عمرو أمةً على حدة " وذلك أنه تبرأ من أديان المشركين ، وآمن بالله قبل مبعث النبى عليه السلام .... وكل قوم نسبوا إلى نبى أو أضيفوا إليه فهم أمة ... وكل جيل من الناس هم أمة على حدة ، وكل جنس من السباع أمة ، كما فى الحديث : " لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها ، فاقتلوا منها كل أسود بهيم ". (٢)

وجاء فى مقاييس اللغة :

وحكى أبو زيد : لا أُمَّةَ له ، أى : لا دين له .... وكذلك كل من كان على دين حق مخالف لسائر الأديان فهو أمة ، وكل قوم نسبوا إلى شىء أو أضيفوا إليه فهم أمة ، وكل جيل من الناس على حدة فهم أمة . (٣)

(قلت) : مما سبق نستنتج أن الله –عز وجل – عبّر (بالأمة) عن الرعاة ، لأنهم جمع من الناس نسبوا إلى الرعى قال تعالى : " قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ " (القصص / ٢٣) هذه واحدة ، والأخرى أنهم جميعاً من مدين أى يضافوا أو ينسبون إلى مدين ، وأيضاً الجميع اجتمعت فيه خصلة قلة المروءة ، وأيضاً يجمعهم دين واحد ،وجيل واحد ، لذلك صحّ أن يخبر عنهم (بالأمة) ، وكانت أرعى لحالهم .

(خطبكما)

---

(١) السابق – (١٣٢٨)

(٢) الخليل ابن أحمد – العين – باب اللفيف من الميم (٤٢٧/٨)

(٣) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الهمزة فى الذى يقال له المضاعف (أم) (١/ ٢٧)

(الخطب) : سبب الأمر . (١)

وفى القاموس المحيط : الخطب : الشأن والأمر صغر أو عظم (ج) خطوب .(٢)

وفى أساس البلاغة : حمار أخطب : بيّن الخُطبة وهى غبرة ترهقها خضرة ، وتقول له : أنت الأخطب البيّن الخُطبة ، فتخيّل إليه أنه ذو البيان فى خطبته ، وأنت تثبت له الحمارية ، وناقة خطباء ، وحمامة خطباء القميص ، وامرأة خطباء الشفتين ، وحنظلة خطباء ، وأمر من الخطبان ، وهو جمع الأخطب ، كأسود وسودان ، والمرض والحاجة خطبان ، أَمَرُّ من نقيع الخطبان ..... وما خطبك : ما شأنك الذى تخطبه ، ومنه هذا خطب يسير ، خطب جليل ، وهو يقاسى خطوب الدهر . (٣)

(قلت): مما سبق : فالخطب يكون فى الحدث غير العادى سواء عظم أو صغر، لذلك كان من البلاغة بمكان أن سأل عنه نبى الله موسى – عليه السلام – .

(الظل والفىء)

الظل: يكون فى الليل والنهار ، والفىء يكون فى النهار فقط . (٤)

(تولى)

جاء فى القاموس المحيط : وَلّى تولية : أدبر ، كتَوَلّى . (٥)

(قلت): ومعلوم أن صيغة (تولّى) على وزن (تفعّل) ، ومن معانى هذه الصيغة :(التجنب)

، كتحرّج – تهّجد : أى تجنب الحرج أو الهجود أى : النوم . (٦)

فيكون المعنى بأن موسى –عليه السلام– لما قضى حاجة البنتين تجنبهما خشية الاختلاط إلى الظل ، وهذا من تمام عفته صلى الله عليه وسلم .

(فقير – مسكين)

---

(١) الخليل ابن أحمد – العين – بال الخاء والطاء والباء معهما (٢٢٢/٤)

(٢) الفيروز آبادى – القاموس المحيط – باب الباء فصل الخاء (خطب) (٨١/١)

(٣) الزمخشرى – أساس البلاغة (خطب) (٢٥٥/١)

(٤) انظر : معجم الفروق اللغوية (٣٢٩/١)

(٥) الفيروز آبادى – نفسه – باب الواو والياء فصل الواو– (ولى) (١٣٤٤/١)

(٦) انظر : الشيخ الحملاوى – شذا العرف – علق عليه : د. أحمد شتيوى . دار الغد الجديد . المنصورة . ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م . ص (٤١)

obeikandl.com

قال ابن فارس : (فقر) الفاء والقاف والراء أصل صحيح يدل على انفراج فى شىء من عضو أو غير ذلك ، من ذلك : الفقَار للظهر ، الواحدة فَقَارّة ، سميت للحزوز والفصول التى بينها ، والفَقِير : المكسور فَقَار الظهر ، وقال أهل اللغة : منه اشتق اسم الفقير ، وكأنه مكسور فقار الظهر ، من ذلته ومسكنته ، ومن ذلك : فقرتهم الفاقرة ، وهى الداهية ، كأنها كاسرة لفَقَار الظهر ، وبعض أهل العلم يقولون : الفقير : الذى له بلغة من عيش ويحتج بقوله :

أما الفقير الذى كانت حلوبته * وَفْق العيال فلم يُتْرَك له سَبَدُ

قال : فَجَعل له حلوبة ، وجعلها وفقاً لعياله ، أى : قوتاً لا فضل فيه . (١)

قال ابن منظور : (فقر) : الفَقر والفُقْر ضِد الغنى ، مثل الضَّعف والضُّعف .

الليث : الفُقْر لغةٌ رديئةٌ ، ابن سيده : وقَدْر ذلك أن يكون له ما يكفى عياله – واستدل بالبيت السابق ....و(المسكين) الذى لا شىء له ، قال يونس : الفقير أحسن حالاً من المسكين ، قال : وقلت لأعرابى مرة : أفقيرٌ أنت ؟ ، فقال : لا والله بل مسكين ، فالمسكين أسوأ حالاً من الفقير ، ونقل هذا عن أبى عمرو بن العلاء فيما يرويه عن يونس ، وكذلك عن ابن سلام عن يونس وكذلك أبو حنيفة ... ثم نقل القول الآخر وعلى رأسه الأصمعى والشافعى ، فقال : الأصمعى : المسكين أحسن حالاً من الفقير ، قال : وكذلك قال أحمد بن عبيد قال أبو بكر : وهو الصحيح عندنا ، لأن الله تعالى سمّى من له الفلك مسكيناً فقال : " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ " وهى تساوى جملة ، قال : والذى احتج به يونس من أنه قال لأعرابى أفقير أنت ؟ فقال : لا والله بل مسكين ، يجوز أن يكون أراد والله بل أنا أحسن من الفقير ، والبيت الذى احتج به ليس فيه حجة ، لأن المعنى كانت لهذا الفقير حلوبة فيما تقدم ، وليست له في هذه الحالة حلوبةٌ ، وقيل : الفقير الذى لا شىء له والمسكين الذى له بعض ما يكفيه وإليه ذهب الشافعى – رضى الله عنه – ، وقيل فيها بالعكس وإليه ذهب أبو حنيفة – رحمه الله – ، ثم يلفتنا ابن منظور إلى معنى آخر فى المسكين فيقول : والمساكين : الطوافون على الأبواب .... والمساكين : السُّؤَّال ، من له حرفة تقع موقعاً ولا تغنيه وعياله ، قال الأزهرى : الفقير أشدّ حالاً عند الشافعى – رحمه الله –. (٢)

---

(١) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الفاء والقاف وما يثلثهما – (فقر)– (٤/٤٤٤)

(٢) ابن منظور – لسان العرب – باب الراء فصل الفاء (فقر) (٥/٦٠-٦١)

واختار الثعالبى فى فقه اللغة أن المسكين أفضل حالاً من الفقير ، وردّ على ابن قتيبة الذى يرى العكس واستدل ببيت الراعى السابق فقال : وقد غلط ، لأن المسكين هو الذى له البلغة من العيش ، أما سمع قول الله –عز وجل– : " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ " فأثبت لهم سفينة ... وقول الله –عز وجل– أولى ، وقد يجوز أن يكون الفقير مثل المسكين أو دونه فى القدرة على البلغة . (١)

وذكر صاحب معجم الفروق اللغوية هذا الخلاف ، غير أنه قَوّى قوله : بأن المسكين أشد من أوجه نذكر منها :

الأول : التأكيد به ، فإنه يقال فقير مسكين ولا يقال العكس . والتأكيد إنما يكون بالأقوى .

الثانى : قوله تعالى : " أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ " وهو المطروح على التراب لشدة الاحتياج ، وذكر أشياء أخر .(٢)

(قلت) : وقد نرد هاتين الحجتين بما يلى :

أما قوله : التأكيد ، وأنه يكون الأقوى ، فنحن قد نرده بقولنا عن العُصاة : مساكين الآخرة ، وغالبهم أغنياء فى الدنيا ، فالمعنى : أسكنتهم معاصيهم فى الآخرة ، وقريب من هذا ما قاله ابن منظور : " فأما المسكين فالذى أذله الفقر ، فإذا كان هذا إنما مسكنته من جهة الفقر حلّت له الصدقة ، وكان فقيراً مسكيناً ، وإذا كان مسكيناً قد أذله سوى الفقر ، فالصدقة لا تحل له " (٣)

وأما قوله : إن الله –عز وجل– قال : " أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ " (البلد /١٦)

فلا دليل له فيها ، قال الفخر الرازى فى تفسيره : " واحتج الشافعى بهذه الآية على أن المسكين قد يكون بحيث يملك شيئاً ، لأنه لو كان لفظ المسكين دليلاً على أنه لا يملك شيئاً ألبته لكان تقييده بقوله : ذَا مَتْرَبَةٍ تكريراً ، وهو غير جائز . (٤)

(قلت) مما سبق نستنتج أن :

(١) أن الفقر أشد من المسكنة .

(٢) أن الفقير لا يسأل أحداً ، بخلاف المسكين فقد يسأل الناس .

(٣) أن المسكين قد يُسْكِنُه عارضٌ آخر خلاف الفقير.

---

(١) انظر: الثعالبى – فقه اللغة – دار ابن خلدون – مصر .د. ت ص (٤٥–٤٦)

(٢) انظر: معجم الفروق اللغوية – ١٦٤٥ الفرق بين الفقير والمسكين (٤١٠/١)

(٣) ابن منظور – نفسه – فقر (٦١/٥)

(٤) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – (١٧٠/٣١)

obeikandi.com

(٤) أن الفقر مشتق من كسر الفَقَار ، والمسكين مشتق من السكون فيكون الفقر أشد وأبلغ فى الحاجة ، وحالهُ أعوز من المسكين ، لأن سكون المسكين فى يده بخلاف الفقير الذى هو من الكسر .

إذا لاحظنا هذه المعانى مجتمعة فى دعوة موسى –عليه السلام– لربه وهو فى أشد ما يكون من الحاجة إليه ، وقد بلغ به الإعواز ما بلغ ، ومع ذلك لا يسأل أحداً إلا الله ، ولا يذل ولا يخنع إلا لمولاه ، لذلك ناجى ربه بأنه فقير إليه وفى ذلك دلالة على أن الفقير صفر اليدين من المال ، يكف النفس عن سؤال الناس ، وهذا حقاً خلق الفقير إلى الله ، وهذا أليق بموسى – عليه السلام – .

ليجزيك – يعطيك – يكافئك – يشكرك

قال ابن فارس : (جزى): الجيم والزَّاى والياء : قيام الشىء مقام غيره ومكافأته إياه ، يقال : جزيت فلاناً أَجْزِيه جَزَاءً ، وجازيته مُجَازاةً ، وهذا رجلٌ جازيكَ من رجلٍ ، أى : حسبك ، ومعناه : أنه ينوب مناب كل أحد ، كما تقول : كافيك وناهيك ، أى كأنه ينهاك أن يُطْلَبَ معه غيره . وتقول : جزى عنى هذا الأمر يجزى ، كما تقول قضى يقضى ، تجازيت دينى على فلان أى تقاضيته ، وأهل المدينة يسمون المتقاضى المتجازى .

قال جل ثناؤه : " وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا " (البقرة /٤٨) أى لا تقضى . (١)

جاء فى معجم الفروق اللغوية :

١٢١٣– الفرق بين (الشكر والمكافأة):

أن الشكر على النعمة سُمِّىَ شكراً عليها وإن لم يكن يوازيها فى القدر كشكر العبد لنعم الله عليه ، ولا تكون المكافأة بالشر مكافأة به حتى تكون مثله ، وأصل الكلمة ينبئ عن هذا المعنى وهو الكفؤ ، يقال : هذا كفء هذا إذا كان مثله ، والمكافأة أيضاً تكون بالنفع والضر ، والشكر لا يكون إلا على النفع أو ما يؤدى إلى النفع على ما ذكرنا . (٢)

وجاء فى الفرق بين (الشكر والجزاء) :

أن الشكر لا يكون إلا على نعمة ، والنعمة لا تكون إلا لمنفعة أو ما يؤدى إلى منفعة كالمرض نعمة لأنه يؤدى إلى الانتفاع بعوض ، والجزاء يكون منفعة ومضرة كالجزاء على الشر. (٣)

---

(١) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الجيم فصل الزاى وما يثلثهما – (جزى) – (٤٥٦/١)

(٢) معجم الفروق اللغوية (٣٠٣/١)

(٣) نفسه – (٣٠١/١)

(قلت) : كل هذه المعانى قد يتصور أنها قد تؤدى الغرض ، ولكن الواقع بخلاف ذلك ، فمن ذلك :

(١) أنه امتنع قولها ليشكرك ، مع كون الشكر لا يُؤَدَّى إلا بالفعل بخلاف الحمد ، قال تعالى : " قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ " ، والشكر أيضاً يكون على النعم ، وموسى – صلى الله عليه وسلم – أسدى إليهما المعروف ابتداءً ، ولأن الشاكر لا يُوَفِّى المنعمَ حقَّه ، فصار فى ذكر الشكر إيحاء بالتقصير نحوه فى رد المعروف ، ولأن المجازاة فيها معنى القضاء ، فصار لموسى فضل عليهم ، بمثابة الدَّيْن الذى لابد أن يقضى ، وهو ما لا يؤديه غير لفظ المجازاة .

(٢) ويمتنع أيضاً قولها ليكافئك ، مع كون المكافأة والمجازاة يستويان فى أنهما يجريان على الخير والشر ، والمجازاة – كما سبق – فيها معنى المقاضاة التى تشبه قضاء الدَّيْن ، والدائن وإن وفّاه المدين حقَّه ، فله فضل الابتدار ، وهو مالا يؤديه لفظ المكافأة التى تشعر بالِّندِّيَّة .

(٣) وامتنع العطاء لأنه عام فى كل ما سبق ، والمجازاة أخص منه .

مما سبق نلاحظ أن ابنة الرجل الصالح كانت مع عفتها وحيائها حصيفة عاقلة ، وهذه الألفاظ آية ذلك .

نجوت – خلصت

قال الراغب :(نَجَوَ) : أصلُ النَّجاء الانفصال من الشىء ، ومنه نجا فلان من فلان ، وأنجيته ونجيته ، قال تعالى : " وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا " ، وقال : " إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ " وقوله : " وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ " .... والنَّجوة والنَّجاة : المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله ، وقيل: سُمِّى لكونه ناجياً من السيل ، وَنَجَّيْتُه : تركته بنجوة ، وعلى هذا : " فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ " . (١)

وفى مقاييس اللغة : وقولهم : بينى وبينهم نجاوةٌ من الأرض : أى سعة . (٢)

(قلت) : مما سبق نستنتج أن النجاة أخص من الخلاص لأنها :

(١) فيها دلالة الانقطاع عن المكروه ، لأنها من الانفصال عن الشىء .

(٢) فيها دلالة الخلاص والارتفاع عن أى مكروه .

(٣) فيها دلالة البعد عن المكروه والفرج بعد الضيق ، لأن من معانيها السعة .

---

(١) الراغب – المفردات – (نجو) – ص (٤٨٦)

(٢) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب النون والجيم وما يثلثهما –(نجو) – (٣٩٨/٥)

وباجتماع هذه المعانى الثلاثة يمكننا القول : إن النجاة تحرّز صاحبها من عدوه ، حتى كأنه فى حصن حصين أو بلد منيع .

آنس – آنست

قال ابن منظور : (الأَنْسُ) : خِلاف الوحشة ، وهو مصدر قولك أَنِسْتُ به بالكسر : أَنْساً وأَنَسَةً ، قال : وفيه لغةٌ أخرى : أَنَسْتُ به أُنْساً مثلَ كفرتُ به كُفْراً ، قال : والأُنْس والاستئناس هو التآنس .. (١)

وجاء فى المفردات : (إنس) : الإنس خلاف الجن ، والإنس خلاف النفور ، والإنسى منسوب على الإنس ، يقال ذلك لمن كَثُرَ أُنسه ، ولكل ما يؤنس به ، ولهذا قيل : إنسىّ الدابة للجانب الذى يلى الراكب وإنسىّ القوس للجانب الذى يُقبِل على الرامى ، والإنس من كل شىء مما يلى الإنسان ، والوحش مما يلى الجانب الآخر . (٢)

(قلت): وهذه الدلالات الاستئناسية للكلمة توحى بأن موسى عليه السلام وكأنه استشعر فى سفره وحشة ، وجاءت هذه النار لتؤنسه من وحشته ، وكان هذا هو بداية الرحمة والمنة من رب العالمين لموسى فى بداية نبوته ومنشأ سعادتهِ .

امكثوا

قال الراغب : (مكث) : المُكث ثبات مع انتظار ، يقال : مكث مُكثاً ، قال تعالى : " فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ " وقُرِئ مَكُث ، قال : " إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ " وقال : " فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا " . (٣)

وفى مقاييس اللغة : (مكث) الميم والكاف والثاء كلمة تدل على توقف وانتظار ومَكَثَ مَكْثاً ومُكثاً ، ورجلٌ مَكِيثٌ : رَزِين غير عجول ، ومَكَثَ ومَكُثَ والتمكث : الانتظار (٤) ، فدل الأمر من موسى –عليه السلام– لأهله بالمكث على الثبات مع انتظار رجعته بالخبر أو الجذوة

أتى – جاء

قال الراغب : (أتى) : الإتيان مجىء بسهولة ، ومنه قيل للسيل المار على وجهه : أَتِىٌّ وأتاوِىٌّ ، وبه شُبِّه الغريب فقيل : أتاوى . والإتيان : يقال للمجىء بالذات وبالأمر وبالتدبير ، ويقال فى

---

(١) ابن منظور – لسان العرب – باب السين فصل الهمزة – (أنس) – (١٢/٦)

(٢) الراغب – نفسه – (إنس)– ص (٣٨)

(٣) السابق . (مكث) (٤٧٣)

(٤) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الميم والكاف وما يثلثهما – (مكث) (٣٤٥/٥)

الخير وفى الشر وفى الأعيان والأعراض ، نحو قوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ " وقولـه : " أَتَىٰ أَمْرُ اللَّـهِ " وقولـه : " فَأَتَى اللَّـهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ " أى بالأمر والتدبير ، نحو : " وجَاءَ ربّكَ " وعلى هذا النحو قول الشاعر :

أتيتَ المُروءةَ من بابِها

وقوله : " **فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا** " ، وقوله : " **وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ** " أى : لا يتعاطون ، وقولـه : " **يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ** " وفى قراءة عبد الله : " **تأتى الفاحشة** " ، فاستعمال الإتيان منها كاستعمال المجىء فى قوله : " **لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا** " ، ..... وكل موضع ذكر فى وصف الكتاب آتينا فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه أُوتوا ، لأن أوتوا قد يقال إذا أُولِىَ مَنْ لم يكن منه قبول ، وآتيناهم يقال فيمن كان منه قبول .(١)

وقال الراغب فى مادة (جاء) : جاء : يجئُ جِيئَةً ومَجيئاً ، والمجىءُ كالإتيان ، لكن المجىء أعم ، لأن الإتيان مجىء بسهولة ، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول ، والمجىء يقال اعتباراً بالحصول ، ويقال : جاء فى الأعيان والمعانى ، ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً. (٢)

وجاء فى معجم الفروق اللغوية :

(٢٤٩) – الفرق بين (الإقبال والمضى والمجىء) : أن الإقبال الإتيان من قِبَلِ الوجه ، والمجىء إتيان من أى وجه كان . (٣)

وقال : (٥٩٤) الفرق بين (جاء فلان وأتى فلان) : أن قولك: جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة ، وقولك : أتى فلان يقتضى مجيئه بشىء ، ولهذا يقال: جاء فلان نفسه ، ولا يقال : أتى فلان نفسه ، ثم كثر ذلك حتى استعمل أحد اللفظين فى موضع الآخر . (٤)

وجاء فى مقاييس اللغة : (أتى)

قال الخليل : (الأَتِىُّ) ما وقع فى النهر من خشب أو ورق مما يحبس الماء ، نقول : أَتِّ لهذا الماء ، أى : سَهِّلْ جَرْيَه ، و الأَتِىُّ عند العامة : النهر الذى يجرى فيه الماء إلى الحوض (٥)

---

(١) الراغب – المفردات – (أتى) ص (١٨)

(٢) نفسه – (جاء) ص (٩١)

(٣) انظر: معجم الفروق اللغوية (٦٣/١)

(٤) نفسه (١٥٢/١)

(٥) ابن فارس – مقاييس اللغة – (أتى) (١ / ٥١ – ٥٢)

وقال الخليل بن أحمد فى العين – أيضاً – : وقالت طائفة من الناس : الأَتِيُّ : السيل الذى لا يدرى من أين أتى ، وأتَّيت للماء تَأْتِيًا : إذا حَرَفتُ له مجرى. (١)

وقال الفيروز آبادى فى القاموس المحيط : " وأتَّيتُ الماءَ تَأْتِيَةً وتَأَتِّياً : سهَّلْتُ سبيلَه " (٢)

وقال فى (جاء) :جاء يجيء جيئاً وَجْيَئة ومجيئاً : أتى . (٣)

وقال أبو البقاء الكفوى : الإتيان : هو عام فى المجىء والذهاب ، وفيما كان طبيعياً وقهرياً ، والذهاب يقابل المجىء ، والمرور يعمه وعند الراغب : المجىء : أعم ، لأن الإتيان مجىء بسهولة ، ثم ذكر فوارق بين الفعلين فى المعنى وفى التعدى بحرف . (٤)

وفى جمهرة اللغة :

أُتِيَ ، وأَتَى يأتِى أَتِياً ، ويأتو أَتْوًا حسناً ....قال أبو بكر : هكذا لغة هذيل: أتا يأتو أَتَوًا ، يقال : ما أَحْسَنَ أَتْوَ قوائم الناقة وأتيها فى السير ، (الأَتِىُّ) : السيل بعينه يأتيك من بلد مطر من غير بلدك . (٥)

(قلت) :

(١) قد يكون المقصود بالمجىء : تحقق الوصول ، والإتيان هو التقصد أو الانتواء وهذا أخذ من قول الراغب : والإتيان قد يقال باعتبار القصد ، وإن لم يكن منه الحصول ، والمجىء يقال اعتباراً بالحصول .

وعلى هذا الاعتبار يفهم من قوله تعالى : " فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ " أن مجيئها تحقَّقَ لموسى – عليه السلام – بدليل أنه رأى حياءها فى مجيئها . ويقاس على ذلك قوله : " وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ " ، لأن المجىء مُحَقَّقٌ ، وقول كل نبى لقومه ، كما قال عيسى –عليه السلام – :

---

(١) الخليل – العين – باب اللفيف من التاء (أتى) (٨ / ١٤٦)

(٢) الفيروز آبادى – القاموس المحيط – باب الواو الياء فصل الهمزة – (أتى) (١٢٥٨/١)

(٣) نفسه – (جاء) – (٣٦/١)

(٤) أبو البقاء الكفوى – الكليات – تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصرى – مؤسسة الرسالة – بيروت – د. ت – فصل الألف والتاء – (أتى) (٣٤/١) – وانظر : فصل الجيم (جاء) (٣٥٦/١)

(٥) ابن دريد – جمهرة اللغة . تحقيق : رمزى بعلبكى – دار العلم للملايين – بيروت– ١٩٨٧ م – (أوى) : (أتى) (٢٣٠/١)

obeikandl.com

" وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ " لأنه تحقق لهم مجيء الآية ، وقول موسى للسحرة : " مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ " ... إلخ

(٢) أيضاً يراعى اعتبار أن مجيء الكفار يوم القيامة فيه مشقةً عليهم بخلاف الإتيان الذى فيه السهولة ، فكان التعبير به أليق وأنسب للمقام ، وكذلك المجيء بالنسبة لابنة الرجل الصالح إلى موسى كان فيه مشقة عليها ، نظراً لشدة حيائها . وهذا المعنى أخذ من قول الراغب ، والفيروزآبادى ، وأبى البقاء .

(٣) يمكننا التوفيق بين الآيات الثلاث : (النمل / ٨) ، و(القصص / ٣٠) ، و(طه /١١-١٢) أن موسى – عليه السلام – لما جاء وتحقق وصوله إلى محيط النار قال تعالى : " فَلَمَّا جَاءَهَا " ، وعندئذٍ طرح الله – عز وجل – البركة فى النار ومن حولها ، تمهيداً لمناجاته تعالى لموسى ، ولما قصدها لأخذ القبس منها ، بعدما طرحت البركة فى المكان ، كان التعبير بالتأتى أليق وأنسب من المجيء ، لما فيه من اليسر والسهولة ، والتقصد ، وكان النداء فى ذلك المقام " إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ " أو " إِنِّي أَنَا رَبُّكَ " ، وذلك عند منشأ سعادته ومبدأ نبوته .

جذوة – قبس

جاء فى فى الكليات : جذوة : مثلثة الفاء : قطعة غليظة من الحطب فيها نار لا لهب لها . (١)

وفى مقاييس اللغة : (جذو) الجيم والذال والواو ، أصل يدل على الانتصاب ، يقال : جذوت على أطراف أصابعى ، إذا قمت ، قال :

إذا شِئْتُ غَنّتنى دهاقينُ قريةٍ	✹	وَصَنَّاجةٌ تجذو على حَدِّ مَنْسِمِ

قال الخليل : يقال : جذا يجذو ، مثل جثا يجثو ، إلا أن (جذا) أدل على اللزوم . وهذا الذى قاله الخليل فدليل لنا فى بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام ، والخليل عندنا فى هذا المعنى إمام ، قال : ويقال : جذا القُراد فى جنب البعير ، لشدة التزاقه . (٢)

وقال ابن فارس فى (قبس) :

القاف والباء والسين أصلٌ صحيح يدل على صفة من صفات النار ، ثم يستعار من ذلك القبس : شعلة النار ، قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام : " لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ " (طه / ١٠) ... ومن هذا القياس قولهم : فَحْلٌ قبيسٌ ، وذلك إذا كان سريع الإلقاح ، كأنه شبيه بشعلة النار . (١)

---

(١) انظر : الكفوى : الكليات – (١ / ٣٥٨) – وانظر : المفردات – جذو (٩٧)

(٢) ابن فارس – المقاييس (جذو) (١/ ٤٤٠)

وجاء فى المفردات :

(قبس) : القبس المُتَنَاول من الشعلة ، قال تعالى : " أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ " والقبس والاقتباس طلب ذلك ، ثم يستعار لطلب العلم والهداية ، قال تعالى : " انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ " .(٢)

قال الطاهر بن عاشور :

والجِذوة مثلث الجيم ، وقرئ بالوجوه الثلاثة ، فالجمهور بكسر الجيم ، وعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها : وهى العود الغليظ ، قيل : مطلقاً ، وقيل : المشتعل وهو الذى فى " القاموس " ، فإن كان الأول فوصف الجذوة بأنها من النار وصف مُخَصَّصٌ ، وإن كان الثانى فهو وصف كاشف ، و (مِنْ) على الأول بيانية ، وعلى الثانى تبعيضية . (٣)

(قلت) :

(١) مما سبق قد يمكننا القول أن الجذوة أعم من القبس ، وذلك باعتبار أن الجذوة قد تطلق على العود الغليظ مطلقاً ، أو المشتعل ، والقبس هو المتناول من الشعلة .

(٢) أن معنى القبس فيه معنى الإضاءة ، ولذلك جاء معه لفظ (شهاب) ، كما فى سورة النمل ، وهو ما لم يأتِ مع لفظ الجذوة، لأنها – كما سبق – القطعة الغليظة من الحطب فيها نار ، لا لهب لها ، وفى ذلك دليل على إعجاز القرآن الكريم بتكرار القصة الواحدة ، بألفاظ مختلفة .

لكن يبقى الإشكال قائماً فى كون هذا الفعل لم يتكرر ، فكيف يأتى تارة بلفظ " قبس" ، وتارة بلفظ " جذوة "

والجواب :

إنه ربما تكرر مرتين ، الأولى عن بعد ، فعبَّر بالقبس ، والثانية لما اقترب منها وتحقق أنها ليست ناراً عبَّر بالجذوة ، وهى قطعة النار لا لهب فيها – كما سبق – ولعل ما يؤيد ذلك أنه عبَّر بالجذوة عندما وصل شاطئ الودى الأيمن ، على الوصف الذى ذكرته سورة القصص

_ والله أعلم _

(رِدْءًا)

---

(١) نفسه – (قبس) – (٥ / ٤٨)

(٢) الراغب – المفردات – (قبس) – ص (٣٩١)

(٣) انظر : الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – (١١١/٢٠) .

obeikandl.com

قال ابن منظور : رَدَأَ الشيءَ بالشيءِ : جعله له ردءًا ، وأردأه : أعانه ، وتَرَادَأَ القومُ : تعاونوا ، وأردأته بنفسى إذا كنت له ردءاً ، وهو العون ، قال الله تعالى : " فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي " . (١)

(أَطَّلَعَ)

هذا الفعل على وزن " افتعل " وهذه الصيغة من معانيها :

(١) الاجتهاد والطلب مثل : اكتسب – واكتتب أى : اجتهد فى طلب الكسب والكتابة

(٢) وأيضاً الإظهار : كاعتذر واعتظم ، أى : أظهر العذر والعظمة

(٣) وأيضاً المبالغة فى معنى الفعل : كاقتدر وارتدّ أى بالغ فى القدرة والردة . (٢)

(قلت): والفعل " أَطَّلَعَ " بهذا الوزن قد يدل على هذه المعانى الثلاثة مجتمعة ، وهو إن دلّ فإنما يدل على عظمة الله –عز وجل– ، وأنها لا تخفى على أحد حتى على فرعون الذى أراد أن يعد الصرح ، ثم يكابد المشقة فى الطلوع وبلوغ أسباب السموات ، كل ذلك يدل على اعتراف فرعون الضمنى على عظمة الخالق – جل وعلا – .

لأظنه – وظنوا

قال الراغب فى المفردات (ظن) : "الظن اسم لما يحصل عن أمارة ، ومتى قَوِيَتْ أدت إلى العلم ، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم ، ومتى قوى أو تُصوِّرَ تَصوُّرَ القويِّ استعمل معه (أنَّ)المشددة و (أَنْ) المخففة منها ، ومتى ضعف استُعْمِلَ أَنَّ وأنِ المختصة بالمعدومين من القول والفعل " أ. هـ كلامه ، ثم أخذ يدلّل على ذلك بالأمثلة من كتاب الله (٣)

وأما السيوطى – رحمه الله – فى الإتقان ، فبيّن ضوابطها نقلاً عن العلماء بما يكفى لكشف كثير من غوامضها ، فقال– رحمه الله– : (**ظن**) :

(١) أصله للاعتقاد أرجح ، كقوله تعالى : " إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ " (البقرة /٢٣٠)

وقد تستعمل بمعنى اليقين ، كقوله تعالى : " الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ " (البقرة /٤٦)

(٢) أخرج ابن أبى حاتم وغيره عن مجاهد ، قال : كل ظن فى القرآن يقين ، ولكن رُدَّ عليه بأن هذا مُشكل بكثير من الآيات لم تستعمل فيها بمعنى اليقين كالآية الأولى – يعنى قوله تعالى : " إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ " (البقرة /٢٣٠) .

---

(١) ابن منظور – لسان العرب – باب الهمزة فصل الدال – (ردأ) .(١ / ٨٤) .

(٢) انظر: الحملاوى – شذا العرف – ص (٤٠) .

(٣) انظر : الأصفهانى – المفردات (ظن) – ص (٣٢٠)

obeikandl.com

(٣) وقال الزركشى فى البرهان : الفرق بينهما فى القرآن ضابطان : أحدهما : أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين ، وحيث وُجِدَ مذموماً متوعداً عليه بالعقاب فهو الشك .

والثانى : أن كل ظن يتصل به أنّ المشدّدة فهو يقين ، كقوله تعالى : " إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ " (الحاقة /٢٠) ، " وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ " (القيامة /٢٨) ، وقُرئ " وأيقن أنه الفراق " ، والمعنى فى ذلك أنّ المشدّدة للتأكيد فدخلت على اليقين والخفيفة بخلافها فدخلت فى الشك ، ولهذا دخلت الأولى فى نحو : " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ " (محمد /١٩) ، " وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا " (الأنفال /٦٦) والثانية فى الحسبان نحو : " وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ " (المائدة /٧١) . ذكر ذلك الراغب فى تفسيره وأورد على هذا الضابط " وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ " (التوبة / ١١٨) وأجيب بأنها هنا اتصلت بالاسم ، وهو ملجأ ، وفى الأمثلة السابقة اتصلت بالفعل ، ذكره فى البرهان قال : فَتَمَسَّك بهذا الضابط فهو من أسرار القرآن .

(٤) وقال ابن الأنبارى : قال ثعلب : العرب تجعل الظن علماً وشكاً وكذباً ، فإن قامت براهين العلم ، فكانت أكبر من براهين الشك ، فالظن يقين ، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك ، وإن زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب ، قال الله تعالى : " إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ " (الجاثية /٢٤) أراد : يكذبون . انتهى . (١)

(٥) وفصّل بعض أهل العلم فى معنى الظن تفصيلاً آخر ، وهو جعله واحداً من الأقسام الثلاثة التى تقابل العلم ، قال الشرف العمريطى – رحمه الله – فى نظم الورقات فى أصول الفقه :

والظّنُّ تجويزُ امرئٍ أمرينِ	✸	مرجِّحاً لأحد الأمرين
فالراجح المذكور ظناً يُسْمَى	✸	والطَّرَفُ المرجوحُ يُسْمى وهما
والشكُّ تحريرٌ بلا رجحانِ	✸	لواحدٍ حيث استوى الأمران

ذكر المؤلف – رحمه الله – ما يقابل العلم ، وقد سبق أن العلم حكم يقينى ، فذكر فى هذه الأبيات ما يقابله ، وهو الظن والوهم والشك .

فالظن هو ترجيح أحد الأمرين على الآخر ، فالراجح يسمى ظناً والمرجوح يسمى وهماً ... والشك تجويز الأمرين على السواء ... هذا عند الأصوليين أما عند الفقهاء فالغالب عندهم استعمال الشك فى مقابلة اليقين .(٢)

---

(١) انظر : السيوطى – الإتقان – ص (٢٤١ – ٢٤٢) بتصرف .

(٢) انظر : ابن عثيمين – شرح نظم الورقات – دار ابن الهيثم . مصر . ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م (٣٩)

(**قلت**) مما سبق يمكننا أن نستنتج أن الظن فى قوله تعالى : " وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا " قد يكون بمعنى اليقين ، وقد يكون بمعنى الشك ، ذلك لأن الضوابط التى وضعها الزركشى أمامنا ليست واضحة فى هذه الآية ، بيد أن المقام وظروف المقال قد تملى علينا أن نقول بالاحتمال الثانى وهو الشك ، وذلك :

(١) أنه عَبَّر عن اليقين قبلها بالعلم فى قوله : " مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي " ، ولو قصد اليقين فى كلامه عن موسى لعبر بالعلم أيضاً قال السعدى رحمه الله : " وقال فرعون متجرئاً على ربه ومموهاً على قومه السفهاء ، ضعفاء العقول " يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي " أى : أنا وحدى إلهكم ومعبودكم ، ولو كان ثَمَّ إله غيرى لعلمته ، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون ، حيث لم يقل : ما لكم من إله غيرى ، بل تورع وقال : ما علمت لكم من إله غيرى ، وهذا لأنه عندهم العالم الفاضل ، الذى مهما قال فهو الحق ، ومهما أمر أطاعوه ، فلما قال هذه المقالة التى تحتمل أن ثَمَّ إلهًا غيره أراد أن يحقق النفى الذى جعل فيه ذلك الاحتمال ، فقال لهامان : " فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ " ليجعل له لبناً من فخار " فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا " أى بناءً عالياً " لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ " ، ولكن سنحقق هذا الظن ونريكم كذب موسى .(١)

وقال القرطبى – رحمه الله – : الظن هنا شك ، فكفر على الشك ، لأنه قد رأى من البراهين مالا يخيل على ذى فطرة . (٢)

(٢) ويؤيد حالة الشك وعدم اليقين التى تلبس بها فرعون أن مؤمن آل فرعون قال لهم : " وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ " (غافر/٣٤) فوسمهم بالشك والريبة مرتين ، وهذا واضح جلى فى حال كل من أشرك بالله العظيم .

لعنة – غضب

(لعن) اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، وذلك من الله تعالى فى الآخرة عقوبةً ، وفى الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه .

ومن الإنسان دعاءٌ على غيره ، قال تعالى : " أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ " وقوله : " وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ " وقوله : " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " وقوله : " وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ". (١)

---

(١) السعدى – تفسير الكريم الرحمن – القصص – ص (٦٣١)

(٢) القرطبى – تفسير القرطبى (١٣ / ٢٣١)

(غضب) : الغَضَبُ : ثوران دم القلب إرادةَ الانتقام ، ولذلك قال عليه السلام : " اتقوا الغضب ، فإنه جمرة تُوقَد فى قلب ابن آدم ، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه ، وإذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره ، قال تعالى : " فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ " وقوله : " وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ " ، وقال : " وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي " وقوله : " وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ " وقوله : " غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ " قيل : هم اليهود . (١)

(قلت) : وواضح أن الراغب أوّل صفة الغضب توافقاً مع مذهبه فى الأسماء والصفات ، ولذلك فنحن نقول : إن هذا فيه نظر ، لأن غضب الله لا يستلزم ثوران القلب كما أن رحمته لا تستلزم رقة وضُعفة القلب ، فصفات الله فرع عن ذاته ، والله – عز وجل– ليس كمثله شىء ، ولو انصف رحمه الله ، لأكمل الآية فى قوله تعالى : " وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " (الفتح/٦) ومعلوم أن قوله : " وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ " انتقام منهم أيضاً ولكنه لما عُطِف على الغضب علم أنه بخلافه ، لأن الأصل فى العطف المغايرة فانتفت بذلك حجة التأويل التى ذهب إليها الراغب .

الغضب أشد من اللعنة :

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– : وإذا قال قائل : لماذا الغضب أشد من اللعن ؟

قلنا : الغضب أشد ، لأن الغضب طرد مع غضب فهو أشد ، أما اللعن فإنه طرد بدون أن يغضب الله عليه . (٢)

وهنا يرد سؤال مهم ، إذا كان الغضب أشد ، فلماذا قال تعالى : " وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ " ؟ مع شدة غضبه عليهم ؟

والجواب :

أن اللعنة فى الآية من المؤمنين

قال القرطبى – رحمه الله – : " وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً " أى أمرنا العباد بلعنهم ، فمن ذكرهم لعنهم ، وقيل : أى ألزمناهم اللعن أى البعد عن الخير : " وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ " أى من المهلكين الممقوتين . (١)

---

(١) انظر : الراغب – المفردات (لعن) ص (٤٥٤)

(٢) نفسه – (غضب) ص (٣٦٣)

(٣) ابن عثيمين – تفسير آيات الأحكام – دار الغد الجديد – المنصورة – ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م – (٩٠٨/٢)

قال ابن كثير : " وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً " أى : وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسله كما أنهم فى الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم ، كذلك " وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ " ، قال قتادة : وهذه الآية كقوله تعالى : " وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ " . (٢)

(قلت) : وأما قوله تعالى : " وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ " فهذا من لوازم غضبه عليهم .

يتذكرون – يتفكرون – يتدبرون

جاء فى معجم الفروق اللغوية : (٤٦٩) – أن (التدبر) : تصرف القلب بالنظر فى العواقب ، و(التفكر) تصرف القلب بالنظر فى الدلائل

وقال : (٤٧٤) الفرق بين (التذكير والتنبيه) : أن قولك ذكر الشىء يقتضى أنه كان عالماً به ،ثم نسيه فردَّه إلى ذكره ببعض الأسباب ، وذلك أن الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان على ما ذكرنا ، ويجوز أن يُنَبّه الرجل على الشىء لم يعرفه قط ، ألا ترى أن الله ينبه على معرفته بالزلازل والصواعق ، ومنهم من لم يعرفه ألبته ، فيكون ذلك تنبيهاً له كما يكون تنبيهاً لغيره ولا يجوز أن يذكره ما لم يعلمه قط . (٣)

(قلت) : ومناسبة فاصلة التذكر أولى من غيرها فى هذه الآية ، ذلك لأنهم رأوا وشاهدوا نزول الكتاب بعد إهلاك فرعون ، فكان ذلك مدعاة حصول تذكيرهم بالله –عز وجل – وذلك عند قوله : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " (القصص /٤٣) قال القرطبى : " لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " أى ليذكروا هذه النعمة فيقيموا على إيمانهم فى الدنيا ويثقوا بثوابهم فى الآخرة . (٤)

(ثاوياً)

---

(١) انظر : القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – (٢٣٢/١٣)

(٢) انظر : ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٤٠٤/٣)

(٣) معجم الفروق اللغوية . (١٢٢/١)

(٤) انظر : القرطبى – التفسير – (٢٣٣/٣)

جاء فى القاموس المحيط : ثوى به يثوى ثَوَاءً وثُوِياً بالضم وأثوى به : (أطال الإقامة به وأنزل) . (١)

وقال الراغب فى المفردات :

ثوى : الثَّوَاء : الإقامة مع الاستقرار ، يقال: ثَوَىَ يَثْوِى ثَوَاءً . قال الله –عز وجل– : " وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ " وقال : " أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ " وقال تعالى : " فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ " وقال : " ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ " . (٢)

(قلت): وفى ذلك دليل على أن الأخبار التى قصها القرآن ما كان ليعرفها إلا من استقر وطالت إقامته فى مدين وغيرها ، وذلك دليل على أنه من لدن لطيف خبير . والله أعلى وأعلم

(يدرءون) (يدفعون)

جاء فى جمهرة اللغة : (درأ) : الدَّرْءُ : الدَّفع ، وبابه قَطَعَ ، و(دَرَأَ) طلع فجأة وبابه خضع ، ومنه كوكبٌ دِرِّيٌّ كسِكِّيت ، لشدة توقده وتلألُئه ، ودُرِّيٌّ بالضم ، منسوب إلى الدُّرِّ ، وقُرِئ (دُرِّىءٌ) بالضم والهمز ، و(دَرِّيء) بالفتح والهمز ، (وتدارأتم) و (ادَّارأتم) تدافعتم واختلفتم . (٣)

وجاء فى مقاييس اللغة : (دَرَأَ) فلانٌ إذا طلع فجأة ، وهو من الباب ، كأنه اندرأ بنفسه أى اندفع ، ومنه دَارَأْتُ فلاناً إذا دافعته ، وإذا لَيَّنْتَ الهمزة كانت بمعنى الخَتْل والخداع . (٤)

وفى لسان العرب : درأ : (الدَّرْء) الدفع . دَرَأَهُ يَدْرَؤُه دَرْأً ودَرْأَةً : دفعه ، وتدارأ القوم : تدافعوا فى الخصومة ونحوها واختلفوا . (٥)

(قلت) : مما سبق يمكن أن نستنتج أن الدَّرءَ من معانيه :

(١) الدفع فى الخصومة أو الشدة ونحوهما . (٢) المفاجأة فى الدفع .

---

(١) انظر : الفيروز آبادى – القاموس المحيط – (ثوى) – وانظر : ابن فارس – مقاييس اللغة باب الواو والياء فصل التاء (ثوى) (١٢٦٨/١) – وانظر: ابن منظور – لسان العرب – باب الواو والياء فصل التاء (ثوى) (١٢٥/١٤)

(٢) انظر : الراغب – المفردات – ثوى– ص (٩٠)

(٣) ابن دريد – جمهرة اللغة – (درأ) –(١٠٣/١)

(٤) ابن فارس – مقاييس اللغة – باب الدال واراء وما يثلثهما (درأ) (٢٧٣/٢)

(٥) انظر : ابن منظور – لسان العرب – باب الهمزة فصل الدال (درأ) (٧١/١)

obeikandl.com

لذلك يمكننا أن نقول: إن المؤمنين يتعاملون مع السيئة وكأنها خصم لَدُود يدفعونه عن أنفسهم ، وهم فى ذلك أيقاظ أن يُأْخَذُوا على غِرة ، ولذلك فهم يفاجئونها بدفعهم كلما بادرتهم مباغتين لها ، لذلك كان التعبير بالدَّرْء أليق وأنجع من الدفع .

(الهداية)

الهداية : هدايتان ، هداية إرشاد ودلالة ، والأخرى هداية توفيق ، فالأولى مما أوجبه الله تعالى على نفسه فقال : " إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ " وهى ثابتة لله –عز وجل– ابتداءً ، ثم للرسل –عليهم الصلاة والسلام – ، وللمؤمنين ممن يعملون عمل الأنبياء من إيصال الدعوة للناس .

قال تعالى مثبتاً ذلك للرسل : " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ " .

وقال تعالى مثبتاً ذلك لنبيه ﷺ : " وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " .

والثانية : وهى هداية التوفيق لا تكون إلا لله –عز وجل– ، ولذلك نفاها الله –عز وجل– عن أخص عباده خليله محمد ﷺ ، فقال عز من قائل : " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ " أى : هداية التوفيق ، " وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " . (١)

(فعميت)

قال الراغب : (عمى) العَمَى يقال فى افتقاد البصر والبصيرة ، ويقال فى الأول : أَعْمَى ، وفى الثانى : أَعْمَى وعَمٍ .... وعَمِىَ عليه ، أى : اشتبه حتى صار بالإضافة إليه كالأعمى ، قال : " فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ " ، وقوله : " وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ " .(٢)

وجاء فى القاموس المحيط : " والعَمَىَ أيضاً : ذهاب بصر القلب " (٣)

(سرمداً)

جاء فى القاموس المحيط : السرمد : الدائم والطويل من الليالى .(٤)

---

(١) انظر : ابن عثيمين – القول المفيد – (٢٧٥/١)– وانظر عبد الرحمن بن حسن آل شيخ – فتح المجيد – دار الدعوة الإسلامية – مصر . د . ت – (١٧٨) – و انظر : ابن عثيمين – شرح رياض الصالحين – باب المجاهدة – حديث (١١١) – (٤٢٦/١)

(٢) انظر : الراغب – المفردات – (عمى) ص (٣٥١– ٣٥٢) – و انظر : ابن فارس – مقاييس اللغة – باب العين والميم وما يثلثهما – (عمى) (١٣٤/٤–١٣٥)

(٣) انظر : الفيروز آبادى – القاموس المحيط – باب الواو والياء فصل العين (عمى) (١٣١٥/١)

(٤) نفسه – باب الدال فصل السين (سرمد) (٢٨٨/١)

قال الراغب : السرمد : الدائم ، قال تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً " ، وقوله : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً " .(١)

وجاء في المقاييس : (السرمد) : الدائم والميم فيه زائدة وهو من سَرَدَ ، إذا وصل ، فكأنه زمانٌ متصل بعضه ببعض . (٢)

(فبغى)

جاء في معجم الفروق اللغوية :

١٣٦٨ – (الفرق بين الظلم والبغى) : أن الظلم ما ذكرناه ، والبغى شدة الطلب لما ليس بحق بالتغليب ، وأصله فى العربية شدة الطلب ، ومنه يقال : دفعنا بغى السماء خلفنا ، أى : شدة مطرها ، وبَغَى الجرح يَبْغِى إذا ترامى إلى فساد ، يرجع إلى ذلك ، وكذلك البغاء وهو الزنا . (٣)

وجاء فى جمهرة اللغة لابن دريد : " تبيغ الدم : إذا هاج . (٤)

وجاء فى المفردات : (بغى) البغى : طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتَحَرَّى ، تَجَاوَزَهُ أو لم يتجاوزْه ، فتارةً يُعتبر فى القَدْر الذى هو الكمية ، وتارة يعتبر فى الوصف الذى هو الكيفية ، يقال : بَغَيْتَ الشىء : إذا طلبْتَ أكثر ما يجب ، وابتغيتُ كذلك ، قال –عز وجل– : " لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ " وقال تعالى : " يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ " والبغى على حزبين : أحدهما : محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع ، والثانى : مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل .... فالبغى فى أكثر المواضع مذموم ، وقوله : " غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ " أى : غير طالبٍ ما ليس له طلبه ولا متجاوز لما رسم له ..... وأما الابتغاء فقد خُصَّ بالاجتهاد فى الطلب فمتى كان الطلب لشىء محمود ، فالابتغاء فيه محمود ، نحو : " ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ " ، وقوله : " إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ " . (٥)

(الكنوز)

---

(١) انظر : الراغب – المفردات – (سرمد) ص (٢٣٧)

(٢) انظر : ابن فارس – مقاييس اللغة – باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله سين – (سرمد) (١٦٠/٣)

(٣) معجم الفروق اللغوية – (٣٤٢/١)

(٤) انظر : ابن دريد – جمهرة اللغة – ب غ ي – (٣٧١/١)

(٥) انظر : الراغب – المفردات – (بغى) ص (٦٥ – ٦٦)

obeikandl.com

الكنز : جعل المال بعضه على بعض ، وحفظُه ، وأصله من كنزت التمر فى الوعاء ، وزمن الكِناز وقت ما يُكْنَزُ فيه التمر ، وناقةٌ كِنَازٌ : مكتنزة اللحم ، وقوله : " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ " أى : يدخرونها .(١)

(قلت) : وهذا الأصل يدل على تراكم ثروة قارون وعظمها ، مع تمام الحفظ والأمان على نفسه وماله ، وهذا من تمام النعمة عليه ، ولكنه بغى وظلم . فلم تغنِ عنهم فئتهم من الله شيئاً .

(العُصبة)

قال الخليل بن أحمد فى العين : (عَصَبَ) العَصَبُ : أطناب المفاصل الذى يلائم بينها ، وليس بالعقب ، والعَصَبُ : الطَّيُّ الشديد ، ورجلٌ معصوصب الخَلْق ، كأنما لُوِى لَيًّا ... والعُصْبةُ من الرجال : عشرة ، لا يقال لأقلِّ منه ، وإخوة يوسف –عليه السلام – عشرة ، قالوا " وَنَحْنُ عُصْبَةٌ " ، ويقال: هو ما بين العشرة إلى الأربعين من الرجال ، وقوله تبارك وتعالى : " لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ " يقال : أربعون ، ويقال : عشرة . (٢)

(خسف)

جاء فى مقاييس اللغة : (خَسَفَ) الخاء والسين والفاء أصل واحد يدل على غموض وغُؤُورٍ ، وإليه يَرْجِعُ فروع الباب ، فالخَسْف والخَسَف غموضُ ظاهر الأرض ، قال تعالى : " فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ " (القصص /٨١) ومن الباب خسوف القمر ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الخسوف للقمر والكسوف للشمس ، ويقال : بئر خسيف إذا كسر جِيلُها فانهارت ولم ينتزح ماؤها ... وانخسفت العين : عميت ، والمهزول يسمى خاسفاً ، كأن لحمه غار ودخل . (٣)

وجاء فى المفردات : وبئر مخسوفة إذا غاب ماؤها ونَزَفَ ، منقولٌ من خسف الله القمر ، وتُصُوِّرَ مِنْ خسف القمر مهانةٌ تلحقُه ، فاستعير الخسف للذل فقيل تحمّل فلانٌ خسفاً . (٤)

(قلت): والظاهر أن الخسف مع كونه عذاباً ، فهو يحمل فى طياته الذل والمهانة والتسفل ، وفى ذلك أتم رعاية لمقتضى حال قارون ومن معه.

---

(١) نفسه – كنز – ص (٤٤٤)

(٢) انظر : الخليل بن أحمد – العين – باب العين والصاد والباء معهما – (عصب) (١/٣٠٨ – ٣٠٩) – وانظر : ابن فارس . مقاييس اللغة . (عصب) – (٤/٣٣٦ – ٣٤٠) – وانظر : المفردات – عصب (٣٣٩)

(٣) انظر : مقاييس اللغة – خسف (٢ / ١٨٠ – ١٨١)

(٤) الراغب . المفردات –(خسف) – (١٥٤)

obeikandi.com

(فئة)

جاء فى المفردات : الفئة : الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم إلى بعض فى التعاضد ، قال تعالى : " إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً " وقال تعالى : " كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً " وقال تعالى : " فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا " وقال تعالى : " فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ " وقال تعالى : " مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ " وقال تعالى : " فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ " . (١)

وقال الخليل – رحمه الله – : " فأو " : الفأو : من قولك : فأوت رأسه بالسيف فأواً وفأيته فأياً ، وهو ضربُك قحِفه حتى ينفرج عن الدماغ ، والانفياء : الانفراج ، ومنه اشتقاق الفئة ، وهى طائفة من الناس والجميع : فئات وفِئون . (٢)

وجاء فى معجم الفروق اللغوية :

١٥٨٧ – (الفرق بين الفئة والجماعة) : أن الفئة هى الجماعة المتفرقة من غيرها من قولك فأوت رأسه ؟ أى : فلقته ، وانفأى الفُرْج إذا انفرج مكسوراً ، والفئة فى الحرب القوم يكونون ردء المحاربين يعنون إليهم إذا حالوا ، ومنه قوله –عز وجل– : " أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ " ثم قيل لجمع كل من يمنع أحداً وينصره : فئة ، وقال أبو عبيدة : الفئة : الأعوان . (٣)

(قلت) : ويظهر لنا أن قارون انتفى عنه كل سبل النصر من الفئات التى كانت تعضده وتؤازره ، هذا مع الفئات القوية ، فما بالنا بمن دونها ، فدل ذلك على منتهى الخذلان والاستسلام أمام قدرة العزيز المقتدر .

" وَيْكَأَنَّ "

جاء فى المفردات : (وى) : وَىْ كلمةٌ تذكر للتحسر ، والتندم ، والتعجب ، وتقول : وَىْ لعبد الله ، قال تعالى : " وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ " وقوله : " وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ " ، وقيل : وَىْ لزيدٍ ، وقيل : (وَيْكَ) كان وَيْلَكَ فَحُذِف منه اللام .(٤)

---

(١) انظر : السابق – ص (٣٩٠)

(٢) انظر : الخليل – العين – باب اللفيف من الفاء . (فأو) (٨ / ٤٠٧) – وانظر : مقاييس اللغة – باب الفاء والألف وما يثلثهما (فأو) (٤٦٨/٤)

(٣) معجم الفروق اللغوية (١ /٣٩٦)

(٤) الراغب – المفردات – (وى) ص (٥٥٠)

ثانياً : الدلالة الصرفية

(أ) : معاني الأفعال :

وزن (أَفْعَلَ)

{ أوحينـــا } ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

هذا الفعل بهذا الوزن قد يكون من الأفعال التي تغني عن أصلها المجرد الثلاثي ، وذلك كـ " أفلح " أغنى عن أصله (فلح) ، فلم يرد على صورة الثلاثي [1] ، ولعل الذي يؤكد هذا وروده في كتاب الله على صورة التعدي بالهمزة ، فمن ذلك قوله تعالى :﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم/١١]

([1]) انظر : الشيخ الحملاوي . شذا العرف . ص (٣٨)

obeikandl.com

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام/١١٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام/١٢١]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص/٧]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل/٦٨]

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن/١]

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ ﴾ [الشورى/٥١]

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ [الأنعام/٩٣]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ ﴾ [الأنبياء/٢٥]

وقوله تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [الأنبياء/٧٣]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ [المائدة/١١١]

وقوله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأنعام/١٠٦]

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام/٥٠]

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [فصلت/٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾ [يونس/٨٧]

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ﴾ [الأنفال/١٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت/١٢]

وقوله تعالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة/٥]

ولا يمنع ما سبق أن يكون من دلالات هذه الصيغة أيضاً تصيير الفاعل بالهمزة مفعولاً ، وفي هذا معنىً جليل ، ذلك أن الوحي هبةٌ وفضلٌ ، وليس رياضةً واكتساباً[1] ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [الجمعة /٤]

{ آتيناه } ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

([1]) انظر : الحملاوى –السابق . (٣٧) – وانظر : الثعالبي . فقه اللغة (٢٥٣)

يقال في هذا الفعل ما قيل في (أوحينا) ، بيد أنه لا يأتي مغنياً عن أصله ، لأنه يأتى على وزن (فَعَلَ) مثل : (أتى) .

والفعل في الآية جاء قد يكون على وزن (فَاعَلَ) ، وهو مما قد يُشكل علينا ، <u>والجواب :</u> إن هذه الصيغة فيها معنى التشارك ، وهذا ممتنع مع هذا السياق ، وفيها معنى المغالبة ، وهذا المعنى قد يكون سائغاً هنا ، ذلك لأن الله –عز وجل– تغلِبُ نعمُه عبادَه ، إحصاءً وانتفاعاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل/١٨]

ومما يؤكد أن الفعل إذا كان على وزن (فَاعَل) دل على المغالبة ، ما قاله الحملاوى : وفى هذه الصيغة معنى المغالبة : ويدل على غلبة أحدهما ،بصيغة (فَعَلَ) ، من باب نصر ، ما لم يكن واوىّ الفاء ، أو يائي العين أو اللام ، فإنه يدل على الغلبة من باب (ضرب) بكسر عين مضارعه ، كوَاثَبتُه فَوثَبتُه ، فأنا أَثِبُه ، و بايعته فبعته فأنا أبيعُه ، ورأميته فرميتُه فأنا أرمِيه[١].

وتوسع الرضى في شرح الشافية أكثر من ذلك ، فقال : ليس باب المغالبة قياسياً ، بحيث يجوز نقل كل لغة إليه. وهاكَ نصَ كلامه : " وكذا [illegible] **أ.هـ [٢]**

(قلت) : والفعل (آتيناه) يائى اللام ، فيكون مجيئه من باب ضرب يضرب ، أفاد مغالبة نعم الله علي عباده، ، وقد يكون ثمَّ معنى آخر يجاور ما سبق ، وهو معنى التوالي والتتابع ، وهو موالاة الله له بالحكم والعلم، دونما انقطاع ، ويؤيد ذلك ما قاله الحملاوي في معنى (فَاعَل) : وثانيهما المولاة ، فيكون بمعنى أفعل المتعدى كواليتُ الصوم وتابعته بمعنى : أوليْتُ وأتبعْتُ بعضَه بعضاً[٣].

<u>{ أَنْعَمْتَ }</u> ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

(أَنْعَمَ) قد يقال في هذه الفعل أنه أغنى عن أصله لعدم وروده ثلاثياً .

---

(١) نفسه – ص (٣٨ .٣٢) بتصرف

(٢) انظر: الرضى – شرح شافية ابن الحاجب – تحقيق: د. محمد نور الحسن ، ود. محمد الزفزاف ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م . (١ / ٧١)

(٣) انظر: الحملاوي – شذا العرف – ص (٣٨)

قال تعالى : ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة/٤٠]

وقوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة/٧]

وقوله تعالى : ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ [الزخرف/٥٩]

وقوله تعالى : ﴿ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾ [الفجر/١٥]

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القصص/١٧]

ولكن هذا لا يمنعنا – كما سبق – من القول : بأن همزة التعدي أفادت انتقال النعمة من المنعم إلى العبد [١] ، وأن النعم مبدأها من الله وحده ، ولذلك صدَّر موسى عليه السلام مناجاته لربه بالاعتراف بها منه ، وحده ما قاله الحملاوى عن استعمالات صيغة (فَاعَلَ) : " وثانيهما : المولاة : فيكون بمعنى (أَفْعَلَ) المتعدى ، كـ ((واليت)) الصوم وتابعته ،بمعنى أوليت ، وأتبعت بعضه بعضاً ، وبذلك يكون المعنى انتقال النعمة وموالاتها . – والله أعلم–

{ يُصْدِر } ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ ﴾ (القصص /٢٣)

هذا الفعل بهذه الصيغة قد يفيد معنى الدخول في شيء ؛ مكاناً كان أو زماناً كأشام الرجل وأعرق ، وأصبح ، وأمسى ، أي : دخل الشام والعراق ، الصباح و المساء [٢] وبذلك يكون المعنى : إن حال المرأتين مع الرعاء أنهما لا تجرؤان أن تتقدما للسقى حتى يشرع الرعاء في التخلي عن مكان الماء ، وهو تحقيق معنى الصدور ، كما نقول : أعرق الرجال ، أي : شرع في دخول العراق ، لكن ذكر القرطبي رحمه الله معنى آخر (ليُصدر) فقال : وقرأ ابن عامر وأبو عمرو : (يَصْدُرَ) من صَدَرَ ، وهو ضد وَرَدَ ، أي : يرجع الرعاء ، والباقون " يُصْدِرَ " بضم الياء من أصدر ، أي : حتى يصدروا مواشيهم من وِردهم[٣].

(قلت) : والقول الأخير الذى ذكره القرطبى يؤكد ما ذهبنا إليه من تحقيق معنى الصدور ، فالرعاء لن يُصْدِروا مواشيهم ، حتى تبلغ الرَّى ، وكل هذا فيه دلالة كبيرة على قلة مروة الرعاء ، لحبسهم المرأتين على الماء حتى انتهاء وقت الصدور، وعكس ذلك كان أَوْلى بهم أن يفعلوه .

---

(١) نفسه . ص(٣٨)

(٢) انظر : الحملاوي – السابق . ص (٣٧)

(٣) انظر : القرطبي – الجامع لأحكام القرآن (٢١٦/١٣)

أُنكحك ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴿٢٧﴾ ﴾ (القصص / ٢٧)

جاءت همزة التعدية هنا لتصيِّر الفاعل بالهمزة مفعولاً ، كأقمت زيداً ، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الولي هو من يتولى زواج ابنته ، ودون ذلك فلا يجوز ، ولا يستحب بحال من الأحوال أن يُلْفِى الرجل ابنته وقد تزوجت من رجل دون علمه استناداً إلى قول مرجوح ، وقد قال رسول الله- ﷺ - : " لا نكاح إلا بولي وشاهدين " [١].

وعن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها –: قال رسول الله ﷺ : " أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها ، فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى له " [٢]

بل وحتى مع الثيب فلا بد من وجود الولي بيد أنها أحق بنفسها منه ، فعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : " الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر وإذنها سكوتها " رواه مسلم وفي لفظ : " ليس لوليَّ مع الثيب أمرٌ ، واليتيمة تستأمر[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال " قال رسول الله ﷺ : " لا تُزَوِّج المرأةُ المرأةَ ، ولا تزوج المرأةُ نفسها " [٤].

آنس ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (القصص/٢٩)

قد تكون الهمزة هنا لتقوية المعنى ، هذا وارد في معاني هذا النوع من الأفعال ، كقولنا : أعظمته : أي استعظمته [٥]، وقد يكون المعنى أيضاً توالي هذا الأنس عليه ، أخذاً من معنى

---

(١) رواه أحمد – مسند أحمد (٤ / ٦٦) – وله شواهد كثيرة ، وصححه الألبانى – صحيح الجامع (٧٥٥٦)

(٢) أخرجه الأربعة إلا النسائي وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم ،وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى (١١٠٢) .

(٣) رواه مسلم – (١٤٢١) ،واللفظ الآخر رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان ،وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود (٢١٠٠) .

(٤) رواه ابن ماجه والدارقطنى ورجاله ثقات ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (١٥٣٩) .

(٥) انظر: الحملاوي – شذا العرف – ص (٣٧)

openkanal.com

الموالاة [1] ، وبذلك قد يكون المعنى أنه اشتد استئناسه وتوالى عليه الأنس تلو الأنس ، لإبصاره لهذه النار ، وفيه دليل على شدة ضياء هذه النار في هذه المفازة ، وهذا مأخوذ من مفهوم الآية ، فشدة الاستئناس دليل على قوة المُؤنِس ، وقد يقوى القول بأن الهمزة هنا لتقوية المعنى وتواليه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء/٦]

ومعلوم أن المراد أن يسبر الولي أغوار اليتيم ، ويغمز قناته مرة تلو أخرى ، حتى يصير أمر الرشد عند اليتيم سجيةً وديدن .

(ءَاتَيْنَٰهُمُ) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القصص/٥٢]

(وَءَاتَيْنَٰهُ) ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾ [القصص/٧٦]

(ءَاتَىٰكَ) ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ [القصص/٧٧]

يقال في هذه الآيات ما قيل في الآية رقم (١٤) ، إن الفضل كله بيد الله . عز وجل . يختص برحمته من يشاء ، سواء كان في العلم والتقوى ، وهو الفضل المبين ، وهذا لا يعطاه إلا من أحبه الله ، أو كان في المال ، وهذا الأخير يكون لمن أحبه الله ولمن لم يحبه ، فالمهم أن الفضل كله بيد الله وحده .

{ يُفلـــح } ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (القصص/٣٧) .

هذا الفعل المهموز جاء وقد أغنى عن أصله كما قال صاحب شذا العرف [2] ، فلم يأتِ إلا مهموزاً ، كذلك جاء اسم المفعول منه من الرباعي .

قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة / ٢٢]، وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس / ٩]

، وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون/ ١]، وقال تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون / ١١٧]، وقال تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف / ٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ

---

(1) نفسه . ص (٣٨)

(2) انظر : الحملاوي – السابق – ص(٣٨)

ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾ [طه / ٦٤]، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [القصص/٣٧] ، وقال تعالى : ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص/٨٢]

ولعل الغرض الدلالي من ذلك ، بيان أن الفلاح هو ثمرة هداية التوفيق من الله للعبد ، لا تكون إلا بيد الله ـ عز وجل ـ ، الذي بيده نواصى العباد ، قال تعالى نافياً هداية التوفيق عن خليله ومصطفاه محمد ﷺ ، ومثبتها لنفسه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص/٥٦] .

الآية : (٧) أوحينا الآية : (٦) نُرِى الآيــة : (٤٢) أتبعنــاهم

الآيتان:(٤٣)،(٧٨) أهلكنا الآية : (٤٥) أنشأنا الآية:(٦٣) أغوينا – أغويناهم

هذه الأفعال المهموزة مع إسنادها إلى ضمير العظمة أفادت التصرف المطلق لله – عز وجل – في كونه ، وذلك من تمام ربوبيته عز وجل ، إذ إن الربوبية : هي إفراد الله – عز وجل – بالخلق وبالملك وبالتدبير[1] ، وهذه التصرفات من الله – عز وجل – في خلقه من تدبيره ، والكل متعلق بالمشيئة ، والمشيئة مرتبطة بالحكمة ، فكل أفعاله عز وجل كلها حكمة .

{ أحببت } ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قد نقول: إن هذا المهموز جاء كأصله ، قال الراغب في المفردات : وحببْتُ فلاناً يقال في الأصل بمعنى أصبتُ حَبَّةَ قلبه ، نحو : شغفته و كبدته و فأدته .

وأحببت فلاناً جعلت قلبي معرضاً لحبه ، لكن في التعارف وضع محبوب موضع محب ، واستعمل حببْتُ أيضاً في موضع أحببت[2] .

وتأتى الهمزة (للتعريض) كما سبق من كلام الراغب كقولي : أرهنت المتاع وأَبَعْتُه ،أي : عرّضته للرهن والبيع وكذلك أحببت فلاناً جعلت قلبي معرضاً لحبه[3] لكن المعنى الأول أجود ، وفيه رعاية لمقتضى الحال فى الآية .

وزن (فَاعَلَ)

---

(1) انظر : ابن عثيمين – القول المفيد – (٧/١)

(2) انظر : الراغب – المفردات – (حبّ) ص (١١٢)

(3) انظر : الحملاوي – شذا العرف – ص (٣٧)

آنـــس ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

هذا الفعل بهذه الصيغة قد يفيد موالاة وتتابع الأنس ، وهو في ذلك مثل (أَفْعَلَ) المتعدى – كما سبق – ، وقد يتضمن التكثير ، لأن (فَاعلَ) قد يأتي بمعنى (فَعّلَ) المضعّف للتكثير ، كضاعفتُ الشيء وضعّفته[1] ، والله أعلى وأعلم ...

الآية : (٤٦) نادينا الآيتان : (٦٢) ، (٦٥) يناديهم

هذه الأفعال قد تكون بمعنى فَعَل ، مغنية عن أصلها مثل سافر ، والثلاثى منه سفر[2]

وزن (فَعَّلَ)

الآية: (٦) { يُذَّبحون }

هذا الفعل يفيد التكثير ، قال الثعالبي : في الأكثر الأغلب (فَعَّل) يكون بمعنى التكثير ، كقوله عز ذكره : ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ [يوسف/٢٣] ، وقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [القصص/٤] [3]

قال الأستراباذي : و (فعّل) للتكثير غالباً ، نحو : غلّقت ، وقطّعت ، وحوّلت ، وطوّقت ، ويكون هذا المعنى في المتعدى كما في المثاليين الأولين ، وقد يكون في اللازم كما في المثالين الآخرين .[4]

(قلت) ودلالة هذا المعنى كما لا يخفى شدة بطش فرعون وظلمه؛ لأنه ذبّح الأبناء الصغار و أفرط ، وهم الذين لم يقترفوا ذنباً ، واستحيا النساء الضعفاء للخدمة ، ففهم من الآية أنه فعل أضعاف ذلك بالرجال من بني إسرائيل ، لأنهم مظنة القوة والعداء له ، فكانت دلالة المفهوم للآية تتمة لبلاغة المنطوق .

الآيتان : (٦) – (٥٧) (نُمَكِّن) الآية : (٦١) (مَتّعناه)

قد تكون هذه الأفعال مما أغنى عن أصله لعدم وروده ، ولعلّ ما يقوى ذلك ورودها في القرآن الكريم بهذه الصيغة (فَعَّل) دون (فَعَل)

---

(1) نفسه . ص (٣٨)

(2) نفسه . ص (٣٨)

(3) الثعالبي – فقه اللغة – ص (٢٥٣)

(4) الأستراباذي – شرح الشافية (١ / ٩٢ . ٩٣) بتصرف

قال – تعالى- في (مَكَّة) : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف / ١٠] ، وقوله :﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [القصص / ٧٥] ، وقوله : ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص / ٦] ، و قوله : ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور / ٥٥]

<u>وفي قوله : { متّعناه }</u>

هذا الفعل بهذا الوزن قد يقال فيه أيضاً إنه : جاء مغنياً عن أصله ، قال عز ذكره : ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس / ٩٨] ، وقال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ [لقمان / ٢٤] ، وقوله : ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ [البقرة / ١٢٦]

وقوله : ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود / ٤٨]، وقوله : ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ [الأنعام / ١٢٨] ، وقوله : ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ [التوبة / ٦٩] ، وقوله : ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ [التوبة / ٦٩] ، وقوله : ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ ﴾ [الأحزاب / ٤٩] وقوله : ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ [البقرة / ٢٣٦] ، وقوله : ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ [البقرة / ١٩٦] .

<u>{ حرّمنا }</u> ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قد نقول: إن هذا اللفظ جاء على أصله (حَرَم) ، وهذا الفعل لم يأتِ في القرآن بهذا الوزن .

لكن أتى اسم المفعول منه على وزن الثلاثي في قوله تعالى :﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ ، أما عن القيمة الإيحائية لهذا الوزن مع هذا الفعل ، فلبيان أن الحرام ما حرّمه الله ورسوله ﷺ والحلال ما أحلّه الله ورسوله ﷺ ، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسول الله ﷺ ، وفُهِم هذا من دلالة التعدي ؛ لأن (فَعَّلَ) تأتي مثل أفعل في التعدي مثل : قوّمتُ زيداً وقعّدته أي : أقومته وأقعدته [1] وهذا من تمام وكمال تصرف الله في ملكه ، وهو من أخص خصائص ربوبيته عز وجل .

<u>نجّني – يُصَدِّقُني – يكذّبون – وصّلنا – يُلقّاها</u>

---

(1) انظر : الحملاوي – شذا العرف ص (٣٩) . وانظر : الثعالبي – فقه اللغة (٢٥٣)

هذه الأفعال قد تفيد في جملتها التكثير ، لكن لكل فعل فوائد دلالية فهمت من السياق ، فهى تخدمه وهاكَ التفصيلَ على الترتيب :

{ نجّني } أفاد تكثير النجاة ، وهو مطلب لا يقدر عليه إلا رب العزة –جلّ ذكره– وفيه دلالة على عظم شر فرعون وملئه ، وأن الله لا يتعاظمه شيء ، وأنه على كل شيء قدير .

{ يصدّقُني } أفاد وصف هارون عليه السلام بأنه من الصدّيقين ، لكثرة صدقه في نفسه ، وتصديقه لأهل الصلاح والتقوى ، أمثال موسى عليه السلام والذي يقوى ذلك أن هذا الفعل جاء وصفاً لهارون عليه السلام وليس جواباً أو جزاءً للطلب في " أرسله " وشتان بين المعنيين .

{ يكذّبون } أفاد كثرة ضلال هؤلاء القوم ، قوم فرعون وأنهم قومٌ بهُتٌ ، ولا أصدق مما قاله الله عز وجل فيهم : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ .

{ وصّلنا } أفاد هذا الفعل بهذه الصيغة كثرة طرق الهدى التي عُرِضت على هؤلاء القوم ، ولكن أعرضوا وكذبوا ، وفي ذلك بيان واضح على أن الله . عز وجل . كتب على نفسه إيصال هداية الإرشاد للعالمين ، رحمة منه . عز وجل . ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ [الليل/١٢] ، وقرأ الحسن : " وصلنا " مخففاً [1] وهو ما قد يدفعنا إلى القول : إن (وصّلنا) ربما جاءت على أصلها و أنهما بمعنى واحد ، فالله أعلى واعلم .

{ يُلقَّاها } فيه دلالة على تكثير تلقي الصابرين لثواب الله – عز وجل – ، جزاءً على صبرهم في الأيام الخوالى .

وزن (فَعُلَ)

(فَبَصُرَتْ) ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

هذا الفعل بهذه الصيغة أفاد تمام الإبصار وكماله ، وأنها رأت أخاها بما لا يدع مجالاً للشك ، وهذا كقولنا فَقُه الرجل ، أي : كَثُرَ فقهه ، حتى صار كالسجية فيه ، وذلك لأن هذه الصيغة تأتى مع أفعال الطبائع

(فالتقطه) ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾

---

(1) انظر: القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (٢٣٦/١٣)

(2) انظر : الرضى . شرح الشافية . (١ / ٧٤) .

هذا الفعل قد يكون على أصله (لَقَطَ) [1] ، وقد يكون بمعنى الاجتهاد ، أي : اجتهدوا في التقاطه بعدرؤيته أمامهم دونما قصد منهم ولاطلب ، وهذا المعنى يتوافق مع ما سبق من الدلالة المعجمية للفظ (التقطه) .

وقد يكون هذا الفعل مطاوعاً لمهموز الثلاثي أو مضعفه كقرّبته فاقترب ، وأنصفته فانتصف [2]، وعلى ذلك يكون المعنى أنهم طاوعوا أقدار الله الغالبة ، فكأن الله ـ عز وجل ـ قضى عليهم التقاط التابوت فالتقطوه ، وفى ذلك دلالة على سلب إرادتهم ، وعجزهم في مقابل إرادة الله الحكيمة ومشيئته النافذة .

(استوى) ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾

هذا الفعل قد يفيد المبالغة في معنى الفعل ، كاقتدر وارتدّ ، أي : بالغ في القدرة والرّدّة [3]، فيكون المعنى أنه بلغ تمام الكمال في عقله ، والاعتدال فى بدنه ليتأهل لتحمل تبعات أمانة الحكم والعلم ،وهذا من تمام اعتناء الله ـ عز وجل ـ بموسى عليه السلام .

(يقتتلان) ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾

وهذا الفعل يفيد معنى التشارك ، كاختصم زيدٌ وعمرو ، واختلفا [4]، وفي ذلك دلالة على وقوع الشر بينهما قبل مجيء نبي الله موسى– عليه السلام – ، وأنه برئ من الإغراء بينهما ، ولكن على العكس أراد –عليه السلام– أن يفصل بينهما ، بأقل شيء يمكن أن يُفعل بين المقتتلين وهو دفع الصائل منهما ، فجاء الفعل (وكز) على معناه الأصلي دون أي مؤثرات تشي بمبالغة أو طلب أو اجتهاد ، لذلك صارت هذه المعاني مجتمعه دليل تبرئة موسى عليه السلام .

(٢١) يأتمرون (٣٨) اطّلع (٤٧)،(٥٧) نتّبع (٤٨) أتّبعه

(٥٠) يتّبعون (٦٤) يهتدون

هذه الأفعال قد تفيد معنى الاجتهاد في طلب الشيء ، إلى جوار معنى المبالغة فيها .

---

(١) الثعالبي – فقه اللغة – ص (٢٥٥)

(٢) الحملاوي– شذا العرف – ص (٤٠)

(٣) نفسه – ص(٤٠)

(٤) السابق ـ ص (٤٠)

(لا نبتغي) ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥ ﴾ (القصص/٥٥) .

هذا التركيب فيه نفي الطلب أو الاجتهاد في طلب الجاهلين ، وهذه يعنى أنهم لا يطلبونهم للجدال والمراجعة والمشاتمة وفيه دلالة على حسن أخلاق الصالحين .

(٦٨) (يختار) - (٧٥) يفترون - اتّخَذَ

هذه الأفعال جاءت على معنى أصلها الثلاثي ، فلم ينطق القرآن الكريم بـ (خار)، و(فَرَى) ، و(تَخِذَ) ، ومع ذلك فاحتمالية تضمنها معنى الاجتهاد والطلب أو المبالغة قد تكون قائمة.

وزن (تَفَعَّلَ)

(يترقّب) ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ ﴾

هذا الفعل قد يفيد معنى التكلف ، نحو : تشجّع وتَجلّدَ [1] وهذا ما أيّده المفسرون ، نقل القرطبي عن سعيد بن جبير : (يترقب) يلتفت من الخوف ، وقيل : ينتظر الطلب ، وينتظر ما يتحدّث به الناس ، وقال قتادة : " يترقب " : أي : يترقب الطلب .[2]

وفي ذلك أوضح دلالة على شيوع جو الخوف الذي أحاط بنبي الله موسى عليه السلام .

(تولّى) ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾

هذا الفعل قد يفيد معنى التجنب ، كـ (تحرَّج) و (تهجّد) ، أي : تجنّب الحرج والهُجود ، أي النوم [3] ، وفي ذلك أوضح الدلالة على فرط حياء وتمام عفة نبي الله موسى عليه السلام ، فبعد أن أسدى المعروف ، ووفى لهما طلبتهما ، تولّى عنهما خشية الاختلاط بهما .

(نُتَخَطَّف) ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾

قد يكون الفعل في هذا السياق بمعنى (فَعَّلَ) للدلالة على التكثير ، نحو تخلّصه إذا خلّصه ، كما قال الشاعر :

تَخَلَّصني من غفلةِ الغَيّ مُنْعماً	وكنتُ زماناً في ضمانِ إسَارِهِ

تَهدَّدَنا وأَوْعَدَنا رويداً	متى كنا لأمك مقتوينا

(١) انظر : الثعالبي – فقه اللغة – ص (٢٥٤)

(٢) القرطبي – جامع أحكام القرآن – (٢١٢/١٣)

(٣) الحملاوي – شذا العرف – ص (٤١)

obeikandl.com

وكقول عمرو بن كلثوم : [1]

وفي ذلك دلالة على شدة سوء ظن هؤلاء الكفار من قريش بدعوة النبي ﷺ .

(تَبَرَّأنا) ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣ ﴾

هذا الفعل في سياق يفيد المبالغة فى التبرؤ الحاصل من الأخلاء المشركين ، وقت معاينتهم للعذاب ، وفيه دلالة على شدة عذاب الله لهم ، ولذلك تكلفوا وتجشموا في سبيل النجاة من العذاب ، والتبرؤ من أوليائهم كل سبيل ، ولكن لاَتَ حينَ مَنْدَم .

(تَمنَّـــــوا) ﴿ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ ﴾

ربما جاءت هذه الصيغة مغنيةً عن الثلاثي ، لعدم وروده كتكلَّم وتصدّى [2]

قال تعالى : ﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ **وقال :** ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ **وقال :** ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا ﴾

وقال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾

وزن (تَفَاعَلَ)

(تظـاهرا) : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨ ﴾

فيه معنى التشريك والتعاون على السحر . زعموا . .

وزن (اسْتَفْعَلَ)

الآية : (٤) يستضعف . يستحى الآية : (١٥) استغاثه

الآية : (١٨) استنصره . يستصرخه الآية : (٢٦) استأجره

الآية : (٥٠) فإن لم يستجيبوا

هذه الأفعال أفادت طلب استدعاء الفعل على الحقيقة [3]

---

(١) انظر : الثعالبى . ص . (٢٥٤)

(٢) انظر : الحملاوي – السابق – (٤١)

(٣) انظر : الثعالبي – فقه اللغة . ص (٢٥٤-٢٥٥) ، وانظر : الحملاوي – شذا العرف . ص (٤٢)

obeikandl.com

(استكبر) ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ ﴾ ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ ﴾ **الفعل هنا أفاد القوة والتكلف ، أي ازداد تكبره واستحكم** [1]

([1]) السابقان . ص (٢٥٤) و ص (٤٢)

obeikandl.com

(ب) : دلالة الفعل المبنى لغير فاعله

(استضعفوا) ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾

قد يقال في بناء هذا الفعل لغير فاعله : إن الغرض الدلالي منه صيانة اللسان تحقيراً له ، وشبِيه بذلك قوله : ﴿ صُمٌۢ بُكْمٌ ﴾ [البقرة/١٨] ، أي : هم أو المنافقون[1] لكن يردُّ ذلك أنهم أفضل أهل الأرض وقتئذٍ ، وقد يقال : إن الغرض الدلالي هو العلم بالفاعل لذكره قريباً ، فلقد ذُكِرَ فرعون صراحةً في قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص/٤] ، ثم أخبر عنه بالإضمار في قوله : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/٤]

ثم أخبر عنه بدلالة الالتزام في قوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص/٥] ، فليس ثَمَّ مُستَضْعَفٌ إلا ومن ورائه مُسْتَضْعِف وهذا مقتضى التلازم .

وهنا نلمح تدرجاً وانتقالاً في الإخبار من الأصرح إلى الأدون الذى هو الإضمار فالتعريض ، اعتماداً على ما ذكر سلفاً واكتفاءً بدلالة الحال التى هي أصرح لعقل الذكي من المقال ، وعلى كلٍّ ، فحذف الفاعل فى هذا السياق يخدم الحال الذى يقتضى صون اللسان عن إعادة ذكر هذا الظالم.

{ أُوتِى } ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

هذه الأفعال الثلاثة بلفظ (أُوتِى) جاءت فى الآية مبنية للمفعول ، للدلالة على اعتراف المشركين ضمناً بوجود الله . عز وجل . ، وبتصرفه فى كونه بإرسال من شاء من الرسل ، وهو ما صدّقه ، قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ [القصص / ٤٨]

{ يُتْلَى } ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

قد يكون الغرض من بناء هذا الفعل للمفعول العموم ، فالإنسان يتلوه على نفسه أو يتلوه عليه غيره ، وقد يُتلى أناء الليل أو أطراف النهار أو في الصلوات أو غير ذلك ، فمهما كانت صورة التلاوة على مؤمنى أهل الكتاب ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [

([1]) انظر: السيوطي – الإتقان ص (٣٧٧) بتصرف .

القصص/٥٣] لكن قد يُشْكِل علينا أن الإنسان قد لا ينتفع بتلاوة غيره ، وبذلك ينخرم العموم ، والدليل:

١) أن الله -عز وجل- ذكر التلاوة والذكر بهذه الصيغة في غير موضع ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾ **[السجدة/١٥]**

، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ **[الأنفال/٢]**

٢) ومما يؤكد انتفاع الإنسان بتلاوة غيره أن النبي ﷺ أمر ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه ، فقال : كيف أقرأ عليك وعليك أنزل ؟

- وهذا وجه الإشكال – فقال : " إنى أحب أن أسمعه من غيرى " ، فقرأ عليه من سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ **[النساء/٤١] ، فقال ﷺ : " حسبك " ، قال : فنظرت فإذا عيناه تذرفان " [1]**

، وفيما سبق دلالة واضحة على حسن طوية مؤمنى أهل الكتاب ، واستقامة فطرهم .

(يؤتـــــــــون) ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

بني الفعل للمفعول ، لقوة الدلالة على الفاعل ، لذكره مرتين في الآية قبله في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ﴾ **[القصص/٥٢] ، وقوله :** ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ **[القصص/٥٣]**

ولعل الغرض من حذف الفاعل ، للدلالة على فخامته و عظمته ، وأيضاً إيثاراً للتخفيف ، وثقةً بفهم المخاطب .

(نُتَخَطّــف) - (يُجْبَــى) ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

الفعل الأول بهذه الصورة أتى ليراعى مقتضى أحوالهم ، لما زعموا أن إيمانهم ، بالله ورسوله ﷺ مدعاة أو مظنة عموم العداوة من العرب كافة ، فلما كان عدم الاستثناء من العداوة ظنهم ، ناسب ذلك البناء للمفعول .

وجاء الفعل الثانى (يُجْبَى) ليرد عليهم مزاعمهم وأنه أفاد عموم جباية الخير عليهم من كل حدب وصوب دونما استثناء ، مع كونهم يكفرون بالله . عز وجل . ، فما بالهم لو وحدوه وعبدوه

([1]) أخرجه البخاري في (فضائل القرآن / ٥٠٥٠) - ومسلم في (صلاة المسافرين / ٨٠٠)

، قال يحيى بن سلام في تفسير ذلك كما جاء في القرطبي : كنتم آمنين فى حرمي ، تأكلون من رزقي ، وتعبدون غيري ، أفتخافون إذا عبدتمونى و آمنتم بي ، وقوله : " يُجبى إليه ثمرات كل شىء " أي : جمع الله ثمرات كل أرض وبلد عن ابن عباس وغيره [1] ، فكان الفعل الثانى بهذه الصورة دحضاً لافتراءاتهم ، وشفاءً لوسواسهم .

(تُسْكَن) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

بُنِى هذا الفعل لغير الفاعل للدلالة على عموم الخراب الذي حَلّ بهم ، وقد يشكل علينا أن الاستثناء في الآية : ﴿ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [القصص/٥٨] قد يكون أخرج بعض المساكن من الخراب ، هذا ما قاله الزجاج ، ولكن اعترض عليه ، وهذا هو الجواب : بأنه لو كان الاستثناء يرجع إلى المساكن لقال : " إلا قليلٌ " ، لذلك نقول : القوم لم تضرب إلا قليلٌ ، ترفع إذا كان المضروب قليلاً ، وإذا نصْبت كان القليل صفةً للضرب ، أي لم تضرب إلا ضرباً قليلاً ، فالمعنى إذاً : فتلك مساكنهم لم يسكنها إلا المسافرون ومن مرّ بالطريق يوماً أو بعض يومٍ ، أي لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً ، وكذا قال ابن عباس : لم يسكنها إلا المسافر أو مارّ الطريق يوماً أو ساعةً [2]

(قلت) وهذا لا ينافى ما سبق من عموم خرابها وخلوها من أهلها الأولين أو من المقيمين من بعدهم .

(وما أُوتيتم)

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص/٦٠] .

المتأمل في سياق الآية يلمح أن الفعل الأول حذف فاعله ، مع أن الُمؤتِى له والمانح هو الله . عز وجل . ، بيد أنه لما كان الُمؤتَى هو الدنيا ، وهو متاع محدود ، فحذف لفظ الجلالة صيانةً له وتشريفاً عن أن يذكر معها ، وعند ذكر عطاء الآخرة غير المقطوع ذكر لفظ الجلالة تشريفاً لهذا العطاء .

(تُرجعون) ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

---

(1) انظر : القرطبي – جامع أحكام القرآن – (٢٤٠/١٣)

(2) نفسه . (٢٤١/١٣)

هذا الفعل لازم ، عُدَّى بحرف الجر إلى ، وبُنِى الفعل لغير فاعله في الآيتين اعتماداً على (القرائن اللفظية والنقلية) وذلك فى الضمير العائد عليه ، والمجرور بـ (إلى) ، وفى القرائن النقلية المتواترة من الكتاب والسنة ، فأفاد بناء الفعل لغير فاعله فى هذا السياق إظهار تمام تصرف الله فى خلقه ، وكذلك كمال ملكه ، وانتفاء الخيرة عماً سواه فيما قدّره وقضاه ، فالكل يعلمه لشيوع عظمته وظهور غلبته وقهره ، فأغنى ذلك كله عن ذكره .

(أُوتيته – ولا يُسْأَل)

جاء هذا الفعل في سياق قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ **[القصص/٧٨]**

لمّا ذُكِّر قارون – قبحه الله – بنعم الله عليه ، تَنَكَّر من ذلك و ادَّعى أنه صاحب الفضل وحده ، وذلك عندما حذف الفاعل ، وهو الله عز وجل ، إنكاراً منه وتكذيباً بنعمة الله عليه ، وأكد هذا الإنكار لما قال : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ **، وكان يكفيه أن يقول** ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ **، ولذلك جاء الجواب عليه مصدَّراً بالتصريح بلفظ (الله) – عز وجل – صاحب الفضل وحده ، والذي كفر به وكذب بنعمه ، ثم تأتى الفاصلة لتكون بمثابة المجازاة للمجرمين على صنيعهم ، فيأتي الفعل (يُسأل) مبني للمفعول ، للدلالة على عموم تجاهلهم وتنكّرهم كما تنكّروا نعمة ربهم من قبل ، وذلك بعد إقرارهم وقيام الحجة عليهم والمجرم مهما تعاظم إجرامه ، إذا نُوقش وحوسب سُرَّى عنه ، فلعله أن يجد ملجأً لعذر ، فيعتذر.**

إشكال

قد يُشكل علينا قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ **[الحجر/٩٢,٩٣]**

والجـواب

إن يوم القيامة يكون مقداره كما قال تعالى : ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ **[المعارج/٤] ، ففي مثل هذا اليوم يُسألون ، وفيه لا يسألون ؛ لأنهم حين يُعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون ، فإذا انتهت المسألة ، ووجبت الحجة** ﴿ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾

[الرحمن/٣٧] ، وانقطع الكلام ، وذهب الخصام واسودّت وجوه قوم وابيضت وجوه آخرين ، وعُرف الفريقان بسيماهم .[١]

(أُوتي) قال تعالى : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ **[القصص/٧٩] ، هذا الفعل بهذه الصيغة إن دلّ فإنما يدل على إهرافهم و حمقَهم ، لأنهم رددوا ما قاله قارون دون وعى منهم ، ودلّ أيضاً على خفة دينهم ؛ إذ لو كان إيمانهم قوياً لَلَهجوا بلفظ المنعم على ألسنتهم .**

(أوتوا العلم) (ولا يُلقَّاها إلا الصابرون) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قد نقول في (أوتوا) : إن المحذوف معلوم مشهور ، وحذفه هنا للتعظيم والتفخيم ، وذلك لأن (العلم) مناط الفخر ، وقطب رحى المكارم ، وصدق على بن أبي طالب – رضي الله عنه – إذ يقول :

الناس من جهة الأصل أَكْفَاء	أبـــــوهم آدم ، والأم حـــــواءُ
نفس كنفس ، وأرواح مشابهة	وأَعْظُـمٌ خُلِقَـتْ مـنهم وأعضـاءُ
فأن يكن لهم من أصلهم حسبٌ	يفـاخرون بـه ، فـالطين والمـاءُ
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	علـى الهـدى لمـن اسـتهدى أدلاّءُ
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	وللرجـال علـى الأفعـال أسـماءُ
وضد كل امرئ ما كان يجهله	والجـاهلون لأهـل العلـم أعـداءُ
فَفُزْ بعلم ، ولا تطلب له بدلاً	فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ[٢]

فعلم من المنطوق المذكور أن العلم شرف ، وفُهِم من مفهوم الآية أن معطى الشرف أشرف ، ويقال في " ولا يلقاها " أن الحذف قد يكون لقرب الحديث عنه ، والعلم به

(يُلْقَى . أُنْزِلَتْ)

قال تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ القصص: ٨٦ **، وقوله تعالى :** ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ القصص: ٨٧ **، فالملاحظ أن الحذف للفاعل جاء بسبب القرينة**

---

(١) انظر : ابن قتيبة – تأويل مشكل القرآن – تحقيق: إبراهيم شمس الدين . دار الكتب العلمية . بيروت . د.ت . (١ / ٤٦) .

(٢) على بن أبي طالب – رضي الله عنه – ديوان شعره – مكتبة فياض – المنصورة – د.ت – ص (٧٤) .

.

اللفظية قبله ، وللعلم به ، وفيه دلالة على أن الرسالة أو النبوة لايأتيان بالاكتساب أو الرياضة ، ولكنها فضل من الله – تعالى – ، مصداقاً لقوله : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٥٤ ﴾ (المائدة: ٥٤) .

obeikandl.com

(ج) : دلالات التفضيل

قال السكاكى . رحمه الله . : وأفعل التفضيل يخص الثلاثيات المجردة الخالية عن الألوان والعيوب المبنية للفاعل نظير فعلى التعجب وله معنيان: أحدهما إثبات زيادة الفضل للموصوف على غيره والثاني إثبات كل الفضل له. (١).

وقال الشيخ الحملاوي – رحمه الله – عن معاني التفضيل : وله باعتبار المعنى ثلاث حالات أيضاً :

الأولى : ما تقدم شرحه ، وهو الدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فيها .

الثانية : أن يراد به أن شيئاً زاد في صفة نفسه ، على شيء آخر في صفته ، فلا يكون بينهما وصف مشترك ، كقولهم : العسل أحلى من الخل ، والصيف أحرُّ من الشتاء ، والمعنى : أن العسل زائد في حلاوته على الخل في حموضته ، الصيف زائد في حره على الشتاء في برده .

الثالثة : أن يراد به ثبوت الوصف لمحلّه ، من غير نظرٍ إلى تفضيل كقولهم :

"الناقصُ و الأشجُّ أعدلا بنى مَرْوان " ، أي :هما العادلان ، ولا عدلَ في غيرهما [٢]

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ (الإسراء/٥٤) ، وقوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم/٢٧)

ويحمل على الحالة الثانية قوله تعالى : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (الفرقان/٢٤) وعلى ضوء ما سبق ، نستأنس به فيما يلى :

(١٣) (أكثرهم) قال تعالى : ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الظاهر أن لفظ " أكثرهم " للدلالة على أن شيئين اشتركا فى صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فيها ، " فأكثرهم " أى : أكثر قوم فرعون ، وهو اختيار القرطبى[٣] ، وهو ما يؤيد ما ذهبنا إليه ، فيكون المعنى : أن قوم فرعون فاقوا الأمم فى كون أكثريتهم لا يعلمون ، لكن قد يكون الأقرب أن أكثر الناس هذا حالهم ، ومنهم قوم فرعون بالقياس الأولوى ، وهو ما يتفق مع آيات قرآنية أخرى تؤسس لهذا المعنى .

كقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف/١٠٣)

---

(١) السكاكى . مفتاح العلوم . (١ /٥١)

(٢) الحملاوي – شذا العرف – ص (٨٩-٩٠)

(٣) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (١٣ / ٢٠٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ **(الأنعام/١١٦)**

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ **(الشعراء/٨)**

فيكون القصد ثبوت الوصف لأكثر الناس في الجملة ، ومنهم قوم فرعون بالأولى

(أقصى) :

﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **(القصص/٢٠)**

قد يكون التفضيل هنا لثبوت الوصف دون النظر إلى تفضيل ، وعليه فقد يكون المعنى اعتبار بُعْد المكان ، وليس المفاضلة مع غيره ، وفي ذلك دليل على حب الرجل المؤمن للخير ، وحرصه على موسى عليه السلام. فالرجل لم يدخر جهداً في تحذير موسى وهو ما تؤكده هيئة السعي التي صاحبت الرجل من أقصى المدينة وصولاً إلى موسى عليه السلام .

(خير) :

﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ **(القصص/٢٦)**

اسم التفضيل هنا أصله (أخير) وحذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال

قال الشاعر: " بلال خير الناس وابن الأخير ، وكقراءة بعضهم " ﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ﴾ **(القمر/٢٦)** [1]**، وحكم (شر) كخير وهو من نوع المضاف إلى معرفة .**

ودلالة التفضيل في الآية : **هي البحث عن خير الخيرين ، ولا يكون ذلك إلا إذا وجدت القوة والأمانة ، فإن تخلف أحدهما عن الآخر فهو الخير الذي فيه الدَّخَن .**

(أفصح) : ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا ﴾ **(القصص/٣٤)**

اسم التفضيل هنا مجرد من أل و الإضافة ، وهو من النوع الأول الذي يدل على اشتراك شيئين في صفة ما ، وزاد أحدهما على الآخر .

ودلالة التفضيل هنا أفادت أن موسى عليه السلام لم ينسلب منه وصف الفصاحة ، أو حتى مطلقها ، كما يظن البعض به ﷺ – وحاشاه أن يكون . ، ولكن بسبب العارض في لسانه كان هارون عليه السلام أفصح منه ، ولم تنتفِ عنه ﷺ بالكلية .

(أعلم) : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ ﴾ **(القصص/٣٧)**

---

(١) انظر : الحملاوي – شذا العرف – ص (٨٦)

هذه الصيغة هنا قد تكون لثبوت الوصف فقط ، كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ **(الروم/٢٧) أي : هَيّنٌ عليه**

وقوله تعالى : ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ **(الإسراء / ٥٤) أي : عالم بكم.**

(أهدى) :

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ **(القصص/٤٩)**

اسم التفضيل هنا مجرد من أل والإضافة ، وهو من النوع الأول ، للمفاضلة بين اثنين اشتراكا في صفة .

وأمّا عن القيمة الإيحائية للاسم في الآية ، فهو التعجيز ، لأنه لا يوجد مساوٍ لكتاب الله في الهداية ، فضلاً عن كونه أهدى منه .

(أضل) :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ **(القصص/٥٠)**

اسم التفضيل مجرد من أل و الإضافة ، من النوع الأول الذي يكون للمفاضلة بين مشتركين في صفة ما .

وأما الغرض الدلالي منه في الآية ، فالتقرير بأنه لا أحد أضلُّ منه ، فدلت الصيغة بوضعها على منتهى ضلاله .

(أعلم) :

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ **(القصص/٥٦)**

يقال في هذه الصيغة ما قيل في مثيلتها في الآية (٣٧) ، بأنها لثبوت الصفة من غير نظر إلى تفضيل ، ولعل الذي يقوى ذلك قوله : ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ **بالتعدية بالباء ولم يقل : أعلم من أحدٍ – ويسمى أحداً ما – بالمهتدين .**

(خير) (أبقى)

قال تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ **(القصص/٦٠)**

(خير) (وأبقى)

نلاحظ هنا أن اسمى التفضيل مجردان من أل و الإضافة و أنهما من النوع الثاني ، وهو أن شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء آخر في صفته ، فليس بينهما وصف مشترك ،ولكن حُذِفَ هنا (مِنْ) ومدخوليها مع الاسمين ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ **(الأعلى/١٧)**

ومن مقاصد حذف (مِنْ) ومعمولها ، الدلالة على أن منتهى كل خير في الدنيا ، فما عند الله خير منه وأبقى .
ومن دلالات اسمى التفضيل مجتمعَيْن في الآية ترسيخ معنى أن ما عند الله في الآخرة موصوف بكمال الخيرية ، والانتقاء مع كمال الخلود والبقاء ، ولذلك فليس ثمَّ وصف مشترك بينها وبين متاع الحياة الدنيا

(أشدُّ) (أكثر)

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ **(القصص/٧٨)**
اسما التفضيل هنا مجردان من أل و الإضافة ، وهذه الآية فيها إثبات لمن ومعمولها تارة وحذف لهما تارة ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ **(الكهف/٣٤) ، وهذان الاسمان من النوع الأول الذي يأتى للمفاضلة بين مشتركين في وصف ما .**
وأما عن دلالة اسمى التفضيل في الآية ، فلعله لتقريع قارون [1] ومن خلفه ممن سلك طريقه ونهج منهاجه بتذكيره بمن هوأقوى وأفضل ممن تباهى به .

(خيرٌ) :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ ﴾ **(القصص/٨٠)**
يقال فيها ما قيل في الآية رقم (٦٠) وأن الخيرية هنا من النوع الثاني وهو زيادة شيء في صفة نفسه عن شيء آخر في صفته ، وليس بينهما وصف مشترك ، فالثواب هو الجنة ، وهى خير فى كمالها من الدنيا فى ظلها الزائل وعاريتها المسترجعة .

(خيرٌ) : **قال تعالى :** ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ **(القصص/٨٤)**
اسم التفضيل جاء مجرد من أل و الإضافة وهو من النوع الأول للمفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة ما ، ودلالة الصيغة في الآية ، لبيان خير الخيرين ، وأفضل الفاضلَيْن .

(أعلم) : **قال تعالى :** ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ **(القصص/٨٥)**

---

(١) انظر : القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (٢٥٣/١٣)

يقال في هذه الصيغة ما قيل في أمثالها ، إنها لثبوت الصفة ، من غير نظرٍ إلى تفضيل ، ويؤكد ذلك تفسير الآية ، قال القرطبي – رحمه الله . : "قل ربي أعلم" أي : قل لكفار مكة إذا قالوا : إنك في ضلال مبين " ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده ، ومن هو في ضلال مبين : أنا أم أنتم [1]

وقال الإمام ابن كثير : وقوله تعالى : ﴿قُلْ رَبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ من عنده ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي : قل لمن خالفك وكذّبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم ، قل : ربي أعلم بالمهتدي منكم ومنى ، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة [2] .

([1]) السابق – (٢٥٧/١٣)

([2]) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٤١٧/٣)

obeikandl.com

(د) : أوصاف الفاعل

(١)	(٢)	(٣)
اسم الفاعل	صيغ المبالغة	الصفة المشبهة

١) دلالات اسم الفاعل :

(الوارثين) :

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ **(القصص/٥)**

هذه الآية تشبه قوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ **(الأعراف/١٧٣)**

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ **(غافر/٥٣)**

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ **(الأعراف /١٢٨) ، والملاحظ أن بنى إسرائيل فى الآيات الثلاث السابقة (مُوَرَّثُون) ، وفى آية القصص (وارثون) ، وهذا مما يشكل .**

والجواب : **أن قوله : (نجعلهم) أزال الإشكال فى قوله : (الوارثين) بصيغة اسم الفاعل . فوراثتهم مرهونة بجعل الله الكونى ، فالله ـ عز وجل ـ لمّا حكى لنا جعل فرعون الزائل الفاسد ، بيّن أن جعله هو الغالب ، فلا ردّ لأمره ، وأنه إذا قدّر أمراً هيّأ أسبابه ، وعندئذ لا ينفع معه جعل أحد .**

(رادُّوه . جاعلوه) :

﴿ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ **(القصص / ٧)**

اسما فاعل من الثلاثى قد يشى بما يلى :

١) سهولة القيام بالأمر ، وقد يفهم هذا من مجىء الاسمين من الفعل فى أبسط أحواله، وهو الثلاثى، بما يعنى تَيَسُّر الأمر على الله ـ عز ذكره ـ فلا يحتاج إلى ردٍّ بعد ردّ، وجعل تلو جعل ، وهذا ما قد نفهمه لو كان الاسم من الفعل على وزن (فَعَّل) الذى يدل على التكثير ، ولكن أمر الله النافذ المشيئة يأبى المعنى الأخير .

٢) مجىء الاسمين من الثلاثى الخالى من معنى المشاركة أو الطلب يْنبئ بوحدانية الإرادة والجعل ، ومما يؤيد ذلك إسناد الاسم إلى ضمير العظمة « إنّا »، وقد يفهم خلاف ذلك كما لو صيغ الاسمان من أفعال تفيد التعدى أو الطلب أو المشاركة ، وهى معانٍ فاسدة ، يتنزه عنها ربنا ـ عز وجل ـ .

(فارغاً) :

قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ **[القصص/١٠] .**

اسم فاعل من الثلاثى قد يوحى بأن الفاعل قام منه الفعل دونما تكلف ، وإنما بدر الفعل منه بصورة تلقائية جِبلّيَة، فبمجرد ذهاب موسى عليه السلام عن عينها صار القلب فارغاً، وليس مُفْرَغاً، وشتان بين المعنيين كما لا يخفى .

(ناصحون) :

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ **[القصص/١٢]**

اسم فاعل من الثلاثى للدلالة على أن الفاعل يبذل النصح من تلقاء نفسه دونما تدخل أو تأثر بأحد، لكنه مجبول مفطور على النصح لغيره.

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ **[الأعراف/٧٩]**

وقوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ **[الأعراف/٢١]**

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ **[هود/ ٣٤]**

فكل هذه الآيات دلت باستخدام الثلاثى أو الوصف منه على حصول النصح من الناصح من تلقاء نفسه ، وفيه دلالة على شدة الرفق وحب الخير للآخرين، وهذا بخلاف استخدام غيره.

(المحسنين) :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ **[القصص/١٤]**

اسم الفاعل من الفعل الرباعى (أحسن) يفيد التعدى، وفيه دلالة على تعدى الإحسان إلى الغير، وفى ذلك دلالة على أن هذا الفضل من الحكم والعلم لا يحوزه إلا المحسنين .

(المجرمين) :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ **[القصص/١٧]**

اسم الفاعل من الرباعى (أفعل) وفيه دلالة على فرط إجرامهم وأنه يتعدى إلى غيرهم، والمجرم بخلاف الجارم، يقال : رجل جارم ، وأصل الجَرْم قطع الثمرة عن الشجر[1].

(خائفاً) :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص/٢١] قد يقال فيها ما قيل فى (فارغاً) ، وأنه للدلالة على تلقائية الحدث دونما كلفة .

(المصلحين) :

﴿ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص/١٩]

اسم الفاعل من الرباعى (أصلح) للدلالة على تعدى الإصلاح إلى الغير، وفيه دلالة على :

١) اشتهار هذا الخلق من موسى –عليه السلام– بين الناس بدليل مخاطبة الرجل له به .

٢) أنه خلق كل الصالحين ، وموسى منهم ، فكأنه خاطبه بوصفهم وسمتهم .والله أعلم

(الصالحين) :

قال تعالى : ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص/٢٧]

عبرّ الرجل الصالح باسم الفاعل من الثلاثى الذى يفيد ويشى بصلاح الرجل فى نفسه، ولم يقل من المصلحين، مع أن المصلح كما سبق . أفضل من الصالح ، لتعدى صلاح المصلح إلى غيره، وفى ذلك دلالة على :

١) تواضع الرجل الصالح حيث عبر عن نفسه بالأقل ، وجرد نفسه من الحول القوة، ، مع تقديم المشيئة.

٢) كَرَمُ أخلاقه ، إذ لم يعبر (بالمصلحين) قولاً، فإنه آثر أن يراه موسى عليه السلام منه حالاً فى حِلّه وترحاله، وهذا أسلم مما لو وصف نفسه بالمصلح، وبَدَر منه ما قد يخالف ذلك ، لذلك آثر الرجل الصالح المعاينة والتطبيق على الإخبار والتنظير .

(الكاذبين) :

قال تعالى : ﴿ لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص/٣٨]

عبر فرعون . قبحه الله . باسم الفاعل من الثلاثى ، وفيه اعتراف ضمنى من فرعون بأن موسى ﷺ . صادق اللهجة ، عفيف اللسان، وقد يكون عبر بهذه الصيغة لِيُلَبِّسَ على الناس أمر موسى ﷺ وذلك لاشتهار صدق موسى ﷺ وعفته ، ولو كان غير ذلك لم يتلوم فرعون أن يلهج بأنه من الكذَّابين، ولكى يتسق كلامه نراه عبّر بالظن المنافى لليقين ليكون لكلامه وجه بين الناس.

---

(١) انظر : الراغب . المفردات . (جرم) . ص (٩٨) .

openkandil.com

(المهتدين) :

قال تعالى : ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص/٥٦] اسم الفاعل جاء من الفعل الخماسى (اهتدى) ، الذى فيه دلالة طلب الهدى وفى ذلك إشارة إلى أن الله -عز وجل- أعلم بمن يطلبون الهدى ويتتبعون سبله، ولذلك قضى بمشيئته النافذة أن يهديهم سبيل الرشاد، فضلاً منه ورحمةً ، جزاءً لهم على حسن صنيعهم ، فأفادت الصيغة أن هدايتهم افتقارية

(مهلك القرى . مهلكى القرى) :

قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص/٥٩] استعمال اسم الفاعل من الرباعى (أهلك) أمر دقيق ، وهو مالا يؤديه صوغه من الثلاثى ، فأفاد التعدى إثبات أن ثَمَّ مُهلِك بيده أسباب القهر ، لا يتعاظمه شىء ، وأفادت التعدية بالهمزة أيضا ، معنى موالاة العذاب عليهم [1] ، وذلك لتماديهم فى غيّهم ، إذ إنه لا عقوبة إلا بذنب ، والله . عز وجل . لا يظلم الناس شيئاً ، بل أمره يدور بين العدل والفضل .

(المفلحين) : **﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (القصص / ٦٧) قد يقال فيه : ما قيل فى (المهتدين) ، وأن فلاحهم بتوفيق الله -عز وجل - لهم، فالله -عز وجل- يوفق العبد للخير بفضله ، وإلا وكله إلى نفسه بعدله، وعندئذٍ فقد وكل إلى العجز والضعف ، نسأل الله التوفيق والهداية ، ولله در القائل :**

ما للعباد عليه حق واجب ✸ كلا ، ولا سعى لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله ، أو نعموا ✸ فبفضله، وهو الكريم الواسع

(المفسدين) :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ **(القصص: ٤)**

وقوله : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ **(القصص: ٧٧)**

اسم الفاعل من الرباعى (أفسد) ، لدلالته على التعدى فى الفساد من النفس إلى الغير، وذاك غاية الشر.

---

(١) انظر : الحملاوى . شذا العرف . ص (٣٨)

(لرادك) :

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ **(القصص / ٨٥) قد يقال فيها : ما قيل فى (رادوه) و (جاعلوه) من الدلالة على وحدانية الإرادة دونما مشقة أو لغوب .**

(حَزَنًا) :

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ **(القصص / ٨) الحُزْن والحَزَن : خشونة فى الأرض، وخشونةٌ فى النفس لما يحصل فيه من الغم ، ويضادُّه الفرح [١].**

قال تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ **(فاطر/٣٤)**

فالحَزَن مصدر أقيم مقام الفاعل ومن سنن العرب إقامة الاسم والمصدر مقام الفاعل والمفعول، والعرب تقول : رجل عَدْلٌ ، أي : عادل ، ورِضىً أي : مَرْضِيّ ، وبنو فلانٍ لنا سَلَمٌ ، أي : مسالمون ، وحرب أي محاربون [٢].

(قلت) : مما سبق قد يكون المعنى ليكون لهم عدواً مُحْزِناً ، وفي مجِيء المصدر ليقوم مقام الفاعل فائدة ، فالمصدر فيه معنى العموم ومن شروط عمل المصدر ألا يكون محدوداً [٣] ، فصار مجيء موسى منشأ ومبدأ الحزن على أعداء الله –تعالى– كافة .

([١]) انظر : الراغب . المفردات . (حَزَنَ) ص (١٢٣) .

([٢]) انظر : الثعالبى – فقه اللغة . ص (٢٢٨) .

([٣]) انظر : ابن هشام – قطر الندى – ص (٢٧٠)

obeikandl.com

(٢) دلالات صيغ المبالغة

(ظهيراً) :

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ ﴾ **(القصص / ١٧)**

هذه الصيغة وإن جاءت بصورة التكثير والمبالغة ، لكنها بمعنى اسم الفاعل من (مُفاعِل) فهى كسمير بمعنى مُسَامِر ، ونديم بمعنى منادم [١]، فتكون ظهير بمعنى مُظَاهِر أي : مناصر

(غَوِيّ) :

قال تعالى : ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ ﴾ **(القصص / ١٨)**

اسم فاعل محول إلى صيغة التكثير على وزن (فَعِيل) للدلالة على كثرة الغواية ، وهذا بخلاف (غاوٍ) ، ولم يقل موسى عليه السلام هذا اللفظ إلا عندما تكرر الموقف مرةً أخرى ، وفيه دلالة على حصافة موسى عليه السلام، وأنه ليس ممن يطلق الألفاظ جزافى ، ولكنه حكيم يضع الأمور في موضعها ونصابها .

(جبّاراً) :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩ ﴾ **(القصص / ١٩)**

اسم فاعل محول إلى صيغة التكثير على وزن (فَعَّال) ، للدلالة على كثرة التجبر والعتو .

(وكيل) :

قال تعالى : ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ ﴾

هذا الاسم جاء على وزن صيغ المبالغة (فعيل) ولكنه بمعنى المفعول[٢] كحميد بمعنى محمود ، ووكيل بمعنى مُوَكَّل.

---

(١) انظر : الحملاوي – شذ العرف – ص (٨٤-٨٥)

(٢) نفسه . (٨٤-٨٥)

obeikandl.com

(نذير) :

قال تعالى : ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ **(القصص/٤٦) هذا الوصف جاء على وزن صيغة المبالغة (فعيل) ، والذي يترآى لى – والله أعلم– أنه (فعيل) بمعنى (مُفْعِل) مثل : (بديع) بمعنى (مُبْدِع)** [1] **وذلك ، لما يأتي :**

١– لإمكانية مجيء (فَعِيل) بمعنى مُفْعِل كما سبق .

٢– أن الفعل المضارع فى الآية جاء مضموم حرف المضارعة ؛ لأنه من الرباعي على وزن (أَفْعَلَ) في الماضي ، فناسب ذلك مجيء اسم الفاعل منه على وزن (مُفْعِل) .

٣– أن النفي لو كان لصيغة (فعيل) ، وهي صيغة التكثير ، لم يكن ذلك قيداً ، لاحتمالية ثبوت القليل كان يأتي من (مُنْذِر) وليس (نذيراً) ، وهذا خلاف منطوق الآية ، فالآية تنفى إتيان جنس المنذرين فى الجملة ، بدليل تنكير (نذير) في سياق النفي.

(الأمين) :

قال تعالى : ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ **(القصص/٢٦) الذي يظهر لى أن (الأمين) على وزن (فعيل) بمعنى اسم لمفعول وجاء في المعجم الوجيز (الأَمِين) : المأمون ، و. من يتولى رقابة شيء والحفاظ عليه**[2] **.**

---

(١) انظر : الحملاوي – شذا العرف – ص (٨٤–٨٥)

(٢) انظر : المعجم الوجيز – (أمن) – ص (٢٦)

openkandl.com

(٣) دلالات الصفة المشبهة :

في هذا المبحث قد نلاحظ كثيراً أن اللفظ الواحد قد يتنازعه جهتان فتارة قد تتنازعه صيغة المبالغة ، وتارةً تنازعه الصفة المشبهة مثلاً ، ومدار ذلك على المعنى والسياق ، وقد ذكر بعض العلماء أشياء من ذلك في تآليفهم وشروحهم ، فمن ذلك :

ما ذكره السكاكى . رحمه الله . فى المفتاح فقال : والصفة المشبهة تخص الثلاثيات المجردة، وهي كل صفة اشتقت منها غير اسمي الفاعل والمفعول على أية هيئة كانت بعد أن تجري عليها التثنية والجمع والتأنيث ككريم وحسن وسمح ونظائرها وهي تدل على الثبوت.(١)

وما ذكره العلاّمة محمد بن صالح . رحمه الله – فى شرحه للواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فقال : " والله غفور رحيم" : "غفور" هذه إما أن تكون اسم فاعل للمبالغة ، وأما ان تكون صفةً مشبهةً ، فإذا كانت مشبهة ، فهى دالة على الوصف اللازم الثابت ، هذا هو مقتضي الصفة المشبهة ، وإن كانت اسم فاعل محولاً إلى صيغة التكثير كانت دالة على وقوع المغفرة من الله بكثرة (٢).

قال ابن هشام – رحمه الله – في مخالفة الصفة المشبهة لاسم الفاعل :

..... الثاني : أنها تدل على الثبوت واسم الفاعل يدل على الحدوث .

الثالث : أن اسم الفاعل يكون للماضي وللحال وللاستقبال ، وهى لا تكون للماضي المنقطع ، ولا لما لم يقع ، وإنما تكون للحال الدائم ، وهذا هو الأصل في باب الصفات ....

الرابع : أن معمولها لا يتقدم عليها ..... الخامس : أن معمولها لا يكون أجنبياً بل سببياً (٣)

(المبين) :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (القصص/٢)

هذا اللفظ باعتبار أصله فهو اسم فاعل من الفعل (أبان) ، وباعتبار اللزوم والديمومة فهو صفة مشبهة ، لأن الإبانة صفة لا تنفك عن كتاب الله تعالى.

(المفسدين) :

قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص/٤)

---

(١) السكاكى . المفتاح . (١ /٥٠)

(٢) انظر : ابن عثيمين – شرح العقيدة الواسطية – دار البصيرة . إسكندرية . ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م . (٣٠٩/١)

(٣) انظر : ابن هشام – قطر الندى – ص (٢٨٩)

هذا اللفظ باعتبار أصله اسم فاعل على وزن (مُفْعِل) ، من الفعل أفسد على وزن (أَفْعَل) ، وهو أشد في الدلالة من لفظ (الفاسد) ، من ثلاثي (فسد) ؛ لأن المفسد يتعدى فَساده إلى غيره .

وباعتبار البقاء والثبوت [1] فهو صفة مشبهة ، وقد يُشكل علينا ادعاء الثبوت في هذا الوصف الوصف .

والجواب :

أنّ (كان) تأتي في الغالب والأكثر للدوام ، وتأتي في الأقل على خلاف ذلك قال صاحب منظومة القواعد الفقهية :

وكان تأتي للدوام غالباً ✸ وليس ذا بلازم مصاحباً [2]

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في شرح منظومته (القواعد الفقهية) :

فمثلا: يرد علينا أن الرسول ﷺ "كان يقرأ في الجمعة (سبّح) و (الغاشية) " .... [3]

" وكان يقرأ في صلاة الجمعة بالجمعة والمنافقين" [4] ، وفى ذلك دلالة على عدم الدوام ، أمّا دلالة الدوام فمثل ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : "كان رسول الله ﷺ يذكر الله على جميع أحيانه " [5] .

(قلت): وفي ذلك دلالة على أن صفة الإفساد في الأرض لم تنفك عن فرعون . قبحه الله . ، ولذلك استحق العقاب والنكال به .

(خاطئين) :

قال تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص/٨) هذا اللفظ باعتبار أصله اسم فاعل من الثلاثي ، وباعتبار (كان) في سياق الآية ، فقد يدل على الثبوت ، ولذلك فوصفه بالصفة المشبهة قد يكون أقيس ، فهم قوم بهت ، استعبدهم الخطأ فصاروا عبيده ، فلم يزل بهم ، ومازالوا نزلاءه حتى أهلكهم .

(عدو مضل مبين) :

---

(١) انظر : الحملاوي – شذا العرف – ص (٨٤)

(٢) ابن عثيمين – منظومة القواعد الفقهية – مكتبة الإيمان . المنصورة – د.ت – البيت رقم (٩٥)

(٣) أخرجه مسلم (٨٧٨)

(٤) أخرجه البخاري (٧٣٨) ومسلم (٤٩٨)

(٥) ابن عثيمين – شرح منظومة القواعد والأصول – تحقيق : أيمن الدمشقي ، وصبحي رمضان – مكتبة السنة – القاهرة – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٥ م . ص (٢٨٤) بتصرف .

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (القصص / ١٥)

هذه الأوصاف الثلاثة لما كانت من أوصاف إبليس – لعنه الله– دلّت على ثبوتها وبقائها ، لذلك فهى أقرب لأن تندرج تحت الصفات المشبهة بالفاعل باعتبار القرينة الحالية لإبليس .

(الغفور الرحيم) :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ (القصص / ١٦)

هذان اسمان من أسماء الله تعالى ، جاءا على وزن صيغة المبالغة للدلالة على كثرة المغفرة والرحمة ، وهذا من حُسن هذه الأسماء ، فأسماء الله تعالى كلها حسنى ، أي بالغة في الحسن غايته ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف/١٨٠)

وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً [١] ، ومن تمام هذا الكمال أن هذه الصفات لم يزل الله ولا يزال متصفاً بها ، ومن منطلق هذه الحيثية فهذه الأسماء صفات مشبهة لدلالتها على البقاء والثبوت ، اللذين يحققان مناطات الكمال وهاتان الصفتان من الصفات الذاتية الفعلية .

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – : وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين ، كالكلام فإنه باعتبار أصله : صفة ذاتية ، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام : صفة فعلية ، لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس/٨٢)، وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعه لحكمته ، وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الإنسان/٣٠) [٢]

(قلت) : واعتقادنا بثبوت هذين الاسمين لله . عز وجل . وما يتضمنانه من صفات فيه دلالة على :

---

(١) انظر : ابن عثيمين – القواعد المثلى في أسماء الله – القاعدة الأولى – ص (٩) .

(٢) نفسه – ص (٣٤) .

obeikandl.com

١- احتياج الإنسان لهذين الاسمين فى الرحمة والمغفرة ، فالمغفرة هي الستر والتجاوز عن الذنب ، ومنه اشتق المِغْفَر وهو غطاء الرأس في الحرب ، قال الطحاوي . رحمه الله . فى معرض كلامه عن خلقه تعالى للمتضادات في كونه والحكمة من ذلك :

" ومنها : ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه ، وعفوه ، ومغفرته ، وستره ، وتجاوزه عن حقه ، وعتقه لمن شاء من عبيده ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء ، لتعطلت هذه الحكم والفوائد ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله : " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم " [١]

٢- اعتقاد الإنسان هذين الاسمين يورث في النفس الاطمئنان ، فلا ييأس من رحمة الله ؛ لأنه غفور رحيم ، فتراه يسير إلى الله -عز وجل- بين الخوف والرجاء ، فأيهما غلب على صاحبِه هلك صاحبُه ، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله - [٢] .

(الناصحين) :

قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ **(القصص/٢٠)**

هذا الوصف قد يبدو لأول وهلة أنه مثل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ **(القصص/١٢) ، غير أن الوصف في هذه الآية قد ينجذب أقرب إلى كونه صفةً مشبهةً ، ولعل علة ذلك أن مؤمن آل فرعون أنهى نصيحته لموسى عليه السلام - بشيء مقرر في نفس موسى عليه السلام ، وهو أنه دائماً ناصح له ، ولأن ذلك ثابت في نفسه أخذ يشرع فى نصيحته ، فخرج على التوَّ من مصر إلى مدين ، ولو كان المعنى ادعاء النصح فقط ، ولم يؤثر عليه موسى عليه السلام ذلك قبلُ، لكان الأمر يشوبه الشك ، ولكن الفاء في قوله :** ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ **دلّت على سرعة امتثاله ﷺ للنصيحة ، فدلّ ذلك على مداومة الرجل للنصح لموسى عليه السلام .**

(الظالمين) :

قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **(القصص/٢١)**

قد يقال : إن اسم الفاعل هنا صفة مشبهة تدل على ثبوت هذا الوصف وعدم انفكاكه عن قوم فرعون بدلالة التكرار لهذا اللفظ بعينة ، وتكرار ما يرادفه ، فتكراره بعينة في قوله تعالى في

---

(١) انظر : ابن أبى العز الحنفى – شرح العقيدة الطحاوية . تعليق الشيخين : ابن باز ، والألبانى . دار البصيرة . إسكندرية . ط٢ : ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠ م . (٢٦٦/١)

(٢) انظر : ابن عثيمين – القول المفيد – (٢ / ١٩٦)

سورة الشعراء : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ **(الشعراء/١٠-١١) .**

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **(القصص/٢٥)**

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ **(القصص/٣٧)**

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **(القصص/٤٠)**

وأما تكراره بالمعنى ، فمن ذلك قوله تعالى في سورة الزخرف : ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ **(الزخرف/٥٤)**

وقوله تعالى في النمل : ﴿ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ **(النمل/١٢)**

وقوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ **(النمل/١٤)**

وقوله تعالى في القصص : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ **(القصص/٤)**

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ **(القصص/٨)**

وقوله تعالى : ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ **(القصص/٣٢)**

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ **(القصص/٤١)**

فهذه الآيات نماذج من آيات كثيرة في كتاب الله دلّت على رسوخ الظلم في نفوس آل فرعون فلذلك وجدنا موسى -عليه السلام- يستغيث بربه منهم ، مستخدماً وصفهم المعهود فيهم المعروفين به ، فكان مسلكه بليغاً فصيحاً ، أنجع في النفس من التصريح . والله أعلى وأعلم

(شيخ كبير) :

قال تعالى : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ **(القصص/٢٣)**

كلمة شيخ صفة مشبهة بالفاعل ؛ وهي من الأوزان غير الغالبة في هذا القسم ، لأنها من (فَعَل) (يَفْعِل) [1]

وكلمة (كبير) فاسم فاعل ، لأنها من (فَعُلَ) اللازم ، فجاء اسم الفاعل منه على (فَعِيل) وينسحب الأخير تحت قسم الصفة لمشبهة لدلالة على اللزوم والدوام .

(القوى الأمين) :

---

(١) انظر : الحملاوي – شذا العرف – ص (٨٣) بتصرف

قال تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ **(القصص/٢٦)**

(القَوَّى) : من : قَوِيَ . يَقْوَى . قُوَّةً

واسم الفاعل من (فَعِل) المتعدى يأتي على وزن (فاعل)

ومن اللازم يكثر مجيئه من (فَعِل) مثل : أَمِن ، و(فَعْلاَن) مثل : عطشان ، و(أَفْعَل) مثل : أبيض ، ويقلّ مجيئه من (فاعل) .

قال ابن مالك :

كفاعلٍ صُغِ اسْمَ فاعلٍ إذا	✸	مِنْ ذي ثلاثةٍ يكونُ "كغذا"
وَهْوَ قليلٌ في (فَعُلْتُ وفَعِلْ)	✸	غيرَ مُعَدًّى بل قياسُه فَعِلْ
وأَفْعَلٌ فَعْلانُ نحو أَشِرِ	✸	ونحوُ صَدْيانَ ونحوُ الأجهرِ [1]

، (قَوَّى) على وزن (فعيل) ، وهو وزن تأتي منه الصفة المشبهة من الفعل اللازم على وزن (فَعِل) مثل : بَخِلَ : بخيل [2] ، لذلك ترجح أن يكون هذا الوصف صفة مشبهة .

(الأمين) فهى فعيل بمعنى مفعول [3] : أي المأمون

(قلت) : ويكون الغرض من هذين الوصفين أن البنت الصالحة قصدت أن خير من استأجرت من جُبِلَ على القوة والأمانة ، بخلاف من يكون قوياً أميناً في موقف دون آخر . والله أعلم

(فاسقين) :

قال تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ **(القصص/٣٢) فهذا الوصف اسم فاعل من (فَسَقَ) ، ومع ذلك فهو صفة مشبهة بدلالة التكرار لهذا الوصف ، وبدلالة كان التي تدل على الدوام غالباً . كما سبق . .**

(الغالبون) :

قال تعالى : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ **(القصص/٣٥)**

قد يقال : إن هذا الوصف صفة مشبهة دلت على ثبوت الغلبة لموسى عليه السلام ومن معه ، بدلالة وعد الله الذي لا يخلف وعده ، وفي ذلك دلالة على تقوية قلبه ومن معه بنصر الله .

(الوارثين) :

قال تعالى : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ **(القصص / ٥٨)**

---

(١) ألفية ابن مالك . الأبيات (٤٥٧ . ٤٥٩) .

(٢) انظر : الحملاوى – شذا العرف – ص (٨٤)

(٣) نفسه . ص (٨٥)

الفعل (وَرِث) على وزن (فَعِل) ، وتأتى الصفة المشبهة منه على وزن (فَاعِل) مثل : صَحِبَ ، صاحب [1]

وهو أيضاً اسم فاعل من (فَعِل) المتعدى ، ولكن الذي يقربه إلى كونه صفة مشبهة ما يلي :

١) أنه من صفات الله عز وجل وصفات الله باقية لازمة .

٢) دلالة (كان) التي تدل هنا على الدوام فى الغالب .

٣) اتساق الوصف مع معنى الديمومة في الصفة المشبهة .

فدّل ذلك على أن الإنسان إذا علم أنه فانٍ هالك ، وأن البقاء لله الذي يرث كلَّ شيء ، فإن نفسه تعزف عن كل زخارف الدنيا ، وتتطلع إلى نعيم الآخرة ، ولا سبيل لذلك إلا بطاعته – عز وجل –

(حسناً) :

قال تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ **(القصص/٦١)**

هذا الوصف قد نقول : إنه صفة مشبهة ، لأنه من الفعل (حَسُنَ) ، واسم الفاعل منه على (فَعَل) قليل مثل: بَطُلَ ـ بَطَل ، ولكن مجيء الصفة المشبهة منه فكثير ، ووزن (فَعَل) واحد من أوزان أربعة فى باب : (شَرُفَ) [2] ، لذلك يتقوى القول بأنه صفة مشبهة ، والذي يقوى ذلك أيضاً أنه وعد الله ـ عز وجل ـ والله لا يخلف وعده ، وذلك خلاف إيعاده [3] ، وهذا هو موطن الحسن فى وعده تعالى .

(قلت) : وفي ذلك دلالة على ثبوت الوعد ودوامه ، أما الأول : فَعُلِم من إسناده لله تعالى ، والثاني : فُهِم من التعبير بالصفة المشبهة ، وأنه ذكر في مقابل متاع الدنيا الذي هو ظلٌّ زائل ، وعاريةٌ مسترجعة .

(صادقين) :

قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ **(القصص/٤٩)**

---

(١) انظر : الحملاوي – السابق – ص (٨٤)

(٢) نفسه – ص (٨٣)

(٣) انظر : عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل شيخ – أصول وضوابط في التكفير – دار الإمام أحمد – القاهرة . ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م – ص (٢٧–٢٨)

obeikandl.com

(قلت) : هذا الوصف مع كونه اسم فاعل قد يكون محولاً إلى الصفة المشبهة بدلالة (كان) التى تدل على الدوام في الغالب ، وتكون الفائدة من ذلك بيان دوام وثبوت صفة الكذب فيهم ، وعُلِم ذلك من مفهوم المخالفة للآية ، لأن المولى ـ عز وجل ـ تحداهم أن يثبتوا ديمومة صدقهم ، وعلق برهان الصدق على الإتيان بكتاب هو أهدى من القرآن والتوراة ، فلّما عجزوا عن إثبات برهان صدقهم ، ثبت بالمخالفة ديمومة كذبهم ومراوغتهم.

(٧٦) الفرحين :

قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾(القصص/٧٦)هذا الوصف اسم فاعل محول إلى صيغة التكثير على وزن (فَعِل) ، فأفاد بذلك كثرة الفرح ، وهو أيضاً صفة مشبهة لكونه على وزن (فَعِل) ، وهو فعل لازم ، فأتت الصفة المشبهة منه على وزن (فَعِلٌ) ، وهذا الوصف يفيد الثبوت والدوام ، فَدَلّت الجهتان على أن المولى – عز وجل – لا يحب مَنْ ديدنه كثرة الفرح ، لكنه قد ثبت بالدليل أن الله – عز وجل – تجاوز عن عباده عند فرط فرحهم

والجواب :

إن هذا الفرح كان وقتياً ، ولم يكن ثابتاً دائماً .

فعن أبى حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله - ﷺ – و - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة " متفق عليه .

وفي رواية لمسلم : " لله أشدَّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها وطعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح [1] . والله أعلى وأعلم

(٨١) المنتصرين :

قال تعالى : ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ (القصص/٨١)

هذا الوصف اسم فاعل من الفعل الخماسي (انتصر)على وزن(افتعل) ، بيد أنه أقرب لكونه محولاً إلى الصفة المشبهة بدلالة (كان) مع النفي ، فكأن المعنى عندئذ : هو سلب ديمومة انتصاره ، وإن بدا للأغرار من الناس خلاف ذلك ؛ إذ إن العبرة بالانتصار في الآخرة . وفي ذلك

---

(1) الإمام النووى – رياض الصالحين – تحقيق : وائل أحمد عبد الرحمن – المكتبة التوفيقية – القاهرة – د.ت – باب التوبة – حديث رقم (١٦) ص (١٥)

دلالة على أن من دَاوَمَ معارضة الحق وأهله ، أجرى الله عليه دوام الخذلان ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء/٨٨-٨٩)

(٨٨) هالك :

قال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص/٨٨) هذا الوصف اسم فاعل ، وقد يكون للصفة المشبهة أقيس وأقرب ، وعلة ذلك أنها أضيفت إلى لفظة (كل) وهي أعم العمومات ، فدلّ ذلك على أن الفناء والهلاك أمر طبعيّ دائم ، صائر إليه كل الخلائق .

وإذا كان كل شيء سواه هالكاً مضمحلاً ، فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها وفساد نهايتها [١] ، فتعّين الرجوع إلى عبادة الباقى الذي له الحكم في الدنيا و الآخرة و إليه مرجع الخلائق كلهم .

([١]) السعدي – تفسير الكريم الرحمن – ص (٦٤١)

obeikandl.com

(هـ): من دلالات المصدر المؤول

الذي دفعنى أن أشرع في هذا المبحث : أنني كنت أطالع كتاباً في قواعد الإعراب ، وهو كتاب (تدريب الطلاب في قواعد الإعراب) للشيخ محمد بن على بن حسين المالكي المكي ، وذكر المؤلف عشر فوائد في خاتمة الكتاب ، وكان منها الفائدة الثانية في مزايا (أن و الفعل) عن المصدر الصريح . فذكر ـ رحمه الله ـ تسع فوائد ، راق لي أن أطبّق ثلاثة منها على دراستى هذه ، رأيت أنها قد تفيدنى في هذا المبحث ، ولمّا تتبعت أقوال وتصانيف أهل العلم من المتقدمين– وذلك بحسب بضاعتي المزجاة لم أجد أحداً منهم أفرد مثل هذه الفوائد مجموعة هكذا في مبحث واحد ، فضلاً عن كونها منظومة كما صنع صاحبنا .

قال الشيخ محمد بن على المالكي :

الفائدة الثانية

س: ما مزايا (أن و الفعل) عن المصدر الصريح ؟

ج : هي تسعة منظومة في قولى :

مزايـا أَنْ وفعـلٌ عـن صـريح ⁂ أتـت تسـعاً : فتوقيـتُ الفصـيحِ

وإمكـــانٌ لفعـــلٍ ثـــم منـــعُ ⁂ عـروضِ الاحتمـالِ فتلـك طبـعُ

أحدها : **الدلالة على الحدث المؤقت ، وثانيها : الدلالة على إمكان الفعل دون وجوده بخلاف المصدر الصريح فيها . ثالثها : تعلق الفعل معها بنفس الحدث تقول : يعجبني أن تقرأ على معنى نفس القراءة وذاتها تُعْجِب ، ولو قلتَ : يعجبني القراءة لاحتمل أن الإعجاب باعتبار حالة من أحوالها كتأخيرها أو تقديمها ، (فأن) بمنزلة الطابع على الحدث والصون المانع من عوارض الاحتمال .[1]**

موافقة الفائدة الأولى : الدلالة على الحدث المؤقت ، لكلام بعض العلماء :

فلأن المصدر الصريح يدل على العموم ، وذلك لأن من شروط إعمال المصدر ألا يكون محدوداً[2] قال المبرد عن الحروف التي تنصب المضارع : فمن هذه الحروف (أن) ، وهي والفعل بمنزلة مصدره، إلا أنه مصدر لا يقع في الحال[3]

([1]) انظر : الشيخ محمد على المالكي المكي – تدريب الطلاب في قواعد الإعراب – تحقيق: سليمان إبراهيم البلكيمي – دار الفضيلة – القاهرة – د. ت– (٢٧٨– ٢٧٩) .

([2]) انظر : ابن هشام – قطر الندى – (٢٧٠)

([3]) المبرد– المقتضب – تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة – دار عالم الكتب – بيروت– ط٤: د. ت – (٢ / ٦)

obeikandl.com

(قلت): وهذا يؤيد أنه مؤقت؛ لأنه ذكر بعد ذلك أن يكون إما مع الماضي فيدل على الماضي ، وإما مع المضارع فيدل على الاستقبال.

موافقة الفائدة الثانية: الدلالة على إمكان الفعل دون وجوده بخلاف المصدر الصريح فيها، لكلام بعض العلماء :

فهو ما عبّر عنه المبرد في المقتضب بقوله في (هذا باب أنْ) :

واعلم أن هذه لا تلحق بعد كل فعل ، إنما تلحق إذا كانت لما لم يقع بعد ما يكون توقعاً لا يقيناً ، لأن اليقين ثابت ، وذلك قولك : أرجو أن تقوم يا فتى ، وأخاف أن تذهب يا فتى ، كما قال عز وجل : " نخشى أن تصيبنا دائرة "

ولو قلت : أعلم أن تقوم يا فتى ، لم يَجُزْ ؛ لأن هذا شيء ثابت في علمك، فهذا من مواضع أنَّ الثقيلة ، نحو : أعلم أنّك تقوم يا فتىٰ [1]

قال السيوطي في همع الهوامع :

وشرط نصب المضارع بعد (أن) ألا تقع بعد فعل يقين ، كعلم و تحقيق وتيقن ونحوها ، فإنها حينئذٍ المخففة من الثقيلة [2]

وقال أيضاً : " **وتقدر المخففة بعد العلم ، وغيرها بعد لولا ، أو فعل كراهة ، أو إرادة ، أو خوف ، أو رجاء ، أو منع ، أو نحو ذلك .**[3]

وهاكَ بعضَ دلالات المصدر المؤول (أن والفعل) ، في ضوء هذه الفوائد :

تطبيق (١)

(أولاً) دلالة (أن والفعل) على إمكان الفعل دون وجوده (التوقع) :

قوله : ﴿أَن نَّمُنَّ﴾ (القصص/٥)

مكان هذا المصدر المؤول من الاستضعاف كمكان النتيجة من السبب ، لذلك فإن إمكان وقوع المَنّ صار متوقعاً توقع النتائج من المقدمات ، وتوقعه يصل إلى درجة اليقين إذا علمت أنه متعلق بإرادة الله الكونية ، ولذلك أتى المصدر المؤول من (أن و الفعل) ليعبر عن هذا المعنى المتوقع أتم تعبير ، ولو كان المصدر صريحاً (نريد المن) ، لدل ذلك على عموم الحدث ، ولم يدل على الحدث المؤقت كما سيأتى فى ثانياً .

---

(١) السابق . (٣٠/٢)

(٢) السيوطي – همع الهوامع – تحقيق : د.عبد الحميد هنداوي – المكتبة التوفيقية – مصر – د.ت – (٣٦٠/٢-٣٦١)

(٣) نفسه . (٥٦/٣) . وانظر : ابن هشام – قطر الندى – (٦٣ . ٦٦) .

(ثانياً) دلالة (أَنْ و الفعل) على الحدث المؤقت

وهذا نلاحظه لأن (المن) وُقِّتَ بعد الاستضعاف في الأرض ، فهو بمثابة الجائزة للمجتهد ، وإعطاؤها قبل الاجتهاد ، ضرب من العبث تأباه الفطر السوية.

(ثالثاً) دلالة (أَنْ والفعل) على تعلق الفعل معها بنفس الحدث :

لّما ضرب الشيخ المالكي المثالين السابقين (يعجبني القراءة) و (يعجبني أن تقرأ) علمنا أن نفس القراءة وذاتها مطلوبة مقصودة لإثارة الإعجاب ، وهنا يمكننا أن نقول : أن ذات المن مقصود ، وأنه لا يكون ولا يمدح إلا إذا كان من عند الله –عز وجل– ، فأي مَنٍّ مِنْ سواه ، مردود على صاحبه ، وفي ذلك دلالة واضحة على أن المن لله وحده ولرسوله ﷺ من بعده ، والدليل على ذلك أنه لّما اجتمع النبي ﷺ بالأنصار على إثر تقسيم الغنائم من أموال هوازن ، فقال ﷺ: " يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم ، وجِدَةٌ وجدتموها علىّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألفَّ الله بين قلوبكم ؟

قالوا : بلى ، والله ورسولُه أَمَنُّ و أفضل ، ثم قال : " ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله و لرسوله المنُّ و الفضل[1] . فلذلك صح القول أنّ (أَنْ) بمنزلة الطابع على حَدَث المن ، والصون المانع من احتمالية وقوعه من غير الله ـ عز وجل ـ .

تطبيق (٢)

قوله : ﴿أَنَ أُنكِحَكَ﴾ (القصص/٢٧)

(أولاً) دلالة (أَنْ و الفعل) على إمكان وقوع الفعل (التوقع) :

وهذا واضح من السياق ، لأن صالح مدين تفّرس فى نبى الله موسى عليه السلام صفات النبل ، لذلك توقّع منه إجابته للفعل ، ولذلك كان التعبير بالمصدر المؤول آكد من غيره ، وأرعى لمقتضى الحال .

(ثانياً) دلالة (أَنْ والفعل) على تعلق الفعل معها بنفس الحدث :

وهذا أيضاً ظاهر من السياق ، فالرجل الصالح لم يكن ليرضى بمجرد الإنكاح من أي رجل ، بل أراده من موسى دون غيره ، وهذا شبيه بقولنا " يعجبني أن تقرأ " كما سبق فكأن (أن و الفعل) بمثابة التقييد لمطلق الطلب ، وهو ما عُبِّرَ عنه بالطابع على الحدث ، وهو الصون المانع من احتمالية دخول غير موسى عليه السلام فى دعوة صاحب مدين .

([1]) انظر : ابن هشام (عبد الملك) ـ سيرة النبى ﷺ ـ راجعه وعلق عليه : د . محمد خليل هرّاس ـ مكتبة الجمهورية ـ مصر ـ د . ت ـ (٤ / ١٢٤ : ١٢٦) ـ وانظر : عبد السلام هارون – تهذيب سيرة ابن هشام – مكتبة القرآن ـ مصر ـ د. ت ـ ص (٢٥٦) .

(ثالثاً) دلالة (أَنْ والفعل) على الحدث المؤقت :

وهذا أيضاً ظاهر ، لأن الرجل الصالح لم يكن ينتوى إنكاح موسى قبل ذلك ، لأنه لم يكن يعرفه ، ولم يكن رأى مخايل النبل ، ولم يكن ليرجئ هذا الطلب لأمدٍ بعيد ، خشية فوات الفرصة .

obeikandl.com

ثالثاً : أثر الدلالات الصوتية

أتناول فى هذا الجزئية بعض الظواهر التعجبية ، وقد يبدو للقارئ أن هذه الجزئية من قبيل الدلالات الصرفية ، والجواب :

إن ذلك صحيح ، ولكن الصيغ التعجبية موضع الدراسة هنا ، صيغ سماعية بخلاف الصيغتين القياسيتين اللتين تنضبطان بضوابط صرفية مقررة في بابها ، فمن ذلك اسم الفعل (وَيْ) الذي يعبّر به عن التعجب .. وهاكَ التفصيلَ .

تعريفه :

حكى السيوطي – رحمه الله – في الإتقان عدة تعريفات ، فمن ذلك :

قال ابن فارس : وهو تفضيل شيء على أضرابه .

وقال ابن الصائغ : استعظام صفة ، خرج بها المتعجب منه عن نظائره .

وقال الزمخشري : معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله .

وقال الرُّماني : المطلوب في التعجب الإبهام ، لأنه من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه ؛ فكلما استُبْهِمَ السبب كان التعجب أحسن ، قال : وأصل التعجب إنما هو المعنى الخفى سببه [1].

(ويل) :

﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾

[القصص/٨٠]

(ويل) : قال الراغب في المفردات : **ويل : قال الأصمعى ، وَيْلٌ قُبْحٌ ، وقد يستعمل على التحسر ، وويْس استصغار ، وويح ترحم ، ومن قال : ويل وادٍ في جهنم ، فإنه لم يُرِدْ أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا ، وإنما أراد مَنْ قال الله –تعالى– ذلك فيه ، فقد استحق مقراً في النار وثبت له ذلك [2].**

وجاء في المعجم الوسيط :

(الوْيل) : حلول الشر وكلمة عذاب .

(الوْيلة) : الفضيحة ، ويقال : وا ويلتاه : وا فضيحتاه

(وَيْلُمَّهِ) – يقال : رجلٌ وَيْلُمَّهِ : داهية .

([1]) السيوطي – الإتقان – ص (٤٠٦-٤٠٧)

([2]) الراغب – المفردات – (ويل) ص (٥٥٠)

obeikandl.com

وأصله الدعاء عليه ، ثم استعمل في التعجب مثل : قاتله الله ، يقولون : وَيْلُمِّهِ ، يريدون : وَيْلُ أمه .[1]

(قلت) : ولعل القصد منها في هذا السياق التعجب من حالهم ومن تدنى هممهم ، لأنهم أرادوا الدنيا بالآخرة ، وشبيه بهذا الموضع قوله تعالى حكاية عن الإخوة أصحاب الجنة : ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ [القلم/٣١] فهم مع تلاومهم قد يشوبهم التعجب مما صار إليه حالهم ، وهذا لاشك خلاف السياق في قوله تعالى : ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين/١] وقوله : ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة/١]

ولعلّ الذي يُقَوَّى عندنا القول : بأنها قد تأتي في بعض السياقات للتعجب ما يلي :

١) ما ذكره المعجم الوسيط من أن بعض اشتقاقاتها مثل (وَيْلُمِّهِ) يأتي للتعجب .

٢) ما ذكره الراغب في المفردات من قول بعضهم – كما سيأتي – أن أصل (وَىْ) كان وَيْلَكَ ، ثم حذفت اللام ، وهو قول قُطرب ، نقله عنه القرطبي في التفسير[2] .

٣) أن أساليب التعجب هذه سماعية وليست قياسية ، وأن الحكم في ذلك إلى السياق ، فالسياق من المقيدات .

٤) ورود ألفاظ كثيرة للتعجب ، مع أن أصلها خلاف ذلك ، مثل قوله ﷺ لأصحابه يوم حنين عندما قالوا له : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذاتُ أنواط ، فقال رسول الله ﷺ: " الله أكبر إنها السُّنَنُ ، قلتم . والذي نفسي بيده . كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ (الأعراف/١٣٨) لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم " [3]

ولحديث عائشة . رضى الله عنها . أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غُسل المحيض ؟ فقال : " تأخذ إحداكن ماءها و سدرتها فتطهّر ، فتحسن الطُّهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها ، ثم تصب عليها الماء ، ثم تأخذ فِرْصَةً مُمَسَّكةً فتطهر بها " فقالت أسماء ؛ وكيف تطهر بها ؟ فقال " سبحان الله تطهرين بها " فقالت عائشة . رضي الله عنها . : كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم " الحديث [4]

والشاهد : قوله ﷺ متعجباً : " سبحان الله "

---

(١) المعجم الوسيط – (ويل) (١١٠٤/٢)

(٢) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (٢٥٥/١٣) . وانظر: الراغب . المفردات . (وَىْ) .(٥٥٠)

(٣) رواه الترمذي (٢١٨٠) و النسائي في الكبرى (١١١٨٥) وأحمد (٢١٨/٥) وصححه الألباني في "تخريج السنة" لابن أبي عاصم (٧٦)

(٤) رواه مسلم . كتاب الحيض . باب استعمال المغتسلة من الحيض المسك . رقم (٣٣٢/٦١)

يقول الدكتور أحمد كشك :

" **إن جملة التعجب** : (سبحان الله) ، **قد يقصد بها التقرير حين يذكر الإنسان ربه ، ولكنها تصبح تعجبية إذا عبّرنا من خلالها مندهشين منفعلين وقلنا : سبحان الله يا أخي! لقد انفعل رسولنا المصطفي – ﷺ – هذا الانفعال قائلاً : " سبحان الله " إن المؤمن لا ينجس حياً أو ميتاً** " [١]

(وَيْ) :

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ **(القصص/٨٢)**

قال الراغب : (وَيْ) كلمة تُذْكَرُ للتحسر والتندم والتعجب ، تقول : وَيْ لعبد الله ، قال تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ **وقيل : وَيْ لزيد ، وقيل : (وَيْكَ) كان وَيْلَكَ فحذف منه اللام** [٢].

ونقل القرطبي في التفسير أقوالاً متعددة في (وَيْ) ، والذي يهمنا منها معنى التعجب ، فنقل . رحمه الله . معنى التعجب : عن الجوهري والكسائي ، ونقل قولاً قريباً من التعجب وهو التنبّه ، نقله عن الخليل وسيبويه ويونس والكسائي [٣].

وقال ابن مالك – رحمه الله – :

وما بمعنى افْعَلْ كـ (آمينَ) كَثُرْ ⁂ وغيرُه كـ (وَيْ وهيهاتَ) نَزَرْ [٤]

قال ابن عثيمين في شرح الألفية : " وَيْ " اسم فعل مضارع بمعنى : أعجب [٥]

قال الهاشمي في القواعد الأساسية : **أسماء الأفعال السماعية على ثلاثة أنواع : .....**

٢. وما ورد بمعنى المضارع ، وهو :

آه – و أوّهْ (أتوجع) ، و أُفٍّ (أتضجر) ، ووَا ، ووَاها ، ووَىْ (أتعجب) أو أتلهف [٦].

---

(١) انظر : د. أحمد كشك – من وظائف الصوت اللغوى – دار غريب – القاهرة – ٢٠٠٧ ص (٧٤)

(٢) الراغب – المفردات . (وي) ص (٥٥٠)

(٣) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (٢٥٥/١٣)

(٤) ألفية ابن مالك . البيت (٦٢٨) .

(٥) ابن عثيمين – شرح ألفية ابن مالك – ص(٦٦٤) بتصرف

(٦) الهاشمي – القواعد الأساسية – تحقيق : عماد البارودي – المكتبة التوفيقية – د.ت – ص(٣٤٦)

obeikandl.com

(قلت) : والشاهد فيما سبق هو ورود التعجب من هذه الأحرف القليلة ، مع العدول عن الصيغة القياسية ، فتارة : ويلكم ، وتارة : ويكأن ، و ويكأنه ، ولعل لهذه الأصوات إيحاءات و دلالات تخدم هذا السياق أفضل من غيرها وذلك لما يأتي :

١) أن السياق الأول : سياق مُحَاجّة بين أهل الآخرة و قوم مُلئت قلوبهم بزينة الدنيا ، فناسب ذلك ، التعجب منهم بهذا الصوت الذي هو بمثابة التنبيه و الزجر لأناس ثملوا من كأس الدنيا و زينتها فأضحوا سكارى ، فكان اللَّهَجُ (بالويل) بمثابة كشف الخمرة عن العقول ، وغسل الران عن القلوب ، حتى تعي وتقبل الحق

وأما السياق الآخر : فهو سياق الندم والتأوّه ، من قوم أفاقوا من غفوتهم فألفوا أنفسهم قد فرطوا في جنب الله ، ووجدوا الله بهم حليماً ، فعندئذٍ ناسب ذلك التعجب الذي هو أشبه فى هذا المقام بالترجيع والحنين إلى التوبة ، وهذا مقام لا يليق معه علو الجرس وارتفاع الصوت ، لكنه مقام الانكسار والتأمل ، فناسب ذلك الصوت (وَيْ) ليتعجب كل واحد منهم فى نفسه ، من سوء الأدب مع ربه عز ذكره .

٢) أن التعبير بالصيغ السماعية أو أسماء الأفعال عن التعجب قد تكون أنجع مما لو استخدمنا أو عبّرنا بغيرها ، ذلك لأنها في الحقيقة انفعالات تخرج في أصوات قليلة للتعبير عن حالة الإنسان ، بخلاف أن يسوق الإنسان جملة ليترجم بها عن هذا الانفعال ، فلا سواء بين أُفٍّ وأتضجر،

يقول الدكتور أحمد كشك : اسم الفعل : اسم يحمل عند التلفظ به قيمة تنغيمية تفارق الفعل الذي ادعاه النحاة مساوياً له ، وكي يزداد الأمر وضوحاً علينا أن ننظر إلى كل نوع من أنواعه: ..... فليس بمعقول أن يكون قولنا : "بَعُدَ الفشل" مساوياً لقولنا : "هيهات الفشل"، لأن الدهشة والانفعال حين النطق تملكان اسم الفعل فيكون التعبير من خلاله مساوياً لما نريده في عاميتنا حين نقول : (مستحيل ده مش ممكن!) ..... وحين يُظَن قيام تسوية ما في الدلالة أو الاستخدام بين الفعل واسمه فإن التسوية لا أساس لها من الصحة ، فليس "أُفٍّ" بمساوية "لأتضجر" ، وليست "أوّهْ" مساوية لأتوجع ، فلا يقال : " أُفٍّ " إلا حين يكون الإنسان متأففاً لإحساس غرزي انفعالي لديه نتيجة حرارة جو أو إحساس باختناق ، على سبيل المثال ، في زحام المواصلات يتأفف الراكب من اختناق الجو فيقول غير قاصد أو شاعر : " أُفٍّ "

ولم يك ممكناً أن يقول في هذا الموقف "أتضجر" لأنه لو فعل ذلك لأثار سخرية وضحك الموجودين " [١]

([١]) انظر : د. أحمد كشك – في وظائف الصوت اللغوي ص (٨٤:٨٦)

وقال الهاشمي : **اسم الفعل ما ناب عن فعله في العمل غير متأثر بالعوامل ، وغير قابل لعلامة من علامات الأفعال و الغرض منه الاختصار للمبالغة و بالتوكيد** [1]

(قلت) : مما سبق يمكننا أن نقول : إن هذه الصيغ السماعية أفادت دلالات قوية و معاني إيحائية هى رعاية مقتضى هذه الانفعالات التعجبية لدى أصحابها ، وهذا من جمال القرآن و إعجازه .

obeikandl.com

(1) **الهاشمي – القواعد الأساسية – ص – (٣٤٥)**

رابعاً : الدلالة النحوية (أثر دلالات الإضافة و قطعها)

" ظهيراً للمجرمين " : **قال تعالى :** ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ ﴾ **(القصص/١٧)**

لما مَنَّ الله ـ عز ذكره ـ على موسى عليه السلام ، وغفر له، عاهد ربه ألا يكون فيما يستقبله من أمره ظهيراً للمجرمين، ودلّ على معنى الاستقبال النفى بـ (لن) التى تُخَلِّص الفعل لـه، وناسب ذلك قطع الوصف عن الإضافة، ليدل على الاستقبال ،ولعل الذى حملنا على هذا القول مشابهة هذه الآيـة لقولـه تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف/٢٣ـ٢٤]

.

قال ابن قتيبة –رحمه الله– فى تأويل مشكل القرآن **: ولـو أن قـائلاً قـال : « هذا قاتلٌ أخـى » بـالتنوين ، وقـال آخـر : « هذا قاتلُ أخـى » بالإضـافة ، لَدَلَّ التنـوين علـى أنـه لـم يقتلـه، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله** [1]

وقـد سمع عن الكسـائى كمـا جـاء فـى الأشباه والنظائر **جـ٣ ص ٣٤٥ يقـول: اجتمعت وأبـو يوسف عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو ، ويقول : ما النحو؟ فقلت : ـ وأردت أن أعلمه فضل النحو ـ ما تقول فى رجل قال لرجل : أنـا قاتلُ غلامك ، وقال آخر : أنـا قاتلٌ غلامك، أيهمـا كنـت تأخذ بـه ؟ قـال : آخذهما جميعاً، فقال هارون: أخطـأت ، وكـان لـه علـم بالعربيـة، فاستحى ، وقـال : كيف ذلك؟ فقال: الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى قال أنـا قاتلُ غلامِك بالإضافة؛ لأنه فعل ماض، فأما الذى قال: أنا قاتلٌ غلامك بلا إضافة، فإنه لا يؤخذ لأنـه مستقبل لـم يكن بعد كمـا قـال الله تعالى :** ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ **[الكهف/٢٣/٢٤]** [2] .

(٥٩) (مهلك القرى . مهلكى القرى)

قـال تعـالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩ ﴾ **[القصص/٥٩] .**

يقال فى هذه الآية ما قيل فيما سبق، وأن إضافة اسم الفاعل يدل على أن حادث الإهلاك قد وقـع فـى الماضـى ، وذلـك بخـلاف القطـع عن الإضـافة إلـى التنـوين ، وأن فـى ذكـر ظلمهـم فـى سياق الإضافة حكايةً لسبب إهلاكهم .

---

(1) **ابن قتيبة ـ تأويل مشكل القرآن ـ (١ / ١٨) .**

(2) **د. أحمد كشك . من وظائف الصوت اللغوى ـ ص (١٨) .**

وفى ذلك براهين نيرات، وواضح الدلالات ، على رحمة رب الأرض والسماوات ، مع اقتداره على من عانده ، ويتجلى هذا فى أليم أخذه ، قال رسول الله ﷺ : " إن الله لا يملى للظالم " ـ وهذه هى رحمته ـ " حتى إذا أخذه لم يفلته " [1] ـ وهذه هى عزته واقتداره ـ ، فإذا عرفنا ذلك لزمنا الطاعة والسعى على الجادة .

(لرادُّك إلى معاد) :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص/٨٥]

قد يشكل علينا هنا أن الإضافة تكون للماضى، وأن الآية فيها وعد بالرد إما لمكة أو للجنة[2] وهذه أو تلك بلوغهما فى المستقبل .

والجواب : **إن هذه العِدَة من الله ـ عز وجل ـ جاءت بالإضافة، للدلالة على أنها أمرٌ مقضىٌّ لابد من حصوله، فكان المعنى تأكيداً وتثبيتاً له ﷺ.**

(أجر ما سقيت لنا) :

قال تعالى : ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص/٢٥] أضافت المرأة الصالحة الأجر إلى المصدر المؤول « ما سقيت » للدلالة على حصافتها، وفصل خطابها، فأضافت الأجر إلى المصدر ، لعلمها أن موسى ـ عليه السلام ـ رجل نبيل ، فعل ما فعله دونما انتظار أجر أو بذل معروف ، فكان من نباهتها وأدبها أن وَفَّقَتْ خطابَها بما يناسب ويلائم فعله ﷺ ، وبما فيه رعاية للسياق ، ولو كان الخطاب لمن يطلب الأجرة، لقالت : (أجرك) ، ولم يكن فى ذلك غضاضة أو فجاجة .

([1]) متفق عليه– أخرجه البخاربفى كتاب التفسير– سورة هود (٨ /٤٦٨٦) ومسلم فى كتاب البر والصلة الآداب (٢٥٨٣) .

([2]) انظر : القرطبى ـ التفسير ـ (١٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

obeikandl.com

المبحث الثانى :
دلالات الأساليب الخبرية

تعريف الأسلوب الخبرى :

قال الهاشمى – رحمه الله – : **الخبر : كلامٌ يحتمل الصدق والكذب لذاته، وإن شئت فقل: الخبر هو ما يتحقق مدلوله فى الخارج بدون النطق به، نحو : العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم ، وتلك الصفة ثابتة له سواءٌ تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظها، لأن نفع العلم أمر حاصل فى الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكى ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع، وهدت إليه العقول، بدون نظر إلى إثبات جديد** [1].

ونجد الشيخ أحمد مصطفى المراغى ـ رحمه الله ـ يفسر التعريف الأول ، وهو الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته، فيفسر الذاتية بقوله : قولنا «لذاته» ليدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق، كأخبار الله وأخبار رسله ، والواجبة الكذب كأخبار المتنبئين فى دعوى النبوة والبديهيات المقطوع بصدقها أو كذبها، فكل هذه إذا نظر إليها لذاتها دون اعتبارات أخرى احتملت أحد الأمرين ، أما إذا نظر فيها إلى خصوصية المخبر أو فى الخبر تكون متعينة لأحدهما[2].

والحقيقة أن هذا التعريف هو السائغ لى ، وقد مر بمراحل شد وجذب بين العلماء على مختلف المذاهب والأزمان، وقد ذكر الدكتور مختار عطية **طرفاً من ذلك فى كتابه (علم المعانى) فذكر تعريف** النَّظَّام وهو معتزلى :

فيرى النظام **أن صدق الخبر يكون بمطابقته لاعتقاد المخبر، ولو كان ذلك الاعتقاد خطأً ، وكذب الخبر يكون بعدم مطابقته لاعتقاد المخبِر ولو كان ذلك الاعتقاد صواباً .**

وأما تلميذه الجاحظ المعتزلى المشرب أيضاً :

فيرى عدم انحصار الخبر فى الصدق والكذب، وزعم أن الخبر ثلاثة أقسام، فيكون:

١) إما صادقاً ٢) وإما كاذباً ٣) وإما غير صادق ولا كاذب

فالأول **المطابق للواقع مع الاعتقاد بذلك،** والثانى **: غير المطابق مع الاعتقاد أيضاً، وأما** الثالث: **فيشمل :**

١) الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق .

٢) الخبر المطابق بدون اعتقاد أصلاً .

---

(١) **الهاشمى ـ جواهر البلاغة ـ ص (٣٩) .**

(٢) **المراغى ـ علوم البلاغة ـ د . ت ـ ص (٤٣/١) .**

٣) الخبر غير المطابق مع الاعتقاد بأنه مطابق .

٤) الخبر غير المطابق بدون اعتقاد أصلاً .

وأما الفخر الرازى ، وهو أشعرى المنزع :

فيرى أن الخبر هو القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم ، بالنفى أو الإثبات ، ويتطرق الرازى إلى حد الخبر باحتماله الصدق أو الكذب، حيث يرى أن الصدق والكذب إنما يتوجهان إلى خبر المبتدأ لا إلى صفته . أى ذاته . فلو قيل : « زيد بن عمرو سيد » وأريد تكذيب هذا لم يكن التكذيب متوجهاً إلى كون « زيد بن عمرو» ، ولكن إلى كونه سيداً لكن يبقى فى النفس من كلام الرازى شىء ، فكلامه حتى الآن لم يبل الصدى ، ولم يشفِ الغليل، فما زال الباحث متعطشاً إلى معرفة الحكم على كلام مثل كلام الله تعالى أو كلام الرسل – عليهم السلام –، هل الحكم يكون أيضاً على الخبر لا الصفة ؟

والجواب : **بالقطع لا ، وهنا نجد** الدكتور مختار عطية **يخلص إلى استثناء أخبار الله تعالى والرسل والبديهيات المقطوع بها ، ويورد فى ذلك كلام** الدكتور أحمد مطلوب : **بأن الكلام الذى يخضع لاحتمالية صدقه أو كذبه، هو كل كلام يؤخذ من غير النظر إلى قائله ، فيقول بعد استثناء هذه الأخبار المقدسة :**

أما غيرها من الأخبار فهى قابلة للتصديق والتكذيب من أى إنسان صدرت منه، لأنها ينظر إليها لذاتها ، لا لذات القائلين [١].

القول على فروق الخبر وتقسيمه :

قال عبد القاهر الجرجانى – رحمه الله – :

أول ما ينبغى أن يعلم منه : أنه يقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه، وخبر ليس بجزء من الجملة ، ولكنه زيادة فى خبر آخر سابق له .

فالأول : **خبر المبتدأ كمنطلق فى قولك : زيد منطلق ، والفعل كقولك : خرج زيد ، فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الأصل فى الفائدة .**

الثانى : **هو الحال كقولك : جاءنى زيدٌ راكباً، وذاك لأن الحال خبر فى الحقيقة ، من حيث إنك تثبت بها المعنى لذى الحال ، كما تثبته بخبر المبتدأ للمبتدأ ، وبالفعل للفاعل ، ألا تراك قد أثبت الركوب فى قولك : « جاءنى زيدٌ راكباً » لزيد ، إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى فى إخبارك عنه بالمجىء ، وهو أن تجعله بهذه الهيئة فى مجيئه** [٢].

---

(١) د. مختار عطية . علم المعانى . دار الوفاء . الإسكندرية . ٢٠٠٤ م . ص (٢٥ . ٢٧) بتصرف .

(٢) الجرجانى . دلائل الإعجاز . ص (١٢١) .

(قلت) : وهذا الخبر الثانى هو محل بحثنا فى علم المعانى ، وهو متصورنا .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص/٤]

هذا أسلوب خبرى مستواه طلبى ، والأصل أن يُؤْتَى بهذا الضرب من الخبر إذا كان المخاطَبُ شاكاً فى مدلول الخبر أو فى الخبر ذاته، طالباً فى ذلك التثبت من صدقه ، وهذا ما قد يُشكل علينا فى هذه الآية .

فأين يكمن التردد أو الشك فى الآية؟ وقد خوطب به المسلمون، حتى كفار قريش لم يثبت أنهم أنكروا ، أو شكوا فى طغيان فرعون وفساده فى الأرض .

والجواب

١) إن التردد ليس من جهة النبي ﷺ ، ومن خلفه المسلمين، ولكن لّما ختمت الآية السابقة بهذه الفاصلة: « لقوم يؤمنون» فُهِم من مفهومها أن الكفار المكذبين لا ينتفعون بهذا الحق ، لأنهم لا يؤمنون، ولطالما يجحدونه ، ظلماً وعلواً ، قال تعالى : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل/١٤]

٢) قد يقال أيضاً إن فساد فرعون بلغ المنتهى ، وهو ما يمكن أن يكون مدعاةً للتردد عند بعض المتلقين ، عند سماعهم بفظاعاتٍ أشبه بالخيال ، فلذلك جاء التأكيد فى الصدر ليأنس به ويعتضد كل من قد يساوره شك فى هذه الأخبار العجيبة ، وذكر العلاّمة ابن عاشور أن افتتاح الآية بالتوكيد للاهتمام بالخبر [١].

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/٤]

فى صدر هذه الآية جاء التوكيد خفيفاً يتوافق مع حال المخاطب المتردد المستثبت من صدقه، بيد أنه فى الفاصلة جاء تأكيده متعدداً يتوافق مع مقام المنكر، فلماذا لم يأتِ بنفس قوة الصدر؟

والجواب : **لما ذكر الله شيئاً من فساد فرعون وعلوه فى الأرض، فكأن أحداً استكثر هذا واستعظمه فأجرى حاله حال المنكر أو المتردد ، وكأن الإجابة جاءت إليه تعليلية تفسر فعل ذلك ؛ إنه كان من المفسدين [٢].**

لذلك جىء بـ « كان » التى تدل على الدوام فى الغالب وبـ « إن » ، وبالجملة الإسمية ذات الخبر المفرد المحذوف ، وهذا النوع من الخبر يفيد الثبوت [١]، أى : إن فساد فرعون صار

---

(١) ابن عاشور . التحرير والتنوير . (٢٠ / ٦٦) .

(٢) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٤٣) .

صفة ثبوتية ذاتية لا ينفك عنها ولا تنفك عنه ويؤيد ذلك اعتبار لفظة « المفسدين » صفة مشبهة كما سبق وهو أيضا ما قرره عبد القاهر الجرجانى فى قوله: " ومتى اعتبرت الحال فى الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهراً بيناً ، ولم يعترضك الشك فى أن أحدهما لا يصلح فى موضع صاحبه ، فإذا قلت : زيدٌ طويلٌ ، وعمرو قصيرٌ ، لم يصلح مكانه يطول ويقصر" [٢] ، فجاءت كل هذه الأمور مجتمعة لرد الإنكار عن المتلقى .

فالمهم أن هذه الفاصلة جاءت بمثابة التعليل لما سبق من فساد فرعون وطغيانه بما لا يدع مجالاً للشك أو الإنكار .

قوله فى الآية (٤) : « علا » و « جعل » و « يستضعف » و « يذبّح » و « يستحيى » :

هذه الأفعال دلت على تجدد وحدوث الخبر [٣] ، والترقى فيه ، فبداية البغى العلو ، وهو فاتحة كل شر ، ثم ترقى به إلى أن جعل الناس أشياعاً فى خدمته، ثم يأتى الفعل « يستضعف » ليفيد حكاية حال ماضية ، وهى دأبة على استضعاف طائفة الموحدين من بنى إسرائيل، ثم يأتى الفعلان « يذبّح » و « يستحيى » لبيان كيفية هذا الاستضعاف الذى دأب عليه هذا الظالم المفسد ، وهذا الأسلوب . أعنى الترقى . موجود فى كتاب الله تعالى ، فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ **[الحجرات / ١٢]** [٤] ، **فالظن مفتاح التجسس ، والتجسس مفتاح الغيبة ، والغيبة هى الولوج فى الأعراض ، وأكل اللحوم المنتنة.**

قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ﴾ ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص/٥]

١) أول ما نلاحظه : أن هذه الجمل الخبرية معطوفة على قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص/٤] لأنها كلها تفسير للنبأ [٥].

---

(١) الهاشمى – السابق . ص (٥١) .

(٢) الجرجانى . دلائل الإعجاز . ص (١٢٣) .

(٣) الهاشمى . المصدر نفسه . ص (٥١) ، وانظر الجرجانى . دلائل الإعجاز (١٢٢ : ١٢٤) .

(٤) انظر : ابن عثيمين . شرح رياض الصالحين . حديث (١١١) . ص (١ / ٤٢٥) .

(٥) انظر : البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . (١٧١/٤) . وانظر : أبو حيان الأندلسى . البحر المحيط . (٧/ ١٠٠) .

٢) أن هذه الجمل لم تأتِ مؤكدة كالأخبار السابقة؛ لأن الكلام هنا صار موجهاً بالدرجة الأولى إلى بشارة المؤمنين بوعد الله للمستضعفين من عباده فى كل زمان ومكان، لذلك فليس للتردد أو الشك مكان، فانتفت المؤكدات .

٣) مجيء هذه الأفعال بصيغة المضارعة دلّت على التجدد والحدوث [١] ، ومعنى ذلك أن هذه الأفعال تعلقت بمشيئة الله تعالى ، فكلما تطلبت الحكمة إرادة شيء أو جعل شيء ، وقع الفعل بمشيئة الله تعالى، وهذه الأفعال من الصفات الفعلية لله -عز وجل- ، وهى باعتبار الجنس صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال فعّالاً، أفعاله لا تنقضى، وكذلك أقواله ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف/١٠٩]، لكن آحاد الفعل أو نوع الفعل فهذا ينفك الله عنه ، يعنى ليس لازماً لذاته [٢].

٤) ارتباط الخبر بإرادة الله الكونية ، دل على وجوب نفاذه ، وتعلق هذه الإرادة بجمهرة المستضعفين ، يدل على العموم والشمول لكل مستضعف ، وهذا يفهم من لفظ (الذين) ، وأيضاً تعلقت بعموم المكان ، وفُهِم ذلك من لفظ (الأرض) كناية عن مصر ، ولكن أفادت الكناية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالإرادة تطول كل شخص وكل أرض.

٥) نلاحظ أن لفظى : (نريد) و (نجعلهم) جاءت مضارعة للدلالة على التجدد والحدوث ، وجاء جعل فرعون بلفظ الماضى ، وفى هذا إلماح إلى أن إرادة وجعل كل ظالم فاسد لا يكتب لها البقاء، لكون إرادة الله وجعله تعلوها وتدفعها، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن.

قال تعالى : ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص/٧] وحتى قوله تعالى : ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص/٩] .

هذه الآيات ورد فيها أساليب خبرية تخللتها أساليب إنشائية، والذى يعنينا هنا أن الأساليب الخبرية كلها جاءت من النوع الأول الابتدائى ماعدا قوله تعالى : ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ [القصص/٧]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص/٨]

فجاءت بالتوكيد ، وهاك تحليلَ ذلك .

---

(١) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٥١) .

(٢) ابن عثيمين . شرح العقيدة السفارينية . مكتبة الصفا . القاهرة . ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م - (١٨٧)

بعد أن ذكر المولى ـ عز ذكره ـ وعده بنصرة المستضعفين فى دينهم ، ذكرلنا شيئاً من كيفية هذا الوعد، وكيف أنه يجعل تدبير أعدائه تدميرهم ، ولما كان الكلام موجهًا للموحدين بالدرجة الأولى ، لم نحتج إلى دعامات التأكيد ، لاسيما وأن القصة كانت شبه معروفة فى وسط أهل الكتاب من اليهود، ولكن يشكل علينا التأكيدان فى الآيتين ؟

والجواب

أما قوله تعالى : ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ **[القصص/٧] .**

فهذا من باب تنزيل خالى الذهن منزلة السائل المتردد، فكأن أم موسى لمّا أوحى الله إليها بأن ترضع موسى عليه السلام ، ثم أمرها بإلقائه فى اليم إذا تحقق كائن الخوف وذلك بالتعبير بـ « إذا» دون " إن " ، وهى فى هذا كله مأمورة بالثبات وعدم الخوف أو الحزن، فعندئذٍ كأن أم موسى تساءلت بلسان الحال ، يا تُرَى ، أيرجع إلىّ موسى وتقر به عينى ، أم يقتل وأحتسبه ؟ ، وقد يؤكد هذا وجود علامة الوقف الجائز (صلى)، وهنا يأتى الجواب بالتأكيد لقطع شبهة التردد فى مثل هذا الموضع ، وشبيه بذلك قوله تعالى لنوح عليه السلام : ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ **[هود/٣٧]**

فالله ـ عز وجل ـ لما أمر نوحاً أن يصنع الفلك ، ونهاه ثانياً عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غير سائل فى مقام السائل المتردد ، هل حكم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله : ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [1].

وثَمَّ طمأنينة أخرى لأم موسى فى قوله تعالى : ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ **[القصص/٧] وذلك باستخدام الأوصاف ـ أعنى الأسماء ـ دون الأفعال فى الردّ والجعل، ولعل فى ذلك أوضح دلالة على أنه أمرٌ ثابت لن يتغير ولو عبر بالفعل (نَرُدُّه) لفهمنا منه أن ثَمَّ غياباً قد يلحق بموسى ، ثُمَّ ردٌّ آخر، لكن جاء الوصف لصون فكرها عن هذه الاحتمالية، وجاء التعبير (بجاعلوه) بالوصف دون الفعل لبيان أن ذلك أمر مقضى لا رجعة فيه . ولكن قد يشكل علينا قوله تعالى لمريم – عليها السلام – :** ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ **[مريم/٢١] فمع كونه أيضاً أمراً مقضياً، إلا أنه جاء بالفعل دون الوصف .**

والجواب

إن أمر نبوة موسى عليه السلام ليس فيه اختلاف بين أهل الكتب جميعاً، أما أمر عيسى عليه السلام فاختلف فيه أهل الكتابين اختلافاً عظيماً ، فاليهود قالوا عنه : إنه ابن زنا ـ وحاشاه ـ ، والنصارى قالوا

---

(1) الهاشمى ـ جواهر البلاغة ـ ص (٤٣) .

عنه : إنه ابن الله . وحاشا الله . ، وأهل الإسلام قالوا قولاً وسطاً ، قالوا : عبد الله ورسوله ، فأفاد التعبير بالفعل تكرار آية عيسى عليه السلام بين أهل الملل ، للاعتبار بآية الله فى خلقه ، لكن ضل من ضل ، واهتدى من اهتدى .

قال صاحب فتح المجيد :

قوله : وأن عيسى عبد الله ورسوله أى خلافاً لما يعتقده النصارى : أنه الله، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون/٩١] ... ويشهد المؤمن أيضاً ببطلان قول أعدائه اليهود : أنه ولد بَغِيّ، لعنهم الله تعالى ، فلا يصح إسلام أحدٍ علم ما كانوا يقولونه حتى يبرأ من قول الطائفتين جميعاً فى عيسى عليه السلام ، ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه : أنه عبد الله ورسوله [1].

وأما الآية الثانية :

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ ﴾ **[القصص/٨]**

فكأن مسوّغ التأكيد هنا استعظام الأمر والتعجب منه ، فلسائلٍ أن يسأل كيف يلتقط أحدٌ شقاءه وحَزَنَه طواعية منه ؟! لاسيما وأن ظاهر الفعل أنهم صنعوا ذلك فى أريحية واطمئنان .

ومما يؤكد طرح مثل هذا التساؤل علامة الوقف الجائز (قلى) مع كون الوقف أولى ، وهنا يأتى الرد مؤكداً، لتزول سحابة الشك عن مثل هذا التصرف ، بأن هذا من كيد الله بفرعون وهامان وجنودهما، لأنهم كانوا خاطئين ، وأن الخطأ كان سجية لهم ، ولذلك عبّر عنه بالصفة المشبهة للدلالة على الثبوت واللزوم .

الآيات من قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ [القصص/١٠] وحتى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص/١٤] :

نلاحظ أن الأسلوب الخبرى من حيث التوكيد وعدمه ، جاء من النوع الأول الابتدائى . لأنه كما سبق كانت القصة معلومة . ، لاسيما فى أوساط أهل الكتاب، وأن الخطاب لتسلية مُستضعفى المؤمنين بالدرجة الأولى ، فلم يكن ثَمَّ مجال للشك أو التردد إلا أنه جاء التوكيد فى قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص/١٣]

والجواب عن ذلك

---

(1) الشيخ عبد الرحمن آل شيخ . فتح المجيد . ص (٣٤ . ٣٥) .

إنّ ثمّ ربطاً بين هذه الآية وبين قوله تعالى : ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص/٧] ، وفى هذه الآية تسرية عنها ، وتأميل لها بوعد الله تعالى لها بردّه ، وأما آية " فرددناه " ففيها تحقيق هذا الوعد ، وهنا يُشكل علينا، أين موقع التردد أو التساؤل منها ، وقد رُدَّ إليها ابنها تحقيقاً ؟

والجواب

إن التأكيد جاء لإعلام من خلفها فى الجملة ، وفيهم الشاكّ والمنكر، بل والكافر الجاحد، فجاءت الفاصلة لتؤكد ذلك المعنى ، فقال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص/١٣]، وهذا على تفسير أن أكثرهم، هو أكثر الناس لا قوم فرعون خاصة [1] ، أو أن التوكيد جاء باعتبار حالها الأول : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص /١٠]

الآيات من قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [القصص/١٥]

وحتى قوله تعالى : ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص/١٩]

نلاحظ فى هذه الآيات أن عرضها القصصى خالٍ من عن التوكيدات، لأنه يخاطب خالى الذهن، نقى الطوية ، لذلك لم نجد التأكيدات إلا فى ثلاثة مواضع :

فى قوله تعالى : ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ **[القصص/١٥]**

وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ **[القصص/١٦]**

وفى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ **[القصص/١٨]**

وهاكَ التحليلَ:

قول موسى عليه السلام عن الشيطان ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص/١٥]

قد نقول فيه كما قال ابن عاشور – رحمه الله– فى الآية رقم (٤) إنّ افتتاح الآية بالتوكيد للاهتمام بالخبر [2]، وهو ما يشبه قول الهاشمى – رحمه الله– : قد يؤكَّد الخبر لشرف الحكم

---

(1) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (١٣ /٢٠٨) .

(2) ابن عاشور . التحرير والتنوير . (٢٠ / ٦٦) .

وتقويته ، مع أنه ليس فيه تردُّد ولا إنكار، كقولك فى افتتاح كلام : « إن أفضل ما نطق به اللسان كذا » [1]

لكن كلام ابن عاشور ، والهاشمى ينزّل على الافتتاحية وصدرالكلام ، وهو ما ليس هنا ، لكننا يمكننا أن نقول : إن التوكيد هنا قد يكون لغرض تنبيه الغفلان عن خطر الشيطان وشبيه بهذا قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس:٦٠] ، فصار حال الغفلان من حال اليَقِظ الواعى أشبه بحال المتردد من المتيقن الجازم ، فاحتاج كلاهما إلى التوكيد لحصول التوازن مع حاليهما .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ **[القصص/١٦]**

فالإنسان إذا كان فى حال الضُّعفة بسبب الذنب، قد ينتابه بعض اليأس ، وقد يتردد فى إمكانية غفران ذنبه، وهنا يؤكد لنا موسى عليه السلام بقوله : « إنه هو الغفور الرحيم » ، ليعلمنا أن الله وسعت رحمته كل شىء ، فلا يتعاظمه ذنب مذنب ، ولما كانت مغفرة الله ورحمته واسعة ، أكد موسى عليه السلام الفاصلة « بإن » وبضمير الفصل، وضمير الفصل له ثلاثة فوائد :

الأولى : **التوكيد** ، والثانية : **الحصر ، أى حصر الصفات العلا على رب العزة – سبحانه وتعالى –** ، والثالثة : **الفصل ، أى : التمييز بين كون ما بعده خبراً أو تابعاً** [2].

وأيضا لا يفوتنا التنبيه على مجئ الفاصلة وصفاً للدلالة على الثبوت والدوام

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ **[القصص/١٨]**

قد يقال : إن الفاصلة جاءت بالتوكيد ، لاعتبار حال الرجل الإسرائيلى ، لأنه لمّا تكرر منه النزاع مرتين على التوالى ، صار حاله مدعاة للشك والتردد ، وأضحى حاله يتطابق مع قول القائل :

ولو كان سهماً واحداً لاتقيتُه	✸	**ولكنه سهمٌ وثانٍ وثالثُ**

قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص/٢٠] :

---

(1) **الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٤٤) .**

(2) **ابن عثيمين . شرح أصول فى التفسير . تحقيق : صلاح الدين محمود السعيد . دار الغد الجديد . المنصورة . ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م . ص (١٦٩) .**

قد سبق لنا فى مبحث الدلالات الصرفية ـ الصفة المشبهة ـ أن أشرنا إلى أن هذا الرجل الصالح اعتمد فى استخدامه للفظ (الناصحين) التى هى اسم فاعل ، أو صفة مشبهة ، للدلالة على ديدنه فى النصح لموسى ، بما لا يدع مجالاً للشك فى خبره ونصحه وهنا يلوح لنا السؤال ، ففيمَ التوكيد إذن ؟

والجواب :

قد يقال : إنه أتى بالتوكيد لخطر الخبر الذى جاء به ، لاسيما وقد قدّرنا انتفاء الشك من موسى عليه السلام حيال ذاك التقى النقى ، أو يقال : إنه قد يتردد فى تصديق موسى عليه السلام لخبره ، فدفع هذا التردد بالتوكيد ، وعندئذٍ فلفظ " الناصحين " **أقرب إلى اسم الفاعل من الصفة المشبهة .**

قوله تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص/٢٤] :

قد يشكل علينا فى هذه الآية أن التشكى والدعاء لله رب العالمين .

والله ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر/١٩]

وقوله تعالى ﴿﴿ لِّتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/١٢] ، إذن فالمقام لا يحتمل بأى حال من الأحوال أدنى شك فى إحاطة علم الله – تعالى – بحاله ، فلماذا جاء التوكيد ؟

والجواب :

نقول : إن التوكيد هنا حكاية أو إشارة إلى تكرار الدعاء من موسى عليه السلام ، وإلحاحه فيه ، والله –عز وجل – يحب منا الإلحاح فى الدعاء، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه من لم يسأل الله يغضب عليه » [١].

« والدعاء هو العبادة » كما فى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما [٢].

قال العلاّمة حافظ أحمد حكمى فى منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول :

ثم العبادةُ هى اسمٌ جامعْ ✸ لكلِّ ما يُرضِى الإلهَ السامعْ
وفى الحديثِ مُخُّها الدعاءُ ✸ خوفٌ توكلٌ كذا الرجاءُ[١]

([١]) أخرجه الترمذى فى كتاب (الدعاء) (٤٥٦/٥) حديث (٣٣٧٣) . وابن ماجه فى كتاب الدعاء باب (فضل الدعاء) (١٢٥٨/٢) حديث (٣٨٢٧) .

([٢]) أخرجه الترمذى من كتاب (الدعوات) باب (ما جاء فى فضل الدعاء) (٤٥٥/٥) حديث (٣٣٧٠) .

، فعلم مما سبق: **أن موسى عليه السلام كان دائماً متعلقاً بالله ، يدعوه المرة تلو المرة، فجاء التوكيد ليعبر عن التكرار والإلحاح، وموسى ـ يعلم أن الله أعلم به من نفسه ، ما يؤكد أن المقام ليس مقام شك .**

قوله تعالى : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص/٢٥] :

عند قراءة هذه الآية ، قد يتساءل بعضُنا ، لماذا تؤكد المرأة الصالحة لموسى عليه السلام ، مع أنه لا يعرفها، وبالتالى لا يتردد فى خبرها ولا يشك فيه ، فما الذى حملها على ذلك ؟

الجواب :

إن المرأة الصالحة ما لهجت بالتوكيد ، ثم ثَنَّتْ بلفظ أبيها لظنها أن موسى عليه السلام قد يشك فى خبرها أو يتردد فيه ، وهما اللتان أخبرتاه قبلُ فقالتا : ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص/٢٣] ، ولم تؤكدا ، ولم يطلب منهما إثباتاً على ذلك، فهى تعى هذا جيداً، بيد أنها تعلم أن مثل موسى عليه السلام وغيره قد يشك أو يتردد فى حالها هى ، فموسى رجلٌ قوى نبيل وافر المروءة ، قد وفّى لهما طلبتهما وسقى لهما ورجعتا راشدتين ، فلماذا ترجع إليه ، وهو الرجل الغريب ؟ ، **فكل هذه الصفات مطمع كل امرأة ، والذى قد يؤكد التردد فى حالها، رجوعها إليه دون أختها، فخشيت هذه التقية النقية أن يبدر منه أدنى شك فى حالها، فكان حالها وهى تمشى يغنى عن مقالها، فشهد الله ـ عز وجل ـ لها أنها كانت تمشى على استحياء ، ولكنها لم تكتف بالحال ، بل انبرت تؤكد بالمقال ، بأنْ ليس لها فى موسى عليه السلام مطلب ولا مطمع، إنما الدعوة من أبيها، ثم قالت بعد ذلك** (يدعوك) ، **ولاشك أن ذلك فيه من الترقى والنجابة فى الخطاب ما فيه ، فلم تقل: يطلبك؛ لأن الدعوة أرفع وأقيم ، ثم قالت (ليجزيك) : ومعلوم أن الجزاء إما على خير أو شر، فعلم من السياق أنه جزاء الخير على نعمته التى أسداها إليهما دون انتظار الأجر، ثم قالت: ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ فلم تُضِفْ الأجر إلى موسى عليه السلام ؛ لأنه ليس أجيراً ، بل فعل ذلك نبلاً منه ومروءة ، فأضافت الأجر إلى السقية، وهذا من حصافتها ـ رضى الله عنها ـ ، والمتتبع لهذه الكلمات القصيرة يجدها جامعة مانعة، فلو أنقصَتْ حرفاً لاختل المعنى، ولو زادت لكان من التطويل الذى يأباه حياؤها.**

ولا يفوتنا أن نربط بين هذا الموقف وموقف مريم ابنة عمران ـ عليها السلام ـ .

---

(١) انظر : منظومة سلم الوصول من علم الوصول ـ ص (٢٢) .

وانظر : حافظ أحمد حكمى ـ معارج القبول ـ تحقيق : سيد عمران ، وعلى محمد على ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩م ـ (١/ ٣٤٧) .

عندما رأت جبريل أمامها فى خلوتها فى صورة رجل سوىٍّ ، فقالت بالتوكيد : ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ **[مريم/١٨] فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه** [١].

وفى هذا دلالة أيضاً على أنها شكت فى حاله وترددت ، لماذا يأتى هذا الرجل إلىّ فى خلوتى فاستعاذت بالرحمن، لأن يكفيها، ولتذكّره بصفة الرحمة؛ لعلة يتذكرها فيتوب إن كان قد خبأ لها مكروهاً .

وفى الآيتين دلالة أيضاً على أن كل امرأة تقية عفيفة تسارع فى تبرئة نفسها، أو الدفع عنها، فالمرأة الصالحة بادرت لِتُجَلِّى حال مجيئها ، ومريم لم تنتظر أن يفعل الشاب السوى شيئاً، فاستعاذت للتوّ منه قبل أن ينطق ، فضلاً عن أن يفعل ، قال السعدى . رحمه الله . **: وهذا أبلغ ما يكون من العفة ، والبعد عن الشر وأسبابه** [٢].

قوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص/٢٦] :

قد لا يمكننا الكشف عن علة التوكيد فى هذه الآية، إلا بالرجوع إلى مبحث الفصل والوصل ، والفصل فى الآية لعلة شبه كمال الاتصال، ويؤيد ذلك علامة الوقف الجائز (صلى) **، والجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى ، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتفصل عنها** [٣]**، فكأن البنت لمّا قالت لأبيها استأجره، كأنه سألها فقال : ولماذا؟ فأجابت:**﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾**،وهذا ما يعبر عنه البلاغيون بتنزيل خالى الذهن منزلة السائل المتردد**[٤] **، وقد ورد فى تفسير ابن كثير ما يؤيد هذا الكلام** [٥] **.**

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ [القصص/٢٧]

قد يقال فى توكيد هذه الآية : إنه للاهتمام بالخبر [٦] **، أو لتقويته ، وإن لم يوجد تردد أو إنكار، لاسيما وأن موسى** عليه السلام **لم يظهر منه التردد أو الإنكار حالاً أو مقالاً، وقد يقال هذا أيضاً فى قوله :** ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ **[القصص/٢٩] ، لأن أهله لم يترددوا فى خبره، فضلاً عن إنكاره،**

---

(١) السعدى . تفسير السعدى . ص (٤٩١) .

(٢) نفسه (٤٩١) .

(٣) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (١٥٦) .

(٤) نفسه . ص (٤٣) .

(٥) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٣٩٨/٣) .

(٦) **ابن عاشور . التحرير والتنوير** (٦٦/٢٠) ، – **والهاشمى . جواهر البلاغة ص (٤٤).**

وأيضاً أمر النار كان ظاهراً لكل ذى عينين ، ولم يعزب عن أبصارهم ، فلذلك لم يكن حالهم متلبساً بتردد، وإنما أراد عليه السلام تقوية خبره .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص/٣٠] :

هذه الآية مؤكدة بـ (إن) وبضمير (الفصل) وبإسمية الخبر، وذلك لطمأنة موسى عليه السلام ، وإنه صار فى أمان الله ، حيث مبدأ سعادته، ومنشأ نبوته، ولكن لما كان الأمر غريباً عليه لم يألفه قبل ، بما قد يشبه التردد أكدّ الله ـ عز وجل ـ الخبر ، حتى يطمأن قلبه، وكان من برهان أمانه واطمئنانه أنه لما أُمِر بإلقاء العصا فعل وامتثل ، فلما خاف منها، طمأنه المولى ـ عز وجل ـ ، ولكن بتوكيد أقل مما سبق، فقال ـ عز ذكره ـ : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ [القصص/٣١] ، ولم يقل : إنك لمن الأمنين ، وفى ذلك أبين دلالة على بلاغة القرآن الكريم، وأن قوة إلقاء الخبر تراعى مقتضى الحال، أو حال المتلقى ، والتسلسل فى الخبر فى هذه الآيات جاء من الأشد فالأخف ، وهو مايعرف بالتدلى ، والدليل على ذلك، أن موسى عليه السلام لما أمره الله بأن يذهب إلى فرعون، أبدى عليه السلام تخوفاً من تكذيبه وبطشه، فطمأنه ربه هذه المرة بكلمات خلت من التوكيدات، اعتماداً على إيمانه وتصديقه بعدما رأى الآيات فقال ـ عزّ مِنْ قائل ـ : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص/٣٥] ولكن قد يشكل علينا بعض التوكيدات قبلها فى الآيات (٣٢ : ٣٤)

وهاكَ الإجابةَ

قال تعالى:

﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾

[القصص/٣٢ ـ ٣٤]

أما الآية الأولى : ففيها علامة الوقف الجائز (ج) وهو ما يؤكد فصل الجملتين، لعلة شبه كمال الاتصال ، وهذه العلة تفيد ـ كما سبق ـ أن المُخْبَر كأنه وقف متسائلاً ، لماذا كل هذه الآيات العظيمة، فجاء الجواب من رب العزة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ فأكدت الجملة (بإن)، وبـ(كان) التى تدل على الدوام فى الغالب .

وأما الآية الثانية والثالثة : فقد يكون التوكيد فيهما للاهتمام بالخبر دونما وجود التردد أو الشك، وحاشاه أن يكون هذا حاله مع رب العالمين ، الذى يعلم السر وأخفى .

قولـــه تعـــالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القصص/٣٦.٣٧] :

لما قال هؤلاء القوم البُهْت عن الآيات البينات ﴿ سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ وكذبوا وأنكروا، كان من الطبعى أن يؤكد موسى عليه السلام كلامه فى وزان هذه الإنكار والتكذيب .

قولـه تعـالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص/٣٨] :

حكى لنا المولى ـ عز وجل ـ ما بَدَرَ من فرعون- قبحه الله - فى حواره مع قومه، فصدّر الآية بالأسلوب الخبرى الابتدائى، المختص بالخالى الذهن من شوائب الشك أو التردد، فقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص/٣٨] ، وليس عدوله عن التوكيد لتيقنه بتصديقهم له ، ولكن لأن هذا العلم يشوبه الشك، ويمزجه الارتياب، حتى من فرعون نفسه لنفسه، ولو كان صادقاً فيما ادّعاه لأكدّ كلامه، فالمقام مقام ريبة، لاسيما بعد معاينة الحجج النيرات على يد موسى عليه السلام ، قال أبو حيان : وهو الكاذب فى انتفاء علمه بإله غيره، ألا ترى إلى قوله حالة غرقه : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس/٩٠] [1].

ويؤكد ذلك أن عجز الآية جاء به أسلوب خبرى أيضا مؤكد بـ (إنّ) «واللام» [2] وهو ما يصلح لخطاب المنكر، فأكد فيه لنفسه ولقومه ظنهم وحيرتهم، وهذا دأب الكفار فى كل زمان ومكان، فالمهم أنه أتى فى الصدر بعلم يشوبه الشك ، وأراد موازنته فى العجز ، فأتى بالظن وقد ألصقه بالتوكيد، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم/٩] فكذب اللعين فى صدر كلامه، وصدق فى عَجُزه، وهذا كله فى موقف واحد ، وذاك التناقض بعينه، ورجح القرطبى أن الظن

---

(1) أبو حيان النحوى ـ البحر المحيط ـ (٣٠٦/٨) .

(2) ابن الأثير ـ المثل السائر ـ تحقيق : محيى الدين عبد الحميد ـ دار الكتب العصرية ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ (٥٢/٢) .

هنا بمعنى الشك[1] ووافقه الزمخشرى فى الكشاف[2] وخالفهما ابن عاشور فى التحرير والتنوير[3] والذى أراه أن الحق قد يكون مع القرطبى والزمخشرى ومن وافقهما لدلالة السياق على ذلك .

بعض الفوائد المستنبطة من الآية

أولا : سياق الآية يُشْعِر أن فرعون كان مضطرباً حائراً ، وهو ما يتسق مع الظن الذى هو دون العلم، وحاله مع قومه كمن يُكْلِمُ بيدٍ ويأسو بأخرى، فهو يريد أن يُلَبّس على قومه بأى حال، حتى لا يروا الحجج النيرات التى جاء بها موسى عليه السلام ، قال الرازى: اعلم أن فرعون كانت عادته متى ظهرت حجة موسى أن يتعلق فى دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه [4].

فبالرغم من كون المقام مقام تردد وشك، لم يكن أمام قومه مجال لرأس أن يفكر، ولا للسان أن يعبر على حد تعبير سيد قطب [5]، فالكل كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه .

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص/٣٨]

أراد فرعون أن يغضّ الطرف عن ترددهم، فأخبرهم بخطاب الخالى الذهن، ثم احتاط لنفسه ، ولم يقطع بنفى ما يخالف علمه فقال: «ما علمت» ، فدلت على التكلف الباهت، والورع الكاذب الذى أراد أن يجنى من ورائه نفى المعلوم الثابت لمجرد جهله به، ولو كان إلهاً حقاً لأسند الفعل . مثلا . للمفعول ، ليدل على شيوع العلم بوحدانيته عند كل أحد، ولكن هيهات ، ولو كان حقاً إلهاً لألزمهم بتوحيده، كما قال – عز ذكره – : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد/١٩]

وقوله : ﴿ لِّتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/١٢]

قوله : « لكم » فيه دلالة على عجزه وقصوره، إذ ضيّق نطاق ألوهيته المدعاة فحصرها فى قومه، وهذا لعجزه عمّا عداه ، والعاجز لا يكون إلهًا .

قوله : « من إله » لتأكيد النفى « بمن الزائدة » وتعميم هذا النفى لمجئ النكرة فى سياق النفى .

---

(1) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (١٣ / ٢٣١) .

(2) الزمخشرى . الكشاف . (٤١٤/٣) .

(3) ابن عاشور . التحرير والتنوير . (٢٠ / ١٢٣)

(4) الفخر الرازى . التفسير الكبير . (٢٤ / ٥٩٩) .

(5) سيد قطب . فى ظلال القرآن . (٥ /٢٦٩٤) .

قوله : « غيرى » فيه دلالة على منتهى التجبر والتعالى ؛ لأنه أراد أن يضاهى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ، ولو كان صادقاً فيما ادّعاه ، مستحقاً له، لقال بملىء فِيِّه : لا إله لكم غيرى ، ولكنه لما قال : (ما علمت) قيدها بعلمه دون غيره ، فكأنه أراد أن يقول : (على حد علمى) ، فأحتاط لنفسه أن يفتضح أمره ، ويخذله علمه عن الإحاطة بغيره ، فهل هذا إله ؟!!

ثالثا : قوله تعالى : ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص/٣٨]

فيه دلالة على عجزه ، عُلِمَ ذلك من قوله : « لعلى أطلع » إذ جعل الشك فى اطِّلاعه إلى السماء لا فى وجود الرب، ولفظة « أطّلع » بمعنى الطلوع القوى [١] بما يدل دلالة قوية على معاناته فى بلوغ ما يطلب، وأيضاً طلبه من هامان وزيره أن يبنى له الصرح، فيه دلالة على افتقاره وحاجته إلى غيره، وهذه أخص خصائص المخلوقات، لأن وجودها (حَاجِى) يفتقر إلى الخالق [٢]. والإله الحق لايحتاج علمه إلى صرح أو غيره ،ولذا فطلبه بناء الصرح يدحض دعوى العلم الإلهى ، وينزله إلى مرتبة الحدس والوهم الذى يحتاج إلى التجربة لتبيين صحته أو فساده ، وليس كذلك العلم الإله الحق .

وفيه دلالة على يقينه بوجود الإله الحق ، فقوله " إله موسى " فيه دليل على علمه به ، ولو كان يجهله لم يضفه إلى موسى ، ولقال : لعلى أطلع إلى إله ، فيكون قد أطلق القول ، ولم يثبت لنفسه عهداً سابقاً به .

رابعا : قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (القصص / ٣٨)

فيه دلالة على كذبه وتناقضه ، لأنه كان يعتبر نفسه إله بنى إسرائيل ، ودليل آخر قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الشعراء / ٢٩) ففى موضع واحد أثبت وجود الإله الحق الذى نفاه فى صدر كلامه .

قال الزمخشرى : (ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادّعاه من العلم واليقين ، وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم) [٣]

قال النسفى ـ رحمه الله ـ " وقد تناقض المخذول فإنه قال : ما علمت لكم من إله غيرى ، ثم أظهر حاجته إلى هامان ، وأثبت لموسى إلهاً ، وأخبر أنه غير متيقن بكذبه[٤]

---

(١) ابن عاشور ـ التحرير والتنوير ـ (٢٠ / ١٢٣) .

(٢) ابن عثمين ـ القول المفيد ـ (٥٩/١) .

(٣) الزمشخرى ـ الكشاف ـ (٣ / ٤١٣) .

(٤) النسفى ـ تفسير النسفى(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ـ (٢ /٦٤٤) .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

(القصص / ٤٩ . ٥١)

نلاحظ أول ما نلاحظه فى صدر الآية رقم (٥٠) قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا ﴾ وهذا مما يشكل ، لأن عدم الاستجابة منهم أمرٌ محققٌ ، ومعلومٌ أنّ (إنْ) شرطية تفيد عدم تحقق الكائن بخلاف (إذا)

والجواب

(١) قال السيوطى – رحمه الله – يذكر معانى (إنْ) : (الخامس) : أن تكون للتعليل (كإذ) قال الكوفيون ، وخرّجوا عليه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (المائدة / ٥٧)

وقوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (الفتح / ٢٧)

وقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (آل عمران / ١٢٩) ونحو ذلك مما الفعل فيه محقق الوقوع [١]

(قلت) :

(١) وعدم الاستجابة أمر محقق ، فجاز كون المعنى فإذ لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم .

(٢) أو يقال : إن عدم الاستجابة أمر محقق بالنسبة لله . عز وجل . ، لكنه أخفاه عن عباده حتى لا يتوانوا أو ييأسوا من بلاغهم ونصحهم ، فناسب ذلك حرف الشرط (إنْ) ، وهذا السياق يشبه سياق قوله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

[طه / ٤٤] ، مع تمام علمه بأنه لن يؤمن .

قال أبو حيان . رحمه الله . : ويجوز أن يراد بالشرط التهكم بهم ، وقرأ زيد بن على : (أَتْبَعُهُ) ، برفع العين للاستئناف ، أى : (أنا أتبعه) [٢] .

قوله تعالى : ﴿ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ **(القصص / ٥٠)**

---

(١) السيوطى . الإتقان . (٢٢٧) .

(٢) أبو حيان النحوى . البحر المحيط . (٨ /٣١٢) .

أسلوب خبرى جاء بالفعل المضارع للدلالة على تجدد وحدوث اتباع الهوى كلما صموا آذانهم عن الاستجابة للهدى ، وجاء مؤكداً ، للدلالة على احتمالية تردد الرسول ﷺ فى حالهم ، وهو ما يسمى إجراء خالى الذهن مجرى المتردد ، فجاء الكلام ممن يعلم السر وأخفى ، لإقرار هذه الحقيقة .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ **(القصص / ٥١)**

هذا الأسلوب المؤكد قد يكون تأكيده من باب إجراء خالى الذهن مجرى المتردد ، فكأن المتلقى عندما سمع قوله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ **(القصص/ ٥٠)**

تساءل وما مصير هؤلاء ؟ ويؤكد ذلك علامة الوقف الجائز (ج) .

فأتت الإجابة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **(القصص / ٥٠)**

، ونلاحظ أيضا مجىء الخبر بالمضارعة ، فكأن ثَمّ تناسب بين تجدد نفى الهداية عنهم حال تجدد اتباعهم الهوى ، ولو امتنعوا لثبتت الهداية .

إشكال

قال تعالى : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ **(فصلت / ١٧)**

ومعلوم أن ثمود من أكابر الظالمين ، والله – تعالى– قال فى سورة القصص : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **(القصص / ٥٠)**

والجواب:

إن الهداية هدايتان :

الأولى : هداية (علمية) : **وهى نفس هداية الإرشاد ، أو البيان ، أو الدلالة ، قال الشيخ ابن عثيمين . رحمه الله . : لكن ما هى هداية القسم الأول ؟ ... هداية القسم الأول أن يبين الله لهم الحق ويدلهم عليه ، وهذه الهداية حق على الله أوجبه على نفسه ، فكل الخلق قد هداهم الله بهذا المعنى ، يعنى : بمعنى البيان ، قال تعالى :** ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ **(الليل / ١٢) وقال تعالى :** ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ **(البقرة / ١٨٥) أى : هدىً للناس عموماً** [1]

وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ **(الأعلى / ٣)**

---

(١) ابن عثيمين . شرح رياض الصالحين . حديث (١٧ / ١١١) . (١ / ٤٢٦)

قال الإمام السعدى . رحمه الله . : تقديراً تتبعه جميع المقدرات ، فهدى إلى ذلك جميع المخلوقات ، وهذه هى الهداية العامة التى مضمونها أن هدى كل مخلوق لمصلحته[1].

الثانية : هداية (عملية) ، أو هداية التوفيق

قال الشيخ ابن عثيمين . رحمه الله . : الهداية الثانية ، وهى هداية التوفيق لقبول الحق ، هذه هى التى يختص الله بها من يشاء من عباده ، فالهداية هدايتان ، هداية بيان الحق ، وهذه عامة لكل أحد ، وقد أوجبها الله على نفسه ، وبيّن لعباده الحق من الباطل ، وهداية توفيق لقبول الحق والعمل به تصديقا للخبر وقياما بالطلب ، وهذه خاصة يختص الله بها من يشاء من عباده [2].

(قلت): وقد أثبت الله . جل ذكره . الهداية الأولى ، هداية البيان والإرشاد لرسله جميعا عامة ، ولرسوله محمد ﷺ بخاصة .

فقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام /٩٠] .

وقال عن محمد ﷺ ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى/٥٢]

ولكنه نفى عن خليله محمد ﷺ هداية التوفيق، ومن دونه من باب أولى، فقال –عز ذكره– فى سورة القصص : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص/٥٦] .

قال أبو حيان **فى قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ [القصص٥٦] : أى : لا تقدر على خلق الهداية فيه، ولا تَنَافِى بين هذا وبين قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى/٥٢]، لأن معنى هذا : وإنك لترشد، وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت فى أبى طالب [3].**

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القصص/٥٢.٥٣]

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [القصص/٥٢] ، جاءت بعد قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص/٥١] ، فلما لم يتذكر المشركون، ولم يكونوا عند رجاء الراجى، عقّب المولى –عز وجل– بهذه الجملة المستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنها جواب لسؤال من

---

(1) **السعدى . تفسير السعدى . (٩٥٢) .**

(2) **ابن عثيمين . شرح رياض الصالحين . حديث (١٧ / ١١١) . (١ / ٤٢٦)**

(3) **أبو حيان النحوى . البحر المحيط . (٨ / ٣١٥) .**

يسأل ، هل تذكر غيرهم بالقرآن أو استوى الناس فى التذكر به ؟ فأجيب بأن الذين أوتوا الكتاب من قبل نزول القرآن يؤمنون إيماناً ثابتاً [١].

وقوله : ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص/٥٢] .

للدلالة على تجدد إيمانهم على الدوام، وهذا مصداق لقوله ﷺ « إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ » (٢) .

فكأن ديدن هؤلاء المؤمنين أنهم دائماً يدعون الله تعالى أن يجدد لهم الإيمان ، أو أن إيمانهم يتجدد برسول الإسلام محمد ﷺ كلما سمعوا بالبشارة به .

قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ : ومجىء المسند مضارعاً للدلالة على استمرار إيمانهم وتجدده وحكاية إيمانهم بالمضى فى قوله : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ مع أنهم يقولون ذلك عند أول سماعهم القرآن : إما لأن المُضِىَّ مستعمل فى إنشاء الإيمان مثل استعماله فى صيغ العقود، وإما للإشارة إلى أنهم آمنوا به من قبل نزوله، أى آمنوا بأنه سيجىء رسولٌ بكتاب مصدق لما بين يديه، يعنى إيماناً إجمالياً يعقبه إيمانٌ تفصيلىّ عند سماع آياته، وينظر إلى هذا المعنى قوله : ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ أى : مصدقين بمجئ رسول الإسلام [٣].

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص/٥٣] نلاحظ هنا جملتين مستأنفتين، وكأن قبل كل واحدة منهما سئل سؤالٌ مفاده كشف غمامة الريب من النفوس، فكأن الأول سأل فقال: لماذا آمنتم به وتركتم الكثرة الكاثرة فى ريبهم يترددون؟ فقالوا : ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ وكأن آخر سأل فقال : وما أدراكم أنه الحق من ربكم؟ فأجابوا : إن للحق نوراً لا ينطلى على المسلم الموحد ، فالمؤمن يرى الحق أبلجاً ، ويرى الباطل لَجْلَجاً . وهذا معنى قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص/٥٣]، ويؤيد ذلك ما أورده جملة من المفسرين قال ابن عاشور: وجملة (إنه الحق من ربنا) فى موقع التعليل لجملة " آمنا به " .

وجملة إنا كنا من قبله مسلمين بيانٌ لمعنى، " آمنا به " [٤].

وقال بذلك الزمخشرى [٥]، والرازى[٦] وأبو حيان[١] وأبو السعود[٢] والنسفى[٣]

---

(١) ابن عاشور ـ التحرير والتنوير ـ (٢٠ / ١٤٣) .

(٢) صححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٥٧).

(٣) ابن عاشور ـ التحرير والتنوير ـ ص (٢٠/ ١٤٤) .

(٤) السابق– (٢٠ / ١٤٤) .

(٥) الزمخشرى ـ الكشاف (٣ / ٤٢١) .

(٦) الرازى ـ مفاتيح الغيب (٢٤ /٦٠٧) .

والألوسى [٤].

مسألة

قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ **[القصص/٥٣]**

جاء فى الكشاف: « **مسلمين** » **كائنين على دين الإسلام ، لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحى** [٥].

وقال أبو حيان : « **والإسلام صفة كل موحد مصدق بالوحى** » [٦]

قال الألوسى : **والظاهر عليه أن الإسلام ليس من خصوصيات هذه الأمة من بين الأمم** [٧].

ثم ذكر . رحمه الله . قصة للإمام السيوطى **يخالف فيها هذه الأقوال ويرى أن الإسلام خاص بهذه الأمة دون غيرها فقال : وذهب السيوطى . عليه الرحمة . إلى كونه من الخصوصيات، وألف فى ذلك كراسة، وقال فى ذيلها: لما فرغت من تأليف هذه الكراسة واضطجعت على الفراش للنوم ورد علىّ قوله تعالى :** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ **[القصص/٥٢] ، فكأنما ألقى علىّ جبل، لما أن ظاهرها الدلالة للقول بعدم الخصوصية، وقد فكرت فيها ساعة ولم يتجه لى فيها شىء، فلجأت إلى الله تعالى، ورجوت أن يفتح بالجواب عنها ، فلما استيقظت وقت السحر، إذا بالجواب قد فتح عنها** ثلاثة أجوبة :

الأول : **أن « مسلمين » اسم فاعل مراد به الاستقبال كما هو حقيقته فيه ، دون الحال والماضى، والتمسك بالحقيقة هو الأصل، وتقدير الآية: إنا كنا من قبل مجيئه عازمين على الإسلام به إذا جاء، لما كنا نجده فى كتبنا من بعثه ووصفه .**

يرشح هذا أن السياق يرشد إلى أن قصدهم الإخبار بحقية القرآن، وأنهم كانوا على قصد الإسلام به إذا جاء به النبي ﷺ ، وليس قصدهم الثناء على أنفسهم فى حد ذاتهم بأنهم كانوا بصفة الإسلام أولاً، لنبوّ المقام عنه كما لا يخفى .

---

(١) **أبو حيان . البحر المحيط (٨/ ٣١٤) .**

(٢) **أبو السعود . إرشاد العقل السليم (٧/ ١٨) .**

(٣) **النسفى . مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢ /٦٤٩) .**

(٤) **الألوسى . روح المعانى (١٠ / ٣٠١) .**

(٥) **الزمخشرى . الكشاف . (٣/٤٢١) .**

(٦) **أبو حيان . البحر المحيط . (٨ / ٣١٤)**

(٧) **الألوسى . السابق . (١٠ /٣٠١) .**

الثاني : أن يقدر فى الآية إنا كنا من قبله مسلمين به : فَوَصْفُ الإسلام سببه القرآن لا التوراة والإنجيل، ويرشح ذلك ذكر الصلة فيما قبل، حيث قال سبحانه : ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ، فإنه يدل على أن الصلة مرادة هنا أيضاً ، إلا أنها حذفت كراهة التكرار .

الثالث : أن هذا الوصف منهم بناءً على ما هو مذهب الأشعرى من أن من كتب الله – تعالى– أن يموت مؤمناً فهو يسمى عنده تعالى مؤمناً ولو كان فى حال الكفر، وإنما لم نطلق نحن هذا الوصف عليه لعدم علمنا بما عنده – تعالى– ، فهؤلاء لما ختم الله – تعالى– لهم بالدخول فى الإسلام أخبروا عن أنفسهم أنهم كانوا متصفين به قبل ، لأن العبرة فى هذا الوصف بالخاتمة، ووصفهم بذلك أولى من وصف الكافر الذى يعلم الله تعالى أنه يموت على الإسلام به، لأنهم كانوا على دين حق ، وهذا معنى دقيق استفدناه فى هذه الآية من قواعد علم الكلام. انتهى .

ثم رد الألوسى ـ رحمه الله ـ فقال : « ولا يخفى ضعف هذا الجواب وكذا الجواب الأول ، وأما الجواب الثانى فهو بمعنى ما ذكرناه فى الآية، وقد ذكره البيضاوى وغيره، وجوّز أن يراد بالإسلام الانقياد ، أى : إنا كنا من قبل نزوله منقادين لأحكام الله تعالى [1].

وشيخ الإسلام السيوطى – رحمه الله – حبيبي ، والحق أحب إلينا من شيخ الإسلام السيوطى ، والمرء إذا رأى مثل هذا الكلام من جبل شاهق ، وفارس لا يشق له غبار فى جُلّ ميادين العلم ، كالسيوطى يقول : صدق رسول الله ﷺ ، فلا غرو ، فلقد دفنت العصمة يوم أن دفن محمد ﷺ فلا عصمة إلا للأنبياء ـ عليهم السلام ـ وما عداهم فيؤخذ منه ويرد عليه ، وهو ما أطبق عليه أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، قال أبوحنيفة الإمام :

١) إذا صح الحديث فهو مذهبى .

٢) لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه.

وفى رواية « حرام على من لم يعرف دليلى أن يُفتِى بكلامى »

زاد فى رواية : فإننا بشر ، نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً .

وفى أخرى : « ويحك يا يعقوب (وهو أبو يوسف) لا تكتب كل ما تسمع منى ، فإنى أرى الرأى وأتركه غداً، وأرى الرأى غداً وأتركه بعدُ .

٣) إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولى . أ.هـ وكذلك قال مثل قوله مالك والشافعى وأحمد وغيرهم رحمهم الله جميعاً، وتركت ذكرها خشية الإطالة [2].

---

(١) الألوسى – السابق (١٠ / ٣٠١) .

(٢) الشيخ الألبانى ـ صفة صلاة النبي ﷺ ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط ٢: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ـ (٤٦ : ٥٧) .

قـــــال تعـــــالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف/٣] ، فالمهم أن العصمة لله ، ولرسله – عليهم السلام – ، ومن دونهم يرد عليه بالدليل .

أما قول السيوطى – رحمه الله – : " إن (مسلمين) اسم فاعل مراد به الاستقبال " فهذا مردود عليه – رحمه الله – نقلاً ، ولغةً .

فأما النقل :

١) فقوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف/١٨] ، ومعلوم أن هذه كانت هيئة الكلب، ولم يقل أحد أن الكلب عزم على بسط ذراعيه فى المستقبل ، قال عبد القاهر الجرجانى . رحمه الله . : فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف/١٨] ، فإن أحداً لا يشك فى امتناع الفعل ههنا، وإن قولنا : " كلبهم يبسط ذراعيه " لا يؤدى الغرض، وليس ذلك إلا أن الفعل يقتضى مزاولة وتجدد الصفة فى الوقت، ويقتضى الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً [١] ،وبناءً على قول الجرجانى فقولهم : " إنا كنا من قبله مسلمين " يقتضى ثبوت الصفة من قبل ، وليس كما قال السيوطى .

٢) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل/٢٨] هل يقال فى الآية : إن كلمة ﴿ ظَالِمِىٓ ﴾ وموقعها الإعرابى : حال ، معناها أنهم عزموا أن يظلموا أنفسهم فى المستقبل، أم أن الظلم كان سابقاً ومباشراً للوفاة، ولعل الذى يؤكد ذلك أن تعريف الحال عند النحاة : وصف ، فضله ، يقع فى جواب كيف ، كـ " ضربت اللص مكتوفاً " [٢].

وهذه الإجابة بالكيفية تقتضى المباشرة والموافقة . وعليه ، فإن «ظالمى» هنا تدل على اتفاق الظلم للنفس حال مباشرة الوفاة، أو حال المباشرة للوفاة وقبلها ، وليس مستقبلاً .

وأما اللغة :

١) فاسم الفاعل قد يدل على الأزمنة الثلاثة، على حسب السياق وليس وقفاً على الاستقبال كما زعم السيوطى . رحمه الله . ، وقد ذكر ابن قتيبة . رحمه الله . فى تأويل مشكل القرآن نحواً من ذلك . كما سبق .[٣] فقولنا (هذا قاتلٌ أخاك) لمن انتوى ذلك فى المستقبل وقولنا : « هذا قاتلُ أخيك » لمن فعل القتل وأمضاه .

---

(١) الجرجانى . دلائل الإعجاز . (١٢٢. ١٢٣) .

(٢) ابن هشام . قطر الندى . (٢٣٨) .

(٣) ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن (١ / ١٨) .

ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف/٢٣-٢٤] .

٢) قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص/٥٣] فيه دليل قوى على أن إسلامهم كان قبلُ ، بدلالة (إنّ) المؤكدة ، و(كان) التى تدل على الدوام فى الغالب ، وإلا ضاعت فائدة هذه الأدوات .

٣) قال ابن هشام **فى القسم الثانى من أقسام الإضافة :**

القسم الثانى : أن يكون المضاف صفة والمضاف إليه معمولاً لتلك الصفة، ولهذا أيضاً ثلاث صور: إضافة اسم الفاعل ، كـ (هذا ضاربُ زيدٍ ، الآن أوغداً) **، وإضافة اسم المفعول كـ** (هذا معمور الدار الآن ، أو غداً)[1] **ففهم من كلامه عدم اقتصار الوصف على الاستقبال .**

وقال – رحمه الله – صراحةً عند كلامه عن مخالفة اسم الفاعل للصفة المشبهة :

... الثالث : أن اسم الفاعل يكون للماضى ، والحال والاستقبال ، وهى لا تكون للماضى المنقطع ولا لما لم يقع [2].

وذكر ابن هشام **عند عمل اسم الفاعل إذا كان مجرداً من «أل» أنه لابد من شرطين:**

الأول : أن يكون بمعنى الحال والاستقبال لا بمعنى المضى . أ .هـ [3].

(قلت) : وفى ذلك أبين دلالة على أن اسم الفاعل لا يقتصر على زمن دون آخر .

وقال أيضا فى الفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل والمفعول : وأعنى بذلك أنها . أى : الصفة المشبهة . أنها تفيد أن الحسن فى المثال المذكور ثابت لوجه الرجل ، وليس بحادث متجدد، وهذا بخلاف اسم الفاعل والمفعول، فإنهما يفيدان الحدوث والتجدد أ . هـ [4]

(قلت) وطالما أنهما أفادا التجدد ، فهذا يعنى إفادة تقلب الأحداث والأزمنة ، ولا يفوتنا أن السيوطى نفسه نقض دعواه هذه عند كلامه عن تكرار اسم الفاعل فى سورة " الكافرون" إذ يقول : واسم الفاعل واقع موقع الحال ، وهو صالح للأزمنة الثلاثة . [5]

وأما قول السيوطى : **وأنهم كانوا على قصد الإسلام به إذا جاء به النبي ﷺ ، وليس قصدهم الثناء على أنفسهم ، فى حد ذاتهم بأنهم كانوا بصفة الإسلام أولاً .**

---

(١) **ابن هشام . قطر الندى . (٢٦٠) .**

(٢) **نفسه (ص) (٢٨٩)**

(٣) **نفسه . ص (٢٨٠) .**

(٤) **نفسه . ص (٢٨٧) .**

(٥) السيوطى – معترك الأقران – (٤٦٦/٣)

فالجواب:

أولاً : **إن المقام إخبارى بالدرجة الأولى ، وحتى لو كان ثناءً، فلا تثريب عليهم ؛ لأن المفاخرة والمباهاة بالإيمان والإسلام مما درج عليه الصالحون من الأنبياء ومَنْ بعدهم ، ومعلوم أن افتخارى بالانتساب إلى شىء يلزم منه الثناء على نفس هذا الشىء ، لا على أنفسهم .**

١) قال تعالى : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ **[الحج/٧٨]** .

فالله ـ عز وجل ـ يمن على هذه الأمة بأنهم مسلمون على ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، وهذا لاشك فيه إخبار يشوبه الفخر والتباهى بهذا الفضل .

٢) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ مفاخراً بالإسلام : لقد كنا أذلاء ، فأعزنا الله بالإسلام ولو ابتغينا العزة فى غيره لأذلنا الله [١]، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فدائما كانوا يباهون بالإسلام ويعتزون بالانتساب إليه، لاسيما فى مقامات المفاخرة ، كما حدث بين ربعى بن عامر رضي الله عنه ورستم قائد الفرس .

ومن ذلك ما نُسِب إلى خُبيب بن عدى رضي الله عنه عند مقتله أنه قال :

وقد خَيَّرُونِى الكفرَ والموتَ دُونَه ... وقَدْ هَمَلَتْ عيناىَ مِنْ غيرِ مَجْزَعِ

وما بِى حِذارُ الموتِ إنِّى لَمَيِّتٌ ... ولَكِنْ حِذارى حَجْمُ نارٍ مُلَفَّعِ

فَواللهِ ما أرجو إذا مِتُّ مسلمًا ... على أَىِّ جَنْبٍ كان فى اللهِ مَصْرَعِى[٢]

مَصْرَعِى[٢]

ثانيا : **قولهم ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص/٥٣] قد لا يعنى بالضرورة ثناءً ، فالأعراب قالوا : آمنا ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ [الحجرات/١٤] والمنافقون قالوا : آمنا ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة/١٤] ، والراسخون فى العلم قالوا : آمنا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران:٧] ، والمقام فى الجميع مطلق إخبار ، ولا يلزم منه وجود الثناء ، ولو ثبت ذلك ، لزم عنه لوازم باطلة ، كثناء المنافقين على أنفسهم بالإيمان** ، والصحيح : **أنهم قالوا ذلك تقيةً .**

قول السيوطى : **الثانى : يقدر أن فى الآية إنا كنا من قبله مسلمين به ... إلخ**

فالجواب عليه

---

(١) رواه المنذرى . الترغيب والترهيب . (٤ / ٣٥) ، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب و السلسلة الصحيحة (١ / ١١٧) .

(٢) عبد السلام هارون . تهذيب السيرة . (١٦٠ . ١٦١) .

إن الأصل عدم التقدير، إلا إذا تعذر العمل بالظاهر ، ووجدت القرائن المسوغة للتقدير، لكن السياق هنا متسق ليس فى ظاهره تعذر .

وأما تعليله : ويرشح ذلك ذكر الصلة فيما قبل . حيث قال سيحانه ﴿هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ فإنه يدل على أن الصلة مرادة هنا أيضاً إلا أنها حذفت كراهة التكرار .

فالجواب

أن هذه العلة قد تنقض لو قدرنا أن معنى الآية : « مسلمين بكتابنا » والدليل قوله تعالى : ﴿۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١﴾ [القصص/٥١] ومعلوم أن الوصل هو المتابعة أو الموالاة[١] بين شيئين، والمعنى عام لقريش ولأهل الكتاب ، لذلك فلا مانع أن يكون الوصل : المتابعة بين الكتابين، فيكون المعنى أن إسلامهم لكتابهم علة معرفتهم للقرآن أنه الحق . ويؤيد ذلك ما صح فى سبب نزول الآية عن يحيى بن جعدة ﷺ قال نزلت هذه الآية فى عشرة أنا أحدهم: ﴿۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١﴾ [القصص/٥١] [٢].

قول السيوطى : **الثالث : أن هذا الوصف منهم بناء على ما هو مذهب الأشعرى ... لأن العبرة فى هذا الوصف بالخاتمة ، ووصفهم بذلك أولى من وصف الكافر الذى يعلم الله تعالى أنه يموت على الإسلام .**

فالجواب عليه:

إن بين المثالين الذين ذكرهما السيوطى . رحمه الله . بوناً واسعاً ، فالكافر الذى نطق بكلمة التوحيد قبل موته ، ولم يعلم به أحد إلا الله ، فهذا نجرى عليه الظاهر بأنه يعامل معاملة الكفار، وحكمه فى الآخرة إلى الله يدخله الجنة بفضله ، أما هؤلاء النفر من أهل الكتاب، فلم يخفَ على أحدٍ أنهم كانوا موحدين لله يعملون بشرعهم المنزل عليهم من ربهم مستسلمين له، وهذا معنى الإسلام قال تعالى ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة/٤٨]

أى : فى الأمور العملية ، أما فى الأمور العقدية والتوحيد، فشرعنا واحد، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات/٥٦] ، أى: إلا ليوحدون [٣].

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل/٣٦] ورسل الله جميعاً كان يتعبدون الله – جل وعلا – بكتبهم المنزلة عليهم، وكانوا جميعاً على الإسلام، وكذلك أتباعهم مسلمون بدلالة اللزوم.

---

(١) **القرطبى . التفسير . (٢٣٦/١٣) .**

(٢) **الشيخ مقبل بن هادى الوادعى . الصحيح المسند من أسباب النزول . سورة القصص . ص (٢١٤)**

(٣) **ابن عثيمين . القول المفيد . (١ /١٦) .**

- **قال تعالى عن إبراهيم :** ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ **[النحل/١٢٠].**
- **وقال تعالى :** ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ **[آل عمران/٦٧]**
- **وقوله عن يعقوب :** ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ **[البقرة/١٣٣]**
- **وقوله تعالى عن يوسف :** ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ **[يوسف/١٠١]**

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص/٢٨]

سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ قال لعمه أبى طالب فى سياقة الموت : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله » فأبى، فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ **[القصص/٥٦]** (١)

قال القرطبى : **قال الزجاج : أجمع المسلمون على أنها نزلت فى أبى طالب .**

(قلت) : **والصواب أن يقال : أجمع جُلُّ المفسرين على أنها نزلت فى شأن أبى طالب** (٢).

مما سبق **قد يمكننا أن نستنتج أن: التوكيد فى الآية جاء دفعاً لحالة التردد والحيرة لمن اعتقد هداية النبي ﷺ لأحبابه هداية التوفيق أو الهداية العملية ، فأتت الإجابة بالتأكيد دفعاً لهذا، ولتأكد أن هذا من خصوصيات الله وحده لا شريك له .**

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص/٥٨] **هذه الآية مؤكدة بضمير العماد كما يسميه الكوفيون ، والفصل كما هو عند البصريين** (١).

---

(١) رواه مسلم (١/٢١٦) . وانظر . مقبل بن هادى الوادى . الصحيح المسند . (٢١٤) .

(٢) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٣٩) .

لما كان المقامُ مقامَ اعتبار وتذكرة بحال الكثير ممن طغى وبطر ، أتى التوكيد لإنزال العالم بمآله ونهايته منزلة المنكر، وذاك لغفلته ولهوه، أو لظهور علامات الإنكار عليهم حقيقة.
وذلك كقول حَجَل بين نَضْلة القيسى من أولاد عم شقيق :

جـــاء شـــقيقٌ عارضـــاً رُمحَـــه إن بنـــى عمـــك فـــيهم رمـــاحٌ[٢]

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٧٥ ﴾ [القصص/٧٥]

قد يشكل علينا تيقن هؤلاء الكفار فى عرصات القيامة من كون الحق لله، وألا سلطان ولا وجود لما كانوا يعبدون ، والسؤال : فعلامَ التأكيد ؟

والجواب

- **قد يقال فى هذا المقام : إن التأكيد جاء لشرف الحكم وتقويته [٣].**
- **وقد يقال : إن التأكيد لمن خلفهم من المشركين ، الذين مازالوا فى سكرتهم يعمهون ، فجاء التأكيد ليفيقهم من غفلتهم ، وينفى عنهم خبث التردد أو الإنكار .**

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [القصص/٧٦]

لعل التأكيد فى صدر هذه القصة، لقطع التعجب والاستغراب من وجود ثَمَّة قرابة بين موسى الكليم ، وقارون اللئيم ، ولعل فى هذا التأكيد إلماحات ودلالات منها :
أنه ليست ثمة علاقة بين القرابة والعمل، وهذا واضح أيضاً مع قرابة النبي ﷺ وقريش من جهة، وقرابته من عمه أبى طالب من جهة أخرى .
أن موسى ﷺ لم ينفع قارون ، وكذلك أبو طالب لم ينتفع من رسول الله ﷺ ، وهو ما أكده النبى ﷺ لابنته فاطمة ـ رضى الله عنها ـ : " ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ، سَلِيني ما شئتِ من مالي ، لا أُغْنِي عنكِ من اللهِ شيئًا. " [٤] .
أن التفاضل حقيقةً ليس فى القرابة والنسب ، بل فى لحمة الدين والإيمان ، وغير ذلك فلا فضل له ، وهذا مصداق قوله تعالى : "إنما المؤمنون إخوة " وقوله ﷺ السابق : " لا أُغْنِي عنكِ من

---

(١) ابن هشام ـ قطر الندى (١٥٩).
(٢) الهاشمى ـ جواهر البلاغة ـ ص (٤٤) .
(٣) نفسه ـ ص (٤٤) .
(٤) رواه البخارى (٢٧٥٣) .

اللهِ شيئًا " وأما الحديث المعروف : « الناس سواء كأسنان المشط » فهو موضوع مكذوب. [1] **، وأما حديث : " يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ ألا لا فضلَ لِعَربيٍّ على أعجميٍّ ولا لعَجميٍّ على عربِيٍّ ولا لأحمرَ على أسودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوى . فصحيح ، صححه الوادعى – الصحيح المسند – (١٥٣٦) .**

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص/٧٦]

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص/٧٧]

معلوم لكل أحدٍ أن الله –عز وجل– لا يحب المفسدين ، ولا يحب الفرحين فرحاً فيه بطرٌ ، وصُدَّ عن سبيله، قال تعالى : ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم/٤]

وقوله : ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ **[يونس٥٨] ، وقد يقال : إن التأكيد جاء لشرف الحكم وتقويته . لأن أحداً لا يتردد ولا ينكر ذلك .**

قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗا﴾ [القصص/٧٨]

فى تأكيد قارون بـ «إنما» والتى تفيد القصر أيضاً ، صرف لأذهان الناس عن اعتبار أى سبب حقيقى فى غناه غير علمه ، وعضد ذلك ببناء الفعل للمفعول ، وفى ذلك سوء أدب مع رب البرية، وهذا خلاف ماقاله سليمان عليه السلام تحدثاً بالنعمة ، وشكراً لله ، وتبجحاً بالإحسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾، ولم يعزُ ذلك لنفسه ، إشارةً منه إلى افتقاره إلى الله . عز وجل . ، وأيضاً بخلاف قوله – تعالى– حكاية عن نوح عليه السلام :

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ **[هود/٢٨] ، فنوح عليه السلام يثبت الفعل لفاعله ، وهو الله . عز وجل . ، ويقول « رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ » وقارون . قبحه الله . يحذف الفاعل لِيُلَبِّسَ على الناس ، وينسب عندية العلم له ، ويقصره عليه « على علم عندى » ، وهو فى هذا يعتبر الناس فى شك ، وأن الأمر قد**

([1]) **انظر:ابن الجوزى . الموضوعات (٣ /٢٧٣)،و ابن القيسراني - ذخيرة الحفاظ - (5/2538): وقال : سليمان بن عمرو كذاب . وابن عدي- الكامل في الضعفاء – رقم (4/225) : خلاصة حكم المحدث :موضوع – وضعفه الألباني -السلسلة الضعيفة - رقم (3158) .**

يحتمل الأمرين، فيأتى بالخبر مؤكداً ليثبت لنفسه الفضل، وينفيه عن ربه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وهنا يأتى الجواب من رب العالمين على سبيل التقريع والتوبيخ مؤكداً بـ

« أَنَّ »

و« قـــد » ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ **[القصص / ٧٨] ، ليفيقه من غفوته، ويبطل دعوى علمه ، قال الرازى ـ رحمه الله ـ : وقد ذكر بهذه الجملة وجهين : الثانى ـ أى : الوجه الثانى ـ يجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك كأنه لمّا قال أوتيته على علم عندى فتصلّف بالعلم وتعظم به ، قيل : أعنده مثل ذلك العلم الذى ادّعاه ، ورأى نفسه به مستوجبَةً لكل نعمة ، ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين [١] ، فلما أنكر فضل الله تعالى ناسب ذلك أن يخاطب بالتوكيد فى سياق التقريع .**

قولــه تعــالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص/٧٩]

هنا قد نلاحظ أن مريدى الحياة الدنيا قد بهرهم قارون وزينته ، وهو ما لم ينسحب على طلاب الآخرة، لذلك لّما تمنوا مثل ما أوتى قارون، كأن إنكارًا وقع من الذين أوتوا العلم ، فصاروا منهم فى موقع السائل المستنكر، لماذا هذا التمنى، فأجابوهم: إنه لذو حظ عظيم، وفى ذلك دلالة على فضل العلم، وأنه يحمى أهله من الشبهات ، وفيه دلالة على معرة الجهل وتنكيله بأهله ، فهم دائماً لا يعرفون إلا الظاهر، ولا يقدرون الأمور بقدرها، وصدق القائل: تأتى الفتنة يعلمها كل عالم ، ثم تولى فيعلمها كل جاهل .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص/٨٥] :

قد يقال : إن التوكيد بـ (إنَّ) و (اللام)، لمعالجة مقام الإنكار من مشركى مكة ، وقد يؤيد ذلك أن هذه الآية قيل أنها نزلت (بالجحفة) فى طريق الهجرة[٢] ، وهذا يؤكد أنها نزلت فى وقت بلغ الأذى مبلغه ، والاستضعاف أقصاه فكان الإنكار لها أقرب .

وفيها دلالة على استحباب التبشير وقت التلبس بالبلاء، ويؤيد هذا أيضا من السنة أن النبي ﷺ لما رجع إليه سعد بن معاذ ﷺ ومن معه من بنى قريظة، وكان ﷺ قد أرسلهم ليستطلعوا أحقٌّ ما بلغه عن هؤلاء القوم ، أم لا ؟ فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ ، فلما رجعوا أخبروه ولحنوا له لحناً يعرفه ، فقالوا : عَضَلٌ والقَّارة ، أى : غدروا كغدر عَضَل

---

(١) الرازى ـ مفاتيح الغيب ـ (٢٥ / ١٦) .

(٢) النيسابورى ـ أسباب النزول ـ ص (١٥١)

والقَّارة بأصحاب الرجيع : خبيب وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر . أبشروا يا معشر المسلمين » [1].

obeikandl.com

(1) عبد السلام هارون . تهذيب السيرة ص (١٧٤)

المبحث الثالث: دلالات الأساليب الإنشائية

أولاً : الأمر	ثانياً : النهى	ثالثاً : الاستفهام	رابعاً : التمنى	خامساً : النداء	سادساً: الخبر بمعنى الإنشاء

الإنشاء لغةً : **الإيجاد .**

واصطلاحاً : **كلام لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته نحو : اغفر . ارحم ، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب .**

وإن شئت فقل فى تعريف الإنشاء : « هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به » فطلب الفعل فى « افعل » ، وطلب الكف فى « لا تفعل » ، وطلب المحبوب فى « التمنى » وطلب الفهم فى « الاستفهام » ، وطلب الإقبال فى « النداء » كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغة المتلفظ بها [١].

وينقسم إلى قسمين : **١) طلبى .** **٢) غير طلبى.**

فالطلبى : **وهو خمسة أقسام : الأمر والنهى والتمنى والاستفهام والنداء ، ويعرف بأنه ما يستدعى مطلوباً غير حاصل فى اعتقاد المتكلم وقت الطلب .**

وغير الطلبى : **وهو مالا يستدعى مطلوباً حاصلاً، وأنواعه كثيرة، منها صيغ المدح والذم، .... والعقود .... والتعجب .... والرجاء ..... والذى يهتم البليغ بالبحث عنه هو القسم الأول، لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس فى القسم الثانى** [٢].

من الأساليب الإنشائية

أولا : الأمر

---

(١) انظر : الهاشمى . جواهر البلاغة ص (٥٤) – وانظر : د. مختار عطية – التقديم والتأخير – (٧٤).

(٢) القزوينى . الإيضاح فى علوم البلاغة . تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجى . دار الجيل . بيروت . ط٣: . د . ت . ص (٣ / ٥١) – وانظر : المراغى – علوم البلاغة – (١ /٦١) .

openkanal.com

الأمر لغةً : (أَمَرَ) **فلاناً . أَمْراً : كَلَّفَه شيئاً**[1]

والأمر عند الأصوليين هو :

١) قال الشنقيطى – **رحمه الله – فى المذكرة :**

الأمر : استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء .

وقيل : هو القول المقتضى طاعة المأمور بفعل المأمور به ... إلخ . وهو فاسد .. إلخ ، وحدُّ فساد الحد الأخير : أن فيه لفظة «المأمور» مرتين وهى مشتقة من الأمر فيحصل الدور فيمتنع الفهم، ومفهوم قوله : «على وجه الاستعلاء» أنه إن كان على عكس ذلك فهو دعاء وإن كان على التساوى فهو التماس كما قال الأخضرى فى سلمه :

أمـرٌ مـع اسـتعلاء وعكسـه دُعَـا وفـى التسـاوى فالتمـاس وقعـا [2]

٢) قال الشرف العمريطى **فى نظم الورقات :**

وحـدُّه اسـتدعاء فعـلٍ واجـبٍ بـالقول ممـن كـان دون الطالـب[3]

٣) قال الدكتور عبد الكريم زيدان: **الأمر من أقسام الخاص ، وهو اللفظ الموضوع لطلب الفعل على سبيل الاستعلاء** [4].

٤) قال ابن عثيمين **فى شرح الأصول من علم الأصول :**

الأمر: قول يتضمن طلب الفعل على وجه الاستعلاء ، مثل : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾. **ثم أخذ يبيّن احترازات التعريف ، فقال : فخرج بقولنا : «قول» الإشارة، فلا تسمى أمراً ، وإن أفادات معناه** ، وخرج بقولنا : «**طلب الفعل» النهى؛ لأنه طلب ترك، والمراد بالفعل الإيجاد، فيشمل القول المأمور به** ، وخرج بقولنا : « **على وجه الاستعلاء» الالتماس والدعاء وغيرهما مما يستفاد من صيغة الأمر بالقرائن** [5].

٥) قال الشيخ عبد الله يوسف الجُدَيْع **: الأمر :**

---

(١) **المعجم الوجيز . مادة (أمر) ص (٢٤) .**

(٢) **الشنقيطى . مذكرة فى أصول الفقه . مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة . ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م . ص (١٧٩ . ١٨٠) .**

(٣) **ابن عثيمين . شرح نظم الورقات . ص (٦١) .**

(٤) **د. عبد الكريم زيدان . الوجيز فى أصول الفقه . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان . ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م . ١٩٩٦م . ص (٢٩٢) .**

(٥) **ابن عثيمين . شرح الأصول من علم الأصول – خرَّج أحاديثه : نشأت المصرى . دار البصيرة . الإسكندرية . د . ت . ص (١٣٦) .**

obeikandi.com

تعريفه : هو اللفظ المستعمل لطلب الفعل على وجه الاستعلاء .

فهو من قسم (الخاص) من جهة أنه أريد به شيء خاص هو (طلب الفعل) [1].

الأمر اصطلاحاً (عند البلاغيين) :

الأمر : هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وله أربع صيغ :

١) فعل الأمر نحو : ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ **[مريم:١٢] .**

٢) والمضارع المقترن باللام، نحو : ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ **[الطلاق:٨]**

٣) واسم فعل الأمر، نحو « حيّ على الفلاح » .

٤) والمصدر النائب عن الفعل ، نحو « سعياً فى الخير » .

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلى إلى معانٍ أُخَر، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال [2] .

وسلك الهاشمى المسلك الأول نفسه [3]**، وكذا الشيخ المراغى فى علوم البلاغة** [4].

(قلت) : ولعل الذى جعلنا نبحث (الأمر) بين اللغة ، وأصول الفقه ، والبلاغة هو التداخل الشديد لهذا المبحث بين هذه الفنون الثلاثة، ولعلنا لا نكون مبالغين: إذا قلنا : إن ثَمَّ اتفاقاً كبيراً بينهم على هذا المبحث .

قال الدكتور مختار عطية : ويعد هذا المعنى الأصلى للأمر هو ما دارت حوله رحى الدراسات البلاغية ، قديماً وحديثاً غير غافلة عن خروجه إلى معانٍ أخرى غير أصيلة [5].

صيغ الأمر

اتفق أكثر البلاغيين والأصوليين على أن صيغ الأمر أربع صيغ :

١) فعل الأمر .

٢) المضارع المسبوق بلام الأمر .

٣) اسم فعل الأمر .

٤) المصدر النائب عن فعل .

---

(١) الجديع . تيسير علم أصول الفقه . مؤسسة الريان . بيروت . لبنان . ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧م . ص (٢٤٠) .

(٢) ابن عثيمين . شرح دروس البلاغة . ص (٣٥) .

(٣) الهاشمى . جواهر البلاغة ص (٥٦) .

(٤) المراغى . علوم البلاغة . (٧٥/١) .

(٥) د. مختار عطية . علم المعانى ودلالات الأمر فى القرآن . ص (٢١٧) .

obeikandl.com

وزاد بعضهم صيغاً أخرى ذكرها الدكتور الأشقر فى كتابه الواضح فى أصول الفقه ، **فذكر بعد هذه الأربعة .**

٥) لفظ (أَمَرَ) وما اشتق منه ، نحو : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ **[النساء/٥٨] ، ونحو حديث : « آمركم بالصدقة » .**

٦) وصيغة الإغراء ، نحو : « الخيلَ الخيلَ » ، أى : اركبوها .

٧) وقد يأتى الأمر على صورة الخبر، وذلك مجاز ، كقول الأمير على قوم : « فلان يذهب إلى كذا ، وفلان يصنع كذا»، ومنه فى القرآن ، ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ **[البقرة/٢٢٨] وقوله :** ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ﴾ **[البقرة/٢٣٣]** [(١)].

دلالات الأمر فى السورة

قوله تعالى : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ ﴾ [القصص/٧]

جاء الأمر فى الآية فى قوله : ﴿أَرۡضِعِيهِۖ﴾، ﴿فَأَلۡقِيهِ﴾ **، والأمر من الله ـ عز وجل ـ فرض وواجب، بيد أن المقام قد يسوغ أن يكون دون ذلك، لأن الوحى هنا إلهام، كأن يكون المولى ـ عز وجل ـ ألقى فى رُوعها بهذا الأمر، أو أراها رؤية، أو يرسل إليها الملك فى صورة بشرية ، كأن يرسل إليها جبريل فى صورة رجل سَوِىٍّ فيكلمها كما كلّم مريم ، أو كما كلّمت الملائكة بعض الصحابة، وبعض بنى إسرائيل، كالأقرع والأبرص والأعمى دونما نبوة، فالأمر قد يكون على أصله** [(٢)]**، والذى يهمنا فى هذا المبحث أن لهذين الأمرين دلالات إيحائية، فقوله :** ﴿ أَرۡضِعِيهِۖ ﴾ **فيه دلالة على طمأنة أم موسى ، والرحمة بها ؛ لأن قرار عين المرأة أن تلصق ابنها بصدرها وترضعه، مصداقاً لقوله ﷺ عن المرأة التى وجدت ابنها فى السبى ، فأخذته وألصقته بصدرها وأرضعته فقال عندئذ : « أترَونَ هذه طارحَةً ولدَها في النارِ" . قُلنا : لا، وهي تقدِرُ على أن لا تطرَحَه، فقال : " للّهُ أرحَمُ بعبادِه من هذه بولَدِها » (٣)**

وقوله : ﴿فَأَلۡقِيهِ﴾ **فيه دلالة على الابتلاء والتمحيص لأم موسى .**

---

(١) د. الأشقر ـ الواضح فى أصول الفقه ـ دار السلام ـ القاهرة ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م ـ ص (٢١٨) .

(٢) القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ـ (٢٠٢/١٣) بتصرف .

(٣) متفق عليه – اللؤلؤ والمرجان(١٧٥١) – أخرجه البخارى – كتاب الأدب – باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته – ومسلم فى كتاب التوبة .

وذلك لأنها ابتليت بالاختبار بالطاعة فيما تكره، فالمؤمن معقود قلبه أن الحكمة ملازمة لأفعال الله وأقداره، فإذا أمر الله – عز وجل – بشىء فالحكمة والخير فى امتثاله ، ودون ذلك السفه والشر والخسران، وهذا ما ظهر بعد ذلك من الحكمة فى موافقة رسول الله ﷺ على شروط الكفار المجحفة يوم الحديبية، وأن الله – عز وجل – أجرى المقادير على عكس ما أرادوا، وجاءوا يطلبون من النبي ﷺ العدول عن هذا الشرط الجائر ، وهو ما فهمه صديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه ، لما أمضى وأنفذ جيش أسامة إلى الشام بعد موت النبي ﷺ ، وذلك حين بزوغ فتنة الردة، فعلم أن الخير فى امتثال أمر رسول الله ﷺ الذى هو امتثال ضمنى لأمر الله – جل وعلا – ، وإن خالفت الحكمة ما ظهر لهم ابتداءً .

وهذا أيضاً يظهر يوم القيامة عندما يأمر المولى ـ عز وجل ـ أناساً لم تبلغهم دعوة النبى ﷺ ، لعارض ما فى الدنيا، فيأمرهم الله تعالى بدخول النار ، فمن وثق فى حكمة الله ورحمته دخلها فوجدها برداً وسلاماً، ومن عدل عن الامتثال بعدما عاين الغيب ، وانتفى عنه العذر وأبى فلم يدخل ، كانت قراره وبئس المصير ، " عن أبي هريرةَ قالَ : إذا كانَ يومُ القيامةِ جَمعَ اللَّهُ أَهلَ الفَترةِ والمعتوهَ ، والأصمَّ ، والأبكمَ والشِّيوخَ الَّذينَ لم يدرِكوا الإسلامَ ، ثمَّ أرسلَ إليهِم رسولًا أنِ ادخُلوا النَّارَ ، فيقولونَ : كيفَ ولَم يأتِنا رُسُلٌ ؟ قالَ : وأَيْمُ اللَّهِ لو دخلوها لَكانت عليهم بردًا وسلامًا ، ثُمَّ يرسِلُ إليهِم رسولًا فيطيعُه مَن كانَ يريدُ أن يطيعَهُ ثُمَّ قالَ أبو هُريرةَ : اقرَأوا إن شِئتُم : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (١).

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص/١١]

قد يمكننا القول بأن دلالة الأمر هنا التحضيض على استدعاء أواستحفاظ موسى عليه السلام ، ففهم من (دلالة الأمر) حض أم موسى لابنتها ، وفهم من مادة الفعل ﴿قُصِّيهِ ﴾ تتبع الأثر الذى من لوازمه اليقظة والترقب لمكان أخيها .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص/١٦]

الأمر هنا بمعنى الدعاء، ومقتضى ذلك ودلالاته الستر والمجاوزة عن الذنب والصون من العذاب، وقد يفهم ذلك من دلالة « مادة الفعل » التى أخذت من (المِغْفَر) الذى يقى الرأس، ولذلك فالمغفرة هى الستر ، والمجاوزة عن الذنب[٢] .

---

(١) انظر : البيهقى ـ دلائل النبوة ـ (٢ / ٢٤١) ـ ابن تيمية ـ درء التعارض ـ (٨ / ٣٩٩) ـ وصححه ابن حبان ـ وصححه ابن باز فى مجموع فتاويه ـ (٣ / ١٦٣) .

(٢) انظر : ابن عثيمين ـ القول المفيد ـ (٦٢/١) .

قال الراغب الأصفهانى **فى المفردات : (غَفَرَ) (الغَفْرُ) : إلباس ما يصونه عن الدَّنَس، ومنه قيل : اغفِر ثوبَك فى الوعاء، واصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ ، والغُفران والمغفرة من الله : هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب .... وقيل : اغفروا هذا الأمر بِغَفْرتِه، أى : استروه بما يجب أن يستر به، والمِغْفَر : بيضة الحديد** [1].

قوله تعالى : ﴿ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص/٢٠]

هذا الالتماس ضُمِّنَ فى دلالته التحذير والنصح، فأما التحذير فَعُلِمَ من قوله : ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ ﴾ [القصص/٢٠]

وأما (النصح) فَعُلِمَ من تطبيقه للمبدأ العام بين المؤمنين : «الدين النصيحة »[2] **وهو ما دلت عليه الفاصلة : ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص/٢٠] ، وكلا الأمرين فيه رعاية لمقتضى الحال .**

قوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ ﴾ [القصص/٢٦]

قد يكون الأمر هنا للإرشاد ، والدليل أنها بعد إرشادها لأبيها عَلَّلَتْ فقالت : ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص/٢٦] ومقام الترشيد قد لا يخلو من السؤال عن العلة والحكمة.

قوله تعالى : ﴿ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾ [القصص/٢٩]

قد يقال فيها أيضاً ما قيل فى سابقتها، أن الأمر للإرشاد، وذلك أنه فسّر لأهله، أنه رأى ناراً ... إلخ

قوله تعالى : ﴿ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ﴾ [القصص/٣١]

وقوله : ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ ﴾ [القصص/٣٢]

أما الأمر الأول « ألقِ » فقد يمكننا القول : إنه للتحقيق .

أى: ليتحقق موسى من صدق آيات الله ويثق بوعده، قال السعدى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ ﴾ [طه/١٩] إلى قوله : ﴿ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣ ﴾ [طه/٢٣]

---

(1) **الراغب الأصفهانى . المفردات . مادة (غفر) . ص (٣٦٤) .**

(2) **أخرجه مسلم – كتاب الإيمان – (٢٣) باب : بيان أن الدين النصيحة – حديث (٥٥) .**

لأجل أن نريك من آياتنا الكبرى، الدالة على صحة رسالتك وحقيقة ما جئت به، فيطمئن قلبك ويزداد علمك، وتثق بوعد الله لك [1].

وكذلك يمكن القول فى الأمرين « اسلك » و « اضمم » : **إن الغرض من كليهما التحقيق، وتهيئة نفسه** عليه السلام **للقاء فرعون .**

وقوله : « أقبل » **فالأمر فيها للتطمين ، وهو من أبلغ ما يكون ، فالأمر بـ** «الإقبال» **يُوجب الامتثال، ولكن لما كان المقام لا يزال يشوبه الخوف ، قال تعالى :** ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ **، ولكن يبقى احتمال أنه يقبل غير خائف ، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال :** ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ **فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه** [2].

قوله تعالى : ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ [القصص/٣٤]

فالأمر هنا غرضه الدعاء، ودلالة الدعاء هنا الاستشفاع، وكانت من أفضل الشفاعات أن صار هارون عليه السلام **نبياً ورسولاً .**

قوله تعالى : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا ﴾ [القصص/٣٨]

قد نقول : إن الأمرين هنا غرضهما التعالى والتجبر؛ لأنه ما أراد ذلك . زعم . إلا لإظهار علوه ، وتجبره .

قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص/٤٠]

قد يكون الغرض من الأمر هنا الاعتبار والعظة .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القصص/٤٩]

الأمر هنا للتعجيز .

قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص/٥٠]

الأمر هنا قد يكون للإرشاد والتوجيه لنبيه ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ ﴾ [القصص/٦٤]

---

(1) **السعدى . تيسير الكريم الرحمن . ص (٥٠٦) .**

(2) **نفسه . ص (٦٣٠) .**

وقولـــه تعـــالى : ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص/٧٥]

قد يكون الغرض الإيحائى للأمرين « ادعوا » « وهاتوا » التعجيز أو التبكيت أو التحسير .

قولـه تعـالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص/٧٧]

الأمر هنا للالتماس ، وقد يكون الغرض منه الإرشاد والنصح .

قوله تعالى : ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [القصص/٨٥]

قد يكون الغرض الدلالى من الأمر فى « قل » التقوية ، أى تقوية النبي ﷺ بالحجة؛ وذلك عند مجابهة كفار مكة له ، وقد نقول : إنه للتفويض أى تفويض العلم المطلق لله . جل ذكره . فى مقام المفاصلة بين الحق والباطل ، فهو الذى يعلم ويفصل بين المهتدى به ، ومن هو فى ضلال مبين.

قوله تعالى : ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص/٨٧]

الأمر هنا للتكليف بالدعوة إلى الله . جل وعلا . بإخلاص وتوحيد القصد له وحده لا شريك له ، وهو أمر استصحابى يعينه على الدعوة ولوازمها .

ثانياً النهى :

obeikandl.com

النهى : هو طلب الكف عن الشىء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهى المضارع المقرون بـ «لا» الناهية ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف/٥٦]

وقوله : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات/١٢] [١]

والحق أن هذا المبحث قسيم الأمر، فهو فى الحقيقة الأمر بالكف، وهو أيضاً من المباحث المشتركة بين البلاغة ، واللغة ، وأصول الفقه، بيد أننا لا نحتاج إلى إعادة ما ذكرناه فى الأمر ، لتقارب منزع المبحثين .

قال الدكتور مختار عطية : **إذا كان الأمر طلب فعل الشىء على وجه الاستعلاء ، فإن النهى يشركه هذا الحد، إلا أنهما مختلفان فى نوع الطلب** [٢].

---

(١) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٦٠) .

(٢) د. مختار عطية . علم المعانى . ص (٤٣) .

obeikandl.com

بعض دلالات النهى فى السورة

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ﴾ [القصص/٧]

فالنهى هنا للتطمين . كما سبق . ، لأنها لما أُمِرَتْ بأن تفعل ما ظاهره خلاف العادة، وخلاف عاطفتها وأمومتها ، ناسب ذلك طمأنتها فجاء النهيان ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ ، ثم الفاصلة التى بشرتها بردِّه إليها وإرساله ، لتتيقن عندئذٍ أن ما يجرى بمقدور الله . جل وعلا . ، وتدبيره، فيطمئن قلبها وتكون من المؤمنين .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **[القصص/٩]**

قد يقال : إن فائدة النهى هنا «الشفقة والرحمة» ، والذى شفع لامرأة فرعون بعدما نهت عن قتله، أنها عللت، باحتمالية الانتفاع به أو اتخاذه ولداً، ولو لم تعلل ما أفلحت، لأنه لم يكن أحد يجرؤ أن يأمر وينهى أمام فرعون، ولذلك كان من حصافتها أنها صدرت كلامها لفرعون بأن يكون قرة عين لها وله ، فقال : بل لكِ ، فكان بلاؤه موكلاً بمنطقه ، ثم نهت وعللت، وهذا منتهى العقل فلله درها . عليها السلام . .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص/٢٥]

وقوله تعالى : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ [القصص/٣١]

كلا النهيين للتطمين ، وذلك بدلالة السياق الذى يشوبه الخوف، ثم يأتى النهى عن الخوف ثم الفاصلة تأتى للتعليل ، الذى يزيد النفس طمأنةً .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص/٧٦]

وقوله : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/٧٧]

قد يقال فى دلالة هذا النهى : إنه للإرشاد والنصح، ولما كان الإرشاد يقتضى التعليل جاءت الفاصلة تؤدى هذا الغرض ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ وكذلك النهيان ﴿وَلَا تَنسَ ﴾ ﴿ وَلَا تَبْغِ ﴾ كلاهما للنصح والإرشاد .

وكلاهما جاء بعده تعليله الذى يناسبه، وذلك لربط الأسباب بمسبباتها، وهو عين حكمة الله – جل وعلا – .

قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [القصص/٨٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [القصص/٨٧]

قد يقال : إن الغرض من النهى فى هاتين الآيتين التحذير ، أعنى التحذير من الركون إلى المشركين ، فضلاً عن الوقوع فى الشرك ، وذلك لعظم الشرك بالله، قال تعالى : ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان/١٣]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء/٤٨]

، وقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء/٢٢]

، وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء/٣٩]

وقوله تعالى فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » [(١)]

وقوله ﷺ : أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، فَسُئِل عنه فقال « الرياء» [(٢)] **، قلت : فما بالنا بالشرك الأكبر .**

(قلت) : وفى هذه المناهى الثلاثة دلالة على أن الله – عز وجل – لا يحابى ولا يجامل أحداً، حتى لو كان خليله محمداً – ﷺ – ، وقد يُشكل علينا كيف يحذر النبي ﷺ من الشرك ، أو من صدِّ الكفار له عن الدعوة إلى الله ؟

والجواب

(١) أن هذا لبيان أن الله . عز وجل . لا يجامل أحداً ، ولو كان رسوله محمداً– ﷺ – ، فالله – عز وجل – قال لرسوله ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الأحزاب /٢.١]

، وقال أيضا : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر/٦٥]

، وقال أيضا : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء/٧٤.٧٥]

(٢) أن فى ذلك تحذيراً لمن خلفه من باب أَوْلى ؛ لأن التحذير إذا كان للفاضل ، فللمفضول من باب أولى .

---

(١) رواه الترمذى (٣٥٤٠) . وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨) .

(٢) صححه الألبانى – صحيح الجامع – (١٥٥٥) – والسلسلة الصحيحة (٩٥١) ، وله شواهد كثيرة .

ثالثا : الاستفهام

الاستفهام : هو طلب العلم بشىء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته [١].
ولكن ثَمَّ استدرك على هذا التعريف، فقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فى شرح دروس البلاغة : الاستفهام أصله : طلب الفهم ، أو طلب الإفهام ، أى : الإعلام بالشىء ، فإذا قلت : « هل قام زيد؟ » فالمعنى : أعلمنى هل قام زيد ، فهو طلب الإعلام بالشىء .
وهذا التفسير أدق من تفسير الهاشمى : « طلب العلم » لأن من يطالع الكتب ليتعلم يقال : إنه طالب علم ، ولا يقال مُسْتَفْهِم ، فالأحسن أن يقال : الاستفهام ، طلب الإعلام بالشىء [٢].
ولعل ما يؤيد ذلك ما ذكره السيوطى ـ رحمه الله ـ فى كتابه الماتع « الإتقان» فقال : من أقسام الإنشاء الاستفهام ، وهو طلب الفهم ، وهو بمعنى الاستخبار ، وقيل : الاستخبار ما سبق أولاً ، ولم يُفهَمْ حقّ الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً [٣].

بعض دلالات الاستفهام فى السورة

قوله تعالى : ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص/١٢]
قد يقال : إن الغرض البلاغى من الاستفهام فى صدر الآية الترغيب ، سيما وقد حصل لهم العناء فى التماس المراضع له ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الصف/١٠] . [٤]

ومن حصافتها :

(١) أنها اختارت الاستفهام بـ (هل) دون (الهمزة) ، وكلاهما يشترك فى طلب التصديق، إلا أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه ، بخلاف هل ، فإنها لما لا يترجح عنده نفى ولا إثبات [٥].
وهذا من حصافتها وفقهها، فاختارت (هل) للسؤال لعدم ترجح إثبات أو نفى لديها .
(٢) لما كان المقام مقام شك فى إذنهم لها أو عدمه ، طفقت تستخدم أساليب الترغيب رغبة فى انتزاع الموافقة، فنراها :

---

(١) الهاشمى ـ جواهر البلاغة ـ ص (٦٢) .
(٢) ابن عثيمين ـ شرح دروس البلاغة ـ ص (٣٩) .
(٣) السيوطى ـ الإتقان ـ ص (٤١٠) .
(٤) نفسه – ص (٤١٢) .
(٥) المصدر نفسه – ص (٢١٣) .

أ- نعتت (أهل بيت) بجملة «يكفلونه لكم» ، ولم تقل يرضعونه لكم ، لأن كفالة مثل هذا الرضيع ، ولذلك فهى أوسع وأشمل، وأدعى لمخالطة موسى عليه السلام لأهله من مجرد الإرضاع، وفى ذلك إغراء وترغيب لآل فرعون بدفعه إليها ليحطوا بذلك عنهم عبء الولد الذى أحبوه ، ويخافون عليه .

ب- تقييدها أيضاً لهم بجملة الحال « وهم له ناصحون » فيه دلالة على ترغيبهم أكثر، لكونهم يأمنون عليه مع كونه مكفولاً .

ج- تقديم الجار والمجرور « له » على ناصحون ، أفادت شدة العناية به وحصر نصحهم لربيب الفرعون دون غيره ، وكل ما سبق هو ترقى فى الترغيب من الأقل إلى الأكثر .

د- الإخبار بالجملة الإسمية دلت على دوام هذه الصفة فيهم .

(٣) كانت أخت موسى ـ رضى الله عنها ـ امرأةً راشدةً ، لم تحملها عظمة شفقتها على أخيها ، إلى انكشاف أمرها فمن ذلك :

استخدامها لفظ (أدلّ) دون الإخبار، لتضمن معناه إخبارهم بنفسها، وإلا لجاز ذهابهم دونها إذا أخبرتهم ، وأيضاً هذا اللفظ قد يشير إلى احتمالية تعذر معرفتهم للطريق دونها

قال الراغب : دلَّ : الدِّلالةُ ما يتوصل به إلى معرفة الشىء ، كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات ، والرموز ، والكتابة ، والعقود فى الحساب ، وسواء كان يقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد ، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حىٌّ ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ [سبأ : ١٤] [1] ، لذلك استخدمته لتضمن اصطحابهم دون أن تشترط، لأن ذلك ليس فى وسعها وهى المستضعفة ، ولو اشترطت لصار مدعاة للشك .

(٤) قولها (أهل بيت) من إضافة نكرة إلى نكرة ، وهذا النوع من الإضافة يفيد التخصيص ، ولا يفيد تعريفاً، وذلك مثل قولنا : « غلام امرأة »[2] وهذا بخلاف ما لو قالت : « أهل البيت» لظنوا أن لها عهداً فى بيت معين ، له تعلق وارتباط بهذا الطفل، وذلك كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب/٣٣] ، ومعلوم أن البيت هنا بيت النبي ﷺ بدلالة العهد الذكرى فى الآيات .

(٥) قولها : «لكم» فى « يكفلونه لكم » يشعرهم بتجردها من المآرب إلا من رضا الفرعون وملئه .

---

(١) الراغب ـ المفردات ـ (دلّ) ـ ص (١٧٧)

(٢) انظر : ابن هشام ـ قطر الندى ـ ص (٢٦٠) .

قوله تعالى : ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي﴾ [القصص/١٩]

قد يقال : إن الغرض هنا الاستنكار الذى من مفاده النهى عن ذلك بدلالة التلازم ، بدليل قوله بعد ذلك : ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [القصص/١٩] ، والمعنى: لا تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس وذلك كقوله تعالى : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة/١٩]

فالاستفهام كما قال السيوطى للنهى ، بدليل : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة/٤٤] (١)

وقد يكون الغرض التذكير ، وهو أقرب بدلالة التذكرة بقتل القبطى بالأمس

ولكن يبرز سؤال مهم

لماذا اختار الهمزة فى سياق التصديق بدلاً من هل ؟

والجواب

لأن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه (٢)، ولعل ما يرجح هذا أن ثَمَّ قولاً فى تفسير قوله تعالى : ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [القصص/١٩] يرى أن القائل لهذه العبارة الإسرائيلى الذى شاهد قتل القبطى بالأمس

قال القرطبى – رحمه الله – : « قال يا موسى أتريد أن تقتلنى » قال ابن جرير : أراد موسى أن يبطش بالقبطى فتوهم الإسرائيلى أنه يريده ، لأنه أغلظ له فى القول ، فقال : ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ (٣).

(قلت) : فهذا الوهم منه سوّغ له أن يستفهم بالهمزة، فغلب على ظنه بطش الكليم به، لِمَا رأى من عزمه وقوله ، وإغلاظه له فى القول من قبل .والله أعلى وأعلم

قوله تعالى : ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص/٢٣]

قد يكون الغرض من الاستفهام فى الآية (الرقة) و (الاسترحام) ، وذلك بدلالة استعمال لفظ الخطب، وهذا اللفظ إنما يستعمل فى مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه (٤).

وأيضاً لمخالفة العادة ، لأن هذا العمل الشاق من أخص أعمال الرجال .

وأما النكتة فى السؤال (بما) **، فلأن (ما) إذا استفهم بها عن غير العاقل جاز أن يستفهم بها عن الأعيان أو الأجناس أو الصفات ، وهذا بخلاف العاقل فلا يستفهم عن عينه بـ (ما) (١)،**

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٤١٢) .

(٢) نفسه . ص (٢١٣) .

(٣) القرطبى . التفسير . (٢١٣/١٣) .

(٤) المصدر نفسه . (٢١٦/١٣) .

وموسى عليه السلام قصد من ذلك السؤال استبيان ما أشكل عليه من حالهما ، فكأنه ربط بين استحياء فرعون لنساء بنى إسرائيل فى الخدمة والمهانة ، وبين حال هاتين المرأتين لاسيما وأنه رأى من قلة مروءة الرجال حولهما ما قد يؤكد ذلك، فظاهر الخطب كما يبدو له ضعفة المرأتين ، فأراد أن يسأل عن جنس ذلك ليربط الأسباب بمسبباتها ، وهو عين الحكمة والعلم ، وصدق ربى إذ يقول فيه : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص/١٤] فسألهما بـ «ما» ليستبين له نوع وجنس هذا الخطب ، فجاءته الإجابة بأنه ليس من جنس استضعاف فرعون، فهو ليس (استعباداً) ، بقدر كونه (اضطراراً) من ضعيف اشتكى قلة المروءة ، واعتذرا عن عجز القيّم عليهما ، فمسَّ حالهما شغاف قلب حازم نبيل ، فسدَّ مسدهما يبتغى الأجر والثواب من الله . جل وعلا . ، فآثرهما على نفسه وهو أحوج ما يكون إلى المساعدة، على الحال التى ذكرها منه ربنا فى كتابه . والله أعلى وأعلم

قوله تعالى : ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص/٤٠]

قد نقول إن الغرض من الاستفهام فى هذا المقام النظر والاعتبار الذى من مقتضاهما التخويف من بطش الله بالظالمين ، وقد سبق فى مبحث الأمر . والله أعلى وأعلم

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص/٥٠]

قد يكون الغرض من الاستفهام هنا (الإنكار) ، أى : لا أحد أضل منه [٢] ولا أحد أدعى للإنكار عليه منه .

وقد يكون (للاستبعاد) ، وشبيه به قوله تعالى : ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر/٢٣] [٣].

قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص/٥٧]

قد يكون الغرض من الاستفهام التذكير بنعم الله – عز وجل – وهذا مفهوم بدلالة تعدد النعم من تمكين وأمن ، ورزق الثمرات على اختلافاتها .

قوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص/٥٨]

الغرض هنا التكثير ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الأعراف/٤] ، وينشأ عنه (التخويف) بدلالة السياق ، لكن قد يغنى عن ذلك كله أن " كم " خبرية للتكثير .

---

(١) السيوطى . الإتقان (٢٦١ . ٢٦٢) .

(٢) د. مختار عطية . علم المعانى . ص (٥٠) .

(٣) السيوطى . نفسه . ص (٤١٢) .

قولـــه تعـــالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ **[القصص/٦١]**

قد يكون الغرض الدلالى من الاستفهام إظهار المفاصلة والمفاضلة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وفى ذلك مدعاة للاعتبار بالكافر ، وإعادة الحسابات للحاق بركب أهل الإيمان .

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [القصص/٦٢]

قد يكون الغرض هنا التعجيز .

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [القصـــص/٦٥] و[القصص/٧٤]

قد يكون الغرض هنا التحسير أو التبكيت

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص/٧١. ٧٢]

قوله : « أرأيتم » بمعنى أخبرنى

قال السيوطى . رحمه الله . : « **فائدة** » **إذا دخلت** . يعنى الهمزة **ـ على** « **رأيت** » **امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب ، وصار بمعنى** « **أخبرنى** »[1]

ويبقى الكلام عن غرض الاستفهام فى قوله : ﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم ﴾ **وأنه للتذكير ، وذلك بدلالة الفاصلتين : أفلا تسمعون » و « أفلا تبصرون »**

قولـــه تعـــالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص/٧٨]

قد يقال : إن الغرض هنا (التهديد) ، قال سيد قطب . رحمه الله . : ولكن قارون لم يستمع لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه، ولم يخضع لمنهجه القويم، وأعرض عن هذا كله فى استكبار لئيم وفى بطر ذميم، ومن ثَمَّ جاءه التهديد قبل تمام الآية ،:﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ ﴾ [القصص/٧٨] رداً على قولته الفاجرة المغرورة [2] .

مسـألة

---

(1) السيوطى . السابق . ص (٢١٤) .

(2) سيد قطب . فى ظلال القرآن . سورة القصص [٥ / ٢٧١٢] . بتصرف .

هل المعانى الخارجة عن حقيقة الاستفهام تُجَرَّدُ عنه ، أم تضامُّه ؟

والجواب :

قال السيوطى ـ رحمه الله ـ فى الإتقان : (تنبيهان) : الأول :

هل يقال: إن معنى الاستفهام فى هذه الأشياء موجود ، وانضمَّ إليه معنى آخر ، أو تجرد عن الاستفهام بالكلية ؟ قال فى عروس الأفراح : محلّ نظر، قال : والذى يظهر الأول .

قال : ويساعده قول التَّنوخى فى « الأقصى القريب » : إن « لعلّ » تكون للاستفهام مع بقاء الترجى؛ قال : ومما يرجحه أن الاستبطاء فى قولك : كم أدعوك ؟ معناه أن الدعاء وصل إلى حدّ لا أعلم عدده، فأنا أطلب أن أعلم عدده، والعادة تقضى بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كَثُر فلم يعلمه ، وفى طلب فهم عدد ما يُشعِر بالاستبطاء، وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر .... وبهذا تنحل إشكالات كثيرة فى مواضع الاستفهام ، ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة . انتهى ملخصًا [1].

رابعًا : التمنى

تعريفه : **هو طلب حصول شىء محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً كقول المتنبى:**

فليـــــت وقَـــــارَكَ فرّقتـــــه وحَمَّلَـــتْ أرضَـــك مـــا تَحْمِـــلُ

وإما لكونه بعيد التحقق والحصول نحو : ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص/٧٩] ، فإن كان منتظر الحصول ، قريب الوجود كان ترجياً، ويعبر فيه بعسى ولعل [2].

أدوات التمنى

قال الهاشمى ـ رحمه الله ـ :

وللتمنى أربع أدوات : واحدة أصلية وهى « ليت » ، وثلاثٌ غير أصلية نائبة عنها ، ويتمنى بها لغرض بلاغى ، وهى :

---

(1) انظر : السيوطى ـ الإتقان ـ (٤١٣) ـ وانظر : السيوطى ـ معترك الأقران ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٩٨م – (٣٣٣/١) .

(2) المراغى ـ علوم البلاغة ـ (٦٢/١) .

obeikandl.com

١) هل ، كقوله تعالى : ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف/٥٣]

٢) ولو ، كقوله تعالى : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء/١٠٢]

٣) ولعل ، كقوله :

أسربُ القطا هلْ من يُعِيرُ جناحه؟ لعلِّي إلى مَنْ قد هَوِيتُ أطيرُ

ولأجل استعمال هذه الأدوات فى التمنى ينصب المضارع الواقع فى جوابها [١].

هل الترجى من أقسام التمنى ؟

قال السيوطى . رحمه الله . فى الإتقان بعد ذكره لأقسام التمنى :

فصل : ومن أقسامه الترجى

نقل القرافى فى « الفروق » الإجماع على أنه إنشاء، وفرّق بينه وبين التمنى بأنه من الممكن ، والتمنى فيه وفى المستحيل، وبأن الترجى فى القريب والتمنى فى البعيد، وبأن الترجى فى المتوقع والتمنى فى غيره، وبأن التمنى فى المعشوق للنفس والترجى فى غيره [٢].

بعض دلالات التمنى فى السورة

قوله تعالى : ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص/٣٨]

قد يقال : إن « لعل » فى الآية خرجت عن كونها للترجى إلى مقام التمنى، وذلك لغرض التلبيس على قومه، باستحالته على غيره ، لكنه لا يستحيل على الفرعون الأعظم ، وهذا شبيه باستخدام « ليت » فى حالة الترجى للإشعار بأنه رجاء بعيد [٣] بيد أن الله . عز وجل . فضحه فى صفحة وجهه ، وفى زلة لسانه وهاكَ البيانَ :

١) استحالة ذلك عقلاً ولو شركه فى ذلك أهل الدنيا قاطبةً فى كل مصر ، وعصر .

٢) استخدامه لفظ « اطّلع» ، وصيغته «افتعل» التى تؤدى هنا معنى المعاناة .

٣) حالة التخبط التى أطبقت عليه، فصدّر كلامه بالعلم وحصر الإلهية فيه وحده، ثم أثبت وجود إله موسى وأثبت له العلو والفوقية ، ولما أراد الاطّلاع إليه أثبت لنفسه التسفل والتدنى ، وهما صفتا نقص كما لا يخفى، ثم ختم عَجُز كلامه بالظن والحيرة التى تملكته ، فدّل ذلك كله على أن اطلاعه إلى إله موسى أمنية استحالت عليه وعلى غيره ، فألبسها مسوح الترجى، ليخفى عن ملئه ماء وجهه ، وعجزه .

---

(١) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٧٤) .

(٢) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٤١٥) .

(٣) الهاشمى . المصدر السابق . هامش ص (٧٤) .

قولــه تعــالى : ﴿ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [القصص/٦٤]

قد تكون «لو» فى الآية امتناعية، وذلك لأنه لمّا جاءت بعدها « أنّ » جاء خبرها فعلاً عوضاً عن الفعل المحذوف كما قال الزمخشرى [١].

ولكن

لا يوجد ما يمنع من كونها أيضًا « للتمنى » فيصلح وضع مكانها « ليت » بمعنى : يا ليتهم كانوا يهتدون ، وذلك لما يأتى :

١) أن المعنى الامتناعى الأصيل لـ « لو » الامتناعية يشوب « لو » التى للتمنى ، وبذلك يكون التمنى والندم قد ركبا فيها ، وعليه فالتمنى بها فى هذا المقام آكد من التمنى بـ « ليت » .

٢) أن الكلام بـه حذف، وهذا مقام الندامى والحيارى إذا تذكروا علة ندمهم وحسرتهم، يذكرون ويوارون ويحذفون ، وهنا نجدهم قد حذفوا الجواب للعلم بـه ، ولثقله عليهم وقد شاهدوه ، وتقديره : ما رأينا العذاب أو ما شاهدنا خذلان الشركاء .

٣) بين الفاصلة وما قبلها شبه كما اتصال ، ويؤيده علامة الوقف الجائز (ج) ، فلعل سائلاً سأل بعد قوله تعالى : ﴿ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ ﴾ [القصص/٦٤] وكيف حالهم عندئذٍ؟ فجاءت الإجابة تمنوا ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴾ ، وحذف الجواب للعلم بـه ، وفى هذا دلالة على منتهى الندم والحسرة .

قولـه تعـالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [القصص/٧٩]

ليت هنا لتمنى الشىء المحبوب الذى لا يرجى ولا يتوقع حصوله ، لا لاستحالته، ولكن لكونه ممكناً غير مطموع فى نيله [٢]، وذلك لانقطاع المطامع ، وتهاويها أن يجمع أحد مثل ما جمعه قارون . على حسب ظنهم . وفى ذلك دلالة على عظم أموال وكنوز قارون . عليه لعنة الله . .

بعض دلالات الترجى فى السورة

قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ [القصص/٩]

---

(١) انظر: السيوطى . الإتقان . ص (٢٥٩) .

(٢) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٧٤) .

يَبْعُدُ هنا القول بالتمنى ، وعسى هنا للترجى ، لعدم استحالة أو صعوبة المرجو ، لاسيما أنها تفرست ذلك فى موسى عليه السلام بعدما أُلْقِى حبه فى قلبها، فرجَتْ أن تنتفع به كبيراً ، كما أحبته صغيراً وهو ما ليس بالمستحيل أو البعيد ، ولعل ما يؤيد كون (عسى) فى الآية للرجاء ، ما أورده الزركشى فى البرهان أن : (عسى ولعل) من الله واجبتان ، وإن كانتا رجاءً وطمعاً فى كلام المخلوقين ، لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك[1].

قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص/٢٢]

قد يقال : إن الرجاء فى هذه الآية يشوبه القرب والدنو ، وذلك لثقة موسى عليه السلام بربه ، ولعهده به فى نصره وتأييده، ومما يؤيد أن (عسى) تأتى للقرب والتأييد، ما قاله ابن فارس : فَأَمَّا عَسَى فَكَلِمَةُ تَرَجٍّ، تَقُولُ :عَسَى يَكُونُ كَذَا. وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى قُرْبٍ وَإِمْكَانٍ. وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَقُولُونَ :عَسَى مِنَ اللَّهِ – تَعَالَى – وَاجِبٌ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾ (الممتحنة: ٧)[2]

قوله تعالى : ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص/٢٩]

(لعل) هنا لرجاء اقتراب ، وذلك لقرب الأمر المحبوب، فغالب الظن أن النار يكون عليها من يذكيها، فغلب على ظنه عليه السلام أنه سيجد من يسأله عن الطريق، وفى ذلك دلالة على عظم النار وتجليها للرائى، وهو ما جعل الرجاء قريب المنال منه ﷺ .

قوله تعالى : ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص/٤٣، ٤٦ ، ٥١]

قد تكون « لعل » فى الآيات الكريمة (للترجى) ، أى الرجاء تذكيرهم، وهذا المعنى له وجاهته لو اعتبرنا حالهم وإعراضهم، أو حال النفس البشرية عامة وأنها تحتاج بعد إحجامها إلى التذكرة تلو الأخرى ، وهذا شبيه بقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة/١٨٩]

وقد تكون (للتعليل) ، وذلك لو اعتبرنا ما قبلها سبباً لها، وهذا شبيه بقوله تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه/٤٤] [3]

قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ٦٧﴾ [القصص/٦٧]

---

(1) الزركشى . البرهان . (٤ / ١٦٠) . وانظر : السيوطى الإتقان (٢٤٣) .

(2) ابن فارس . مقاييس اللغة . عسوي (٤ / ٣١٧) . وانظر : السيوطى . الإتقان . ص (٢٤٣) .

(3) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٢٥٧) .

عسى هنا واجبة، لأنها من الله . عز وجل . ، ولو كانت من غيره لكانت للترجى ، لأن المخلوق يعتريه الشك والظنون ، وتعرض له الشكوك .

قال القرطبى . رحمه الله . ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ أى من الفائزين بالسعادة ، وعسى من الله واجبة [١].

وقال السيوطى . رحمه الله . : وأخرج ابن أبى حاتم والبيهقى ، وغيرهما عن ابن عباس . رضى الله عنهما . ، قال: كل (عسى) فى القرآن فهى واجبة، وقال الشافعى : يقال:

(عسى) من الله واجبة، وقال ابن الأنبارى: عسى فى القرآن واجبة ، إلا فى موضوعين ... وفى البرهان : عسى ولعل من الله واجبتان ، وإن كانتا رجاءً وطمعاً فى كلام المخلوقين؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون، والبارئ منزّه عن ذلك، والوجه فى استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لمّا كان الخلق يشكُّون فيها ولا يقطعون على الكائن منها، والله يعلم الكائن منها على الصحة، صارت لها نسبتان : نسبة إلى الله تسمى نسبة قطع ويقين، ونسبة إلى المخلوقين تسمى نسبة شك وظن [٢].

خامسا : النداء

النداء : هو طلب إقبال المدعو على الداعى بحرف نائب مناب « أدعو » ويصحب فى الأكثر الأمر والنهى ، والغالب تقدمه ، نحو : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة/٢١] وقوله :

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل/ ١-٢] [٣]

وأدواته ثمانية : **الهمزة ، وأى ، ويا ، وآ ، وآى ، وأيا ، وهيا ، ووا .**

وهى فى كيفية الاستعمال نوعان :

١) الهمزة ، وأى لنداء القريب .

٢) وباقى الأدوات لنداء البعيد [٤].

وأكثر هذه الحروف استعمالاً « يا » ، وهى التى تقدر عند الحذف لكثرة دورانها .

---

(١) **القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (١٣ / ٢٤٣) .**

(٢) **انظر : الزركشى . البرهان . (٤ / ١٦٠) . وانظر: السيوطى . الإتقان . ص (٢٤٣ . ٢٤٤)**

(٣) **السيوطى . معترك الأقران . (١ /٣٣٩) . وانظر : السيوطى . الإتقان . ص (٤١٥) .**

(٤) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٧٦) .

obeikandl.com

قال السيوطى . رحمه الله . : « يا » حرف لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً ، وهى أكثر حروفه استعمالاً، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها، نحو : « رب اغفر لى » ، ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ ، ولا ينادى اسم (الله) ، و (أيها) إلا بها .

قال الزمخشرى : وتفيد التأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى تتلوه معتنىً به جداً ، وترد للتنبيه، فتدخل على الفعل والحرف ، نحو : « ألا يا اسجدوا » و « ياليت قومى يعلمون » [1]

وكثر حذفها فى القرآن من الرَّبّ تنزيهاً وتعظيمًا ؛ لأن فى النداء طرفاً من الأمر.

ذكر ذلك السيوطى فى الإتقان عن الكرمانى فى العجائب [2].

النكتة فى نداء القريب بأداة البعد :

قال السيوطى : ـ رحمه الله . : أصل النداء بـ « يا » أن يكون للبعيد حقيقة أو حكماً ، وقد ينادى بها للقريب لنكتة ، منها :

إظهار الحرص فى وقوعه على إقبال المدعوّ، نحو : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ ومنها : كون الخطاب المتلوّ معتنىً به، كقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ ومنها : قصد تعظيم شأن المدعو، نحو : « يارب » وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ ومنها : قصد انحطاطه، كقول فرعون : ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [3]

النكتة فى تنزيل البعيد منزلة القريب فى النداء :

وذلك بأن ينادى عليه بالهمزة، وأى ، إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره فى ذهن المتكلم صار كالحاضر معه ، لا يغيب عن القلب ، وكأنه ماثلٌ أمام العين، كقول الشاعر :

أســـكانَ نعمـــانِ الأراكِ تيَقَّـــنُوا بـــأنكم فـــى رَبْـــعِ قلبـــىَ سُـــكَّان[4]

بعض دلالات النداء فى السورة

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص/١٦]

وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص/١٧]

---

(١) السيوطى . معترك الأقران . (٣/ ٤٥٢) . وانظر : الزمخشرى . الكشاف . سورة البقرة . (١/٨٩ . ٩٠) .

(٢) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٣٨٦) .

(٣) انظر : السيوطى . معترك الأقران . (١/٣٤٠) .

(٤) انظر : الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (٧٦) وانظر: عبد السلام هارون . الأساليب الإنشائية . مكتبة الخانجى . القاهرة . ط٥ : ١٤٢١ هـ . ٢٠٠١ م . (١٨) .

وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص/٢١]

وقوله : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص/٢٤]

وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [القصص/٣٣]

نلاحظ فى الآيات السابقة أن حرف النداء محذوف ، وأن تقديره « يا » وأن الغرض من النداء « الدعاء والاستغاثة » ، ودلالة النداء بـ « يا » لتعظيم شأن المدعو ، وهو رب العالمين .

كما نلاحظ اصطحاب النداء فى الآيات للدعاء ، وهو ما فُهِمَ من سياقات الأمر والنهى فى الآيات ، وقد تقدم النداء على الدعاء فى الآيات كما هو الغالب [(١)].

بيد أن المفارقة بين الآيات فى تباين وتنوّع طرق الدعاء بعد النداء ، وهاكَ بيانَها :

فى الآية الأولى : نرى أن موسى – عليه السلام – استخدم الأسلوب الخبرى المتضمن الاعتراف بالتقصير والتفريط بين يدى الدعاء، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ [القصص/١٦] ، ثم دعا فقال : ﴿ فَٱغْفِرْ لِي ﴾ [القصص/١٦]، فكان تضمين الخبر الاعتراف بالذنب مفتاح الإجابة ، لذلك جاءت البشرى " ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥ ﴾ ، مصداقاً لقوله– ﷺ – لأمّنا أم المؤمنين عائشة . رضى الله عنها . فى حادثة الإفك بعد ما تشهّد حين جلس ثم قال : « أما بعد ، يا عائشة ، فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ، ثم تاب تاب الله عليه» [(٢)].

وفى الآية الثانية : نجد أن الكليم – عليه السلام – يستخدم الأسلوب الخبرى المتمثل فى الاعتراف بالنعمة، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القصص/١٧]، وقيل : إنه يقسم على إنعام الله عليه [(٣)] و (الباء) للقسم، والذى يعنينا أنه ختم كلامه بخبر معناه الدعاء ، وهو اختيار الكسائى والفراء كما نقله عنهما الرازى فى تفسيره ، وكأنه قال: « فلا تجعلنى ظهيراً للمجرمين» [(٤)]، وهذه الطريقة تفيد تأكيد حصول الدعاء حتى كأنه أمر واقع ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة/٢٢٨] فقوله :

---

(١) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٤١٥) .

(٢) رواه البخارى . (حديث/ ٤٧٥٠) . ومسلم . (حديث /٢٧٧٠) واللفظ له .

(٣) انظر : الرازى . مفاتيح الغيب . سورة القصص (٢٤ / ٥٨٥) .

(٤) السابق . (٢٤ / ٥٨٦) .

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ بصورة الخبر، والمراد به الأمر، وفائدة ذلك تأكيد فعل المأمور به حتى كأنه أمرٌ واقع يُتَحَدَّثُ عنه كصفة من صفات المأمور [1].

وفي الآية الثالثة : نجد موسى عليه السلام يدعو مباشرة بعد النداء، فيقول : ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص/٢١]، وكأنه فعل ذلك لضيق المقام وشدة خوفه وترقبه من فرعون وجنوده .

وفي الآية الرابعة : نجد أن حِدّة المطاردة قد كُسِرتْ، وأن موسى عليه السلام يعاود دعاء الله ـ جل وعلا ـ عن طريق المناجاة، التى مفادها الإلف والأنس بربه، وهو فى ذلك يعاود استخدام الخبر فى معنى الدعاء فيقول : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص/٢٤] فكأنه يقول : يارب ارزقنى ، ولثقته بربه استخدام الخبر، فكأن هذا الرزق صار أمراً واقعاً يباشره ، سيما إذا اعتبرنا دلالة الماضى فى ﴿أَنزَلْتَ﴾ ، ويقال فى هذه الآية ما قيل فى الآية الثانية، بيد أننى أحب أن أقف مليًّا أمام بعض ألفاظ وتراكيب هذه الآية بالتحليل لنرى عظمة القرآن الكريم.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص/٢٤]

قوله : (ربِّ) سبق أنها منادى حذفت أداة ندائه وتقديرها « يا » ، وسبق أن من دلالتها أنها تفيد التأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوها معتنىً به جداً كما قال الزمخشرى ، وفى ذلك دلالة قوية على أن المنادى بها متململاً إلى ربه ، يعلم أن مظنة الإجابة محققة ، وبلوغ مرامه مضمون ، فإن قلت : فما بال الداعى يقول فى توسله : يا رب ، ويا الله ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد وأسمع بنا وأبصر من أنفسنا ؟

والزمخشرى ـ رحمه الله ـ يجيب ، ويقول :

(قلت) : هو استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله، ومنازل المقربين، هضماً لنفسه، وإقراراً عليها بالتفريط فى جنب الله ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته، والإذن لندائه وابتهاله [2].

ونلاحظ أنه اختار لفظ (رب) للنداء بدلاً من لفظ (الله) ، لأن من أخص معانى الربوبية الرزق، فالربوبية هى إفراد الله – عز وجل – بالخلق والملك والتدبير[3] والرزق فرع عن التدبير ، ويدخل فيه ضمناً .

قوله تعالى : « إنى »

---

(1) ابن عثيمين ـ شرح الأصول من علم الأصول – (١١٥) .

(2) الزمخشرى ـ الكشاف ـ (١/٨٩ ـ ٩٠) .

(3) ابن عثيمين ـ القول المفيد ـ (١/٧) .

قد يشكل علينا تأكيد الخبر مع من يعلم السر وأخفى، ولكن المتأمل يرى أن اعتبار التوكيد ليس بالنسبة لربه ـ عز وجل ـ ، بل لبيان أن حاله مما يتردد الناس فيه ، وذلك مدعاة التوكيد لهم ، فهو مستغنٍ عنهم ، وهو أحوج ما يكون إلى رزق الله، ولو كُشِف للناس حاله لرأوا منتهى العفة وغنى النفس، فى حالة هى منتهى الافتقار والإعواز، ومن يُبتلَى بعشر معشار ما هو فيه ينبرى يسأل الناس ويتكففهم ، ولو كان صاحب وجاهةٍ يوماً من الأيام وهذه الحال يصدق فيها ما ينسب إلى الشافعى ـ رحمه الله ـ حين دخل بغداد وتجاهل الناس ضيافته ، لا يعرفونه، فأنشد متأوهاً :

علىّ ثيابٌ لو يباع جميعها بفَلْسٍ ... لكان الفَلْسُ منهن أكثرا
وفيهن نفسٌ لو تقاس ببعضها ... نفوسُ الورى كانت أعزَّ وأكبرا
وما ضرَّ نصلَ السيفِ إخلاقُ غَمْدِه ... إذا كان عَضْبًا حيثُ وجهْتَه فَرَى[1]

فالمهم أن موسى عليه السلام يؤكد أن هذه حالته التى قد تشكل على الناس ، وينطلى عليهم معرفتها ، وما ذاك إلا لشدة توكله ، وافتقاره إلى الله وحده، وفى ذلك دليل على عظم تعلق موسى عليه السلام بربه ـ جل وعلا ـ وعظم ثقته وتوكله عليه .

قوله : « لما » :

استخدام « ما » الموصولة هنا ، وهى من ألفاظ العمومات التى تدل على العموم بمادتها[2] قال قال العمريطى ـ رحمه الله ـ يبين ألفاظ العمومات :

وكُلٌّ مُبْهَمٍ مِنْ الأسماءِ ... ومِنْ ذاكَ (مَا) للشرطِ والجزاءِ
ولفظُ (مَنْ) فى عاقلٍ ولفظُ (مَا) ... فى غيرِهِ ولفظُ (أىّ) فيهما[3]

(قلت) : وفى ذلك دلالة على شدة افتقار موسى- عليه السلام – إلى كل ما أنزله الله – تعالى – إليه ، وفى ذلك دلالة واضحة على عظم عبوديته – عليه السلام – لربه – عز ذكره – ، فلا يحقق العبد معنى العبودية إلا بالافتقار إلى الله، وكلما زاد زادت ، وهذا العموم الذى فى « ما » جعل المفسرين يختلفون فى تفسيرها فمن ذلك :

أن بعضهم فسرها بخير الدين ، قال الرازى بعد أن ذكر الوجه الأول : وفى الآية وجه آخر، كأنه قال : رب إنى بسبب ما أنزلت إلى من خير الدين صرت فقيراً فى الدنيا ، لأنه كان عند فرعون فى ملك وثروة، فقال ذلك رضىً بهذا البدل ، وفرحاً به ، وشكراً له ، وهذا التأويل أليق بحال

---

(1) الشافعى ـ ديوان الشافعى ـ إعداد: محمد إبراهيم سليم ـ مكتبة النزهة ـ مصر ـ د.ت ـ ص(٧٦)
(2) انظر : ابن عثيمين ـ شرح الأصول ـ ص (٢٤٩) .
(3) انظر : منظومة نظم الورقات للعمريطى ـ وانظر : ابن عثيمين ـ شرح نظم الورقات ـ ص (٨٨) .

أ. هـ ، وذكر ذلك أيضاً الزمخشرى فى الكشاف [1].

وأما الوجه الثانى : فحكاه القرطبى- رحمه الله – فقال : « فعرَّض بالدعاء ولم يصرح بسؤال، هكذا روى جميع المفسرين [2] أنه طلب فى هذا الكلام ما يأكله، فالخير يكون بالطعام كما فى هذه الآية ... وقال أبو بكر بن طاهر فى قوله : ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أى : إنى لما أنزلت من فضلك وغناك فقير إلى أن تغنينى بك عمن سواك . [3]

قلت : ما ذكره أهل التفسير أولى ، فإن الله تعالى إنما أغناه بواسطة شعيب ، وأيّ ما كان فإن اللفظ فيه عموم الافتقار لنعم الله – عز وجل–

قوله : (أنزلت) : فيه دلالة على علو الله – جل وعلا – ، لأن النزول فى الأصل هو انحطاط من علو [4]، وفيه دلالة على أن الرزق فى السماء كما قال – جل ذكره – : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/٢٢]

واستخدام (أنزلت) دون (نَزّلت) ، فيه دلالة على كرم الله . جل وعلا . ورحمته بموسى وأنه لا يقتر الخير، بل ينزله إجمالاً ، قال السيوطى فى الفرق بينهما : (نزّل) يدل على التكرير بخلاف (أنزل) فيدل على أنه دفعة واحدة [5] .

قوله : (إلىّ) : فيه دلالة على شدة الافتقار ، ومنتهى الحاجة والإعواز إلى الله . جل وعلا . ، فلفظ (إلىّ) جاء يراعى مقتضى حال موسى عليه السلام ويترجمه .

قوله : (من خير) : هذه النكرة جاءت فى سياق الإثبات، فأفادت الإطلاق ، والإطلاق عمومه بدلى، وفى ذلك دلالة على منتهى أدب موسى عليه السلام مع ربه . عز وجل . ، وأنه لم يشترط على ربه نوع الخير [6] أو جنسه ، بل آثر اختيار الله له ، هذا هو ديدنه مع ربه، كما فعل فى سؤاله حل العقدة من لسانه .

---

(1) انظر : الرازى . مفاتيح الغيب . القصص(٢٤ / ٥٨٩) . والزمخشرى الكشاف . (٣ / ٤٠٢).

(2) لعله يقصد جُل أو معظم المفسرين ، لما تقدم من أن بعضهم خالف ذلك كما تقدم فى القول الأول .

(3) القرطبى . التفسير . (١٣ /٢١٦ . ٢١٧) .

(4) انظر : الراغب . المفرادات فى غريب القرآن . (نزل) ص (٤٩٠) .

(5) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٤٦٤) بتصرف .

(6) ينظر : ابن عثيمين . الأصول من علم الأصول . (٢٥١) .

فقال : ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ ﴾ [طه/ ٢٧-٢٨] ولم يشترط عقدة معينة ، لأنه يعلم أن اختيار الله له أفضل من اختياره لنفسه ، ومما يؤيد أن النكرة هنا للإطلاق قول الرازى: فالمعنى إنى لأى شىء أنزلت إلىّ من خير قليل أو كثير أو غث أو سمين لفقير [1].

و (مِنْ) قد تكون بيانية أو تبعيضية ، فلو كانت بيانية ، فهى مما لم يقع قبلها (ما) أو (مهما) الشرطيتان [2]، كقوله تعالى : ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾ [الحج/ ٣٠] وقوله : ﴿ مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾ [الكهف/ ٣١] وهى حينئذٍ للدلالة على أن إنزال الله على عباده هو الخير، وأن الشر المحض لا ينسب إليه .

ولو كانت تبغيضية ، فهى حينئذٍ تبرز عِظَمَ بركة ما عند الله، لكون المؤمن يغنيه ويكفيه بعضه فما بالنا بالكل منه، وفيه أيضاً دلالة على منتهى أدب موسى- عليه السلام - حيث سأل ربه على قدر حاجته، وفى ذلك دلالة قوية على أن المسؤول هو الطعام وهو أمر دنيوى ، ولو كان دينياً لسأل موسى - عليه السلام - ربه الكمال منه، إذ كان يسألون من الدنيا على قدر كفايتهم لحقارة الدنيا، قال - ﷺ - :« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء »(٣) .

ومما يؤيد ذلك أن موسى- عليه السلام - لم يكن ليرضى فى شأن الآخرة إلا بالأكمل والأتم ، وهذا يتضح عندما سأل ربه فقال : « يا ربِّ ، علمنى شيئاً أذكرُك وأدعوك به، قال : يا موسى : قل لا إله إلا الله ، قال : يارب، كلُّ عبادك يقولون هذا ، قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيرى، والأرضين السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كِفة ، مالت بهن لا إله إلا الله [4].

قوله « فقير »

هذه الكلمة هى الخبر، وقد تأخر الخبر عن متعلقه ليفيد التخصيص ، وقصر افتقاره على ما أنزله ربه دون من سواه ، إذ إن تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم يفيد الحصر والتخصيص[5] وفى الجملة :

---

(١) الرازى . مفاتيح الغيب . (٢٤ / ٥٨٩) .

(٢) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٢٦٤) .

(٣) رواه الترمذى . كتاب الزهد .. (٢٣٢١) وصححه الألبانى .

(٤) رواه ابن حبان والحاكم وصححه ، وضعفه العلاّمة الألبانى فى تحقيق كلمة الإخلاص (٥٨/١) .

(٥) انظر : السيوطى . المصدر السابق . (النوع الرابع والأربعون) . ص (٣١٨)، و (النوع الخامس والخمسون) . ص (٣٦٨) و (٣٦٩) . وانظر : ابن عثيمين . شرح الأصول الثلاثة .

فموسى عليه السلام فى كل ذلك سأل الله – عز وجل – بالحال الذى هو أبلغ من المقام[1] .

وأما الآية الخامسة : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ **[القصص/٣٣] فنلاحظ أن موسى عليه السلام استخدم الإخبار عن حاله بين يدى الدعاء . وكما سبق . فإنه أبلغ من المقال، ثم أخبر عن مزية أخيه هارون عليه السلام فى الفصاحة، ثم أنشأ يدعو الله ويستشفع فى مؤازرة هارون له ليتقوى به ، فكان فى إخباره دليل اعتراف وتجرد من الحول والقوة بين يدى ربه ومولاه ، وهذا من أبلغ ما يكون من الدعاء والاستنصار .**

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [القصص/٣٠.٣١]

وفى هذه الآية نلاحظ أن النداء جاء من رب العالمين لموسى عليه السلام ، ولعل فى ذلك تنبيهاً له عليه السلام أن الخطاب المتلُوّ عليه معتنىً به ، وأنه أجلّ وأهمّ التكاليف الشرعية قاطبة ، إنه توحيد الله –جل وعلا– ، وهذا شبيه بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة/٢١] [2]، وفى ذلك تطمين له عليه السلام، ولذلك جاء الأمر بإلقاء العصا ليربط على قلبه بالحجج النيرات وواضح الدلالات استعداداً للآيات الكبرى أمام فرعون

قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص/٣١]

النداء بـ « يا » التى تدل على البعد فى هذا المقام، لإظهار الحرص فى وقوعه على إقبال المدعوّ كما قال السيوطى– رحمه الله – فى توجيه النداء فى هذه الآية [3] ، وفى امتثال هذا الأمر دلالة على دخوله عليه السلام فى كنف الله وأمانه .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا ﴾ [القصص/٣٨]

استخدم فرعون . قبحه الله . النداء بـ « يأيها » لدلالته القوية على أن الخطاب المتلو معتنىً به ، وأنه من الأهمية بمكان، قال السيوطى – رحمه الله – نقلاً عن الزمخشرى وغيره:

فائدة :

تحقيق : هانى الحاج . مكتبة العلم . القاهرة . مصر د. ت . ص (٩) . وانظر : ابن عثيمين . شرح كشف الشبهات . تحقيق : هانى الحاج . مكتبة العلم . القاهرة . مصر . د . ت ص (١٢) .

(١) انظر . السعدى . تفسير السعدى . القصص . ص (٦٢٩) .

(٢) انظر : السيوطى . معترك الأقران (١/٣٤٠) . وانظر: السيوطى– الإتقان ص (٤١٦) .

(٣) السيوطى – معترك الأقران . (١/ ٣٤٠) .

قال الزمخشرى وغيره : كثر فى القرآن النداء بـ « يأيها » دون غيره، لأن فيه أوجهاً من التأكيد وأسباباً من المبالغة ، منها :

ما فى « يا » من التأكيد والتنبيه .

وما فى « ها » من التنبيه .

وما فى التدرج من الإبهام فى « أى » إلى التوضيح ، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد ؛ لأن كل ما نادى لـه عبـاده من أوامره ونواهيه وعظاتـه وزواجره ووعده ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك، ومما أنطق الله بـه كتابـه أمور عظام، وخطوب جسام، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ . أ.هـ [1] وقال سيبويه فى نحو :« يأيها » الألف والهاء لحقتا «أيّا » توكيداً، فكأنك كررت (يا) مرتين، وصار الاسم تنبيهاً[2] .

(قلت) : وفى ذلك دلالة على ارتقاء فرعون . قبحه الله . مرتقىً صعباً، فهو بذلك أراد أن يضاهى الله فى أوامره ونواهيه

وقولـه : « يا هامان » فقد قال بعض المفسرين إنـه نادى وزيره باسمه بـ « يا » فى وسط الكلام لتعاظمه وتجبره، ذكر ذلك البيضاوى والنسفى وغيرهما[3]

وذكر المراغى – رحمه الله– فى تفسيره : إنـه خاطب وزيره آمراً لـه ، على سبيل التهكم أمام موسى ليشكك قومه فى صدق مقالته [4].

قولـه تعـالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص/٤٧]

قد يقال : إن النداء بـ « يا » فى قولهم : (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً) غرضه التضرع والخشوع ، لأنه كما سبق أن (يا) تأتى بغرض تعظيم شأن المدعوّ ، والدليل أيضا على ذلك أنه لولا قولهم ذلك لنزلت بهم العقوبة، وهذا أحد أوجه تفسير الآية ، قال القرطبى . رحمه الله . : وجواب « لولا » محذوف، أى : لولا أن يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة

---

(1) السيوطى . الإتقان . ص (٤١٦) . و الزمخشرى . الكشاف . (١/ ٨٩ : ٩٠) .

(2) المصدر نفسه . ص (٣٨٩) .

(3) النسفى . مدارك التنزيل . (٢ / ٦٤٤) وانظر : البيضاوى . جامع البيان . (٤/ ١٧٨)

(4) المراغى . تفسير المراغى . (٢٠ / ٦١) .

﴿ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ ﴾ أى : هلا ﴿ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا ﴾ لما بعثنا الرسل ، وقيل : لعاجلناهم بالعقوبة [1].

قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [القصص/٦٣]

قد يقال : إن النداء غرضه تعظيم شأن المدعوِّ . كما سبق . ويؤيد ذلك أنهم عاينوا دلائل العظمة يقيناً ، فكان هذا النداء تعبيراً ورعايةً لمقتضى حالهم الذى جمع بين الإذعان لعلو المقام والعظمة ، وبين الحسرة لعدم انتفاعهم بهذا الاعتراف ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام / ١٥٨].

قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾ [القصص/٧٩] النداء هنا بـ « يا » غرضه التمنى ، وهو هنا حرف تنبيه كما قرر الزمخشرى ، ونقله عنه السيوطى فقال : « وتفيد التأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معتنى به جداً، وترد للتنبيه ، فتدخل على الفعل والحرف ، نحو : ألا يا اسجدوا ، ونحو :

﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾[2]

سادساً : الخبر بمعنى الإنشاء

قال السيوطى . رحمه الله . فى الإتقان :

القصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر، نحو : ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ ﴾ [البقرة/٢٣٣] ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ ﴾ [البقرة/٢٢٨] ، وبمعنى النهى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة/٧٩] وبمعنى الدعاء ، نحو : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/٥]، أى : أعنا ، وفيه : ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ [المسد/١] ، فإنه دعاء عليه ، وكذا ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ [المائدة/٦٤] ، وجعل منه قوم : ﴿ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ ﴾ [النساء/٩٠] ، قالوا : هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد .

ونازع ابن العربى فى قولهم : إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهى ، قال فى قوله تعالى :

---

(1) انظر : القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (١٣ /٢٣٥)

(2) انظر السيوطى . معترك الأقران (٣ /٤٥٢) .

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة/١٩٧] ليس نفياً لوجود الرفث، بل نفى لمشروعيته ، فإن الرفث يوجد من بعض الناس، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره [١].

(قلت) : والحق أن الخلاف بينهما سائغ، وأن كلا القولين يصبان فى مصب واحد ، فالأمر فى الحقيقة طلب ثبوت المشروعية، والنهى : طلب الكف عن إثبات ما يخالفها ، وهو معنى ما قاله ابن العربى : (نفى المشروعية) .

ومن الخبر الذى يراد به الإنشاء قولنا : (صلى الله عليه وسلم) ، و (عليه السلام) و(رضى الله عنه) ، و (رحمه الله) ... إلخ هذه الجمل .

قال الدكتور مختار عطية فى ختام مبحثى الخبر والإنشاء :

تلك هى مقامات الخبر والإنشاء التى هى من أوثق عرى التعبير فى لغتنا العربية عامة، والنص القرآنى بوجه خاص، لما يحمله هذا المبحث من وسائل تعبير متنوعة ومترامية ، حتى لربما يتداخلان ؛ فسياق الخبر قد يقصد به الدعاء أو الاستفهام أو الأمر أو النهى، وتساق هذه جميعاً إخباراً وإعلاماً للمخاطب بما تحمله من معنى [٢].

ومما يؤيد ما سبق أن مبحث النداء يأتى ضمن مباحث الإنشاء ، ونحن نلاحظ أن النداء فى الأكثر يصحبه الأمر والنهى ، وقد يصحبه الجملة الخبرية، فتعقبها جملة الأمر ، نحو :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج/٧٣]

، ونحو : ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾ [هود/٦٤]

،وقد لا تعقبها جملة الأمر ، نحو : ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الزخرف/٦٨]

، وقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر/١٥]

، وقوله : ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ﴾ [يوسف/١٠٠] [٣].

الفائدة من مجيء الخبر بمعنى الإنشاء

قال الشيخ ابن عثيمين . رحمه الله . :

وقد يأتى الكلام بصورة الخبر، والمراد به الإنشاء وبالعكس لفائدة .

مثال الأول : قوله تعالى : ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة/٢٢٨]

فقوله ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ بصورة الخبر، والمراد بها الأمر، وفائدة ذلك تأكيد فعل المأمور به حتى كأنه أمر واقع يتحدث عنه كصفة من صفات المأمور [١].

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٤٠٦) .

(٢) د. مختار عطية . علم المعانى . ص (٦٤) .

(٣) انظر : السيوطى . السابق . ص (٤١٦) .

(قلت) وهذا يمكننا تطبيقه على بعض آى السورة، فعلى سبيل المثال : الدعاء الذى جاء فى صورة الخبر، فيه دلالات الديمومة على ملازمة الافتقار إلى الله ، حتى كأنه أمر ثابت جاز التعبير عنه بالخبر.

أمثلة للخبر بمعنى الإنشاء فى السورة

(٩) قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص/٩]

فلعل قولها : ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ﴾ طلب منها له، فكأنها استوهبته منه، ولذلك جاء الرد منه : أمّا لكِ فنعم، وأمّا لى ، فلا ، فكان كذلك وهداها الله بسببه [٢].

(١٧) قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾ [القصص/١٧]

قال القرطبى – رحمه الله – ، وقد ذكر الأقوال فى الآية :

وقيل : ليس هذا خبراً ، بل هو دعاء ، أى : فلا أكون بعد هذا ظهيراً أى : فلا تجعلنى يارب ظهيراً للمجرمين، ولكنه لم يرجح هذا القول ، فقال : قلت : قد مضى هذا المعنى ملخصاً مبيناً فى سورة النمل، وأنه خبر لا دعاء [٣].

قوله تعالى : ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص/٢٤]

قال الإمام السعدى . رحمه الله . : **أى : إنى مفتقر للخير الذى تسوقه إلىّ، وتيسره لى ، وهذا سؤال منه بحاله والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل فى هذه الحالة داعياً ربه متملقاً [٤].**

(٣٣) قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣﴾ [القصص/٣٣]

قد يقال فيها كما قيل فى الآية السابقة . أى : يارب نجنى منهم .

---

(١) ابن عثيمين . شرح الأصول من علم الأصول . ص (١١٥) .

(٢) انظر : ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . (٣/٣٩٤) .

(٣) انظر : القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (١٣ / ٢١١) .

(٤) انظر : السعدى . تيسير الكريم الرحمن . ص (٦٢٩) .

المبحث الرابع :

دلالات الحصر والتخصيص والإطلاق والتقييد

أولا : دلالات الحصر :

أ) طرق الحصر :

١) النفى والاستثناء .
٢) إنما
٣) أنما
٤) العطف بلا أو بل
٥) تقديم المعمول .
٦) ضمير الفصل .
٧) تقديم المسند إليه ، وذلك مع الجملة الإسمية فقط؛ لأن الفاعل لا يتقدم الفعل، وتقدم المسند إليه يفيد التخصيص بالخبر الفعلى وله أحوال:

أحدها : **أن يكون المسند إليه معرفةً والمسند مثبتاً ، نحو : أنا قمت .**

وثانيها : **أن يكون المسند إليه معرفة والمسند منفياً ، نحو : « أنت لا تكذب » فإنه أبلغ فى نفى الكذب من « لا تكذب » .**

ثالثها : **أن يكون المسند إليه نكرةً مثبتاً ، نحو : رجلٌ جاءنى .**

فيفيد التخصيص إما بالجنس أى : رجل لا امرأة، أو الوَحْدة ، أى : لا رجلان .

رابعها : **أن يلى المسند إليه حرف النفى ، نحو : « ما أنا قلت هذا » أى : لم أقله مع أن غيرى قاله، ومنه ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ [هود/٩١] ، أى : العزيز علينا رهطك لا أنت، ولذا قال :﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود/٩٢] هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر الجرجانى ، ووافقه السكاكى ، وهو ما أثبته عنهما السيوطى فى الإتقان** [١].

٨) تقديم المسند ، ذكر ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص .

وردّ صاحب الفلك الدائر بأنه لم يقل به أحد ، وهو ممنوع ، فقد صرح السكاكى وغيره بأن تقديم ما رتبته التأخير يفيده، ومثّلُوه بنحو : « تميمىٌّ أنا» [٢]

---

(١) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٣٦٨ . ٣٦٩) .

(٢) نفسه – (٣٦٩)

obeikandi.com

(قلت) وكأنه يعنى بهذا المثال ، تقديم ما رتبته التأخير جوازاً لا وجوباً .

٩) ذكر المسند إليه ، ذكر السكاكى أنه قد يُذْكر ليفيد التخصيص، وتعقبه صاحب الإيضاح، وصرح الزمخشرى بأنه أفاد الاختصاص فى قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ ﴾ [الرعد/٢٦] فى سورة الرعد ، وفى قوله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [الزمر/٢٣]، وفى قوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب/٤] ، ويحتمل أنه أراد أن تقديمه أفاده، فيكون من أمثلة الطريق السابع، أى تقديم المسند إليه .

١٠) تعريف الجزءين، ذكر الإمام فخر الدين فى نهاية الإيجاز أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة، نحو : « المنطلق زيد » ، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة/٢]

١١) نحو : جاء زيد نفسه

١٢) نحو : إن زيداً لقائم

١٣) نحو : (قائم) فى جواب : زيدٌ إما قائم أو قاعد .

١٤) قلب بعض حروف الكلمة، فإنه يفيد الحصر على ما نقله الزمخشرى فى الكشاف فى قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ﴾ [الزمر/١٧]، قال : القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ «الطاغوت»؛ لأن وزنه على قولٍ « فَعَلوت » من الطغيان ، كملكوت ورَحَمُوت قُلِبَ بتقديم اللام على العين فوزنه « فَلَعُوت » ، ففيه مبالغات التسمية بالمصدر ، والبناء بناء مبالغة ، والقلب هو الاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان [١].

وقد ذكر السيوطى . رحمه الله . أن أهل البيان كانوا يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً، أو مجروراً ، ولهذا قيل فى :

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة/٥] ، معناه : نخصك بالعبادة والاستعانة ، وفى ﴿ إِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [آل عمران/١٥٨]، معناه : إليه لا إلى غيره ، ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ [البقرة/١٤٣] أخرت الصلة فى الشهادة الأولى، وقدمت فى الثانية؛ لأن الغرض فى الأول إثبات شهادتهم، وفى الثانى اختصاصهم بشهادة النبي ﷺ [٢] .

---

(١) السيوطى- السابق . (٣٦٧ : ٣٦٩) بتصرف .

(٢) نفسه – (٣٧٠) .

مخالفات والرد

١) خالف فى ذلك ابن الحاجب فقال فى شرح المفصَّل : الاختصاص الذى يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم، واستدل على ذلك بقوله : ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر/٢] ، ثم قال : ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الزمر/٦٦]

والرد

رُدَّ هذا الاستدلال بأن ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أغنى عن إفادة الحصر فى الآية الأولى، ولو لم يكن، فما المانع من ذكر المحصور فى محل بغير صيغة الحصر، كما قال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحج/٧٧]، وقال : ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف/٤٠] ، بل قوله : ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الزمر/٦٦] ، من أقوى أدلة الاختصاص ، فإن قبلها : ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر / ٦٥] فلو لم يكن للاختصاص ، وكان معناها «اعبد الله» لما حصل الإضراب الذى هو معنى « بل » .

٢) وردّ صاحب الفلك الدائر الاختصاص بقوله : ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام/٨٤] ، وهو من أقوى ما رُدّ به .

والرد

بأنه لايُدَّعى ، فيه اللزوم، بل الغلبة، وقد يخرج الشىء عن الغالب.

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وعدمه فى آية واحدة، وهى : ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ [الأنعام/٤٠ـ٤١]، فإن التقديم فى الأول قطعاً ليس للاختصاص، وفى « إياه » قطعاً للاختصاص [١].

(ب): الفرق بين الحصر والاختصاص

نقل السيوطى . رحمه الله . عن الشيخ تقى الدين . رحمه الله . فى كتاب الاقتناص فى الفرق ين الحصر والاختصاص :

أنه اشتهر كلام الناس فى أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، ومن الناس من ينكر ذلك ، ويقول : إنما يزيد الاهتمام، وقد قال سيبويه فى كتابه : وهم يقدمون ما هُم به أعنى ، والبيانيون على إفادته الاختصاص، ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر، وليس كذلك، وإنما الاختصاص شىء والحصر شىء آخر، والفضلاء لم يذكروا فى ذلك لفظة «الحصر» ؛ وإنما عبروا بالاختصاص، والفرق بينهما : أن الحصر : نفى غير المذكور وإثبات

---

(١) السيوطى – السابق . (٣٦٩ . ٣٧٠) .

obeikandi.com

المذكور ، والاختصاص : **قصد الخاص من جهة خصوصه** ، **وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص، والخصوص مركب من شيئين : أحدهما : عام مشترك بين شيئين أو أشياء والثانى: معنى منضم إليه يفصله عن غيره ، (كضرب زيدٍ) ، فإنه أخص من مطلق الضرب ، فإذا قلت : (ضربت زيداً) ، أخبرت بضربٍ عامٍّ وقع منك على شخص خاص، فصار ذلك الضرب المخبر به خاصاً لمّا انضم إليه منك ومن زيد** [1].

(ج) : أقسام القصر أو الحصر

ينقسم الحصر إلى : قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف، مثال قصر الموصوف على الصفة نحو : « ما زيدٌ إلا كاتبٌ »، أى لا صفة له غيرها وفى القرآن قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران/ ١٤٤]

ومثال قصر الصفة على الموصوف : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد/١٩].

وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : **قصر إفراد** ، وثانيها : **قصر قلب** ، والثالث : **قصر تعيين** .

فالأول : **يُخاطَب به من يعتقد الشركة نحو : ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل/٥١] خوطب من يعتقد اشتراك الله والأصنام فى الألوهية .**

والثانى : **يخاطب به مَنْ يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له، نحو : ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة/٢٥٨] خوطب به نمروذ ، والذى اعتقد أنه هو المحيى والمميت دون الله ، و قوله : ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة/١٣] خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم ، وقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ [النساء/٧٩] خوطب به من يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب.**

والثالث: **يخاطب به مَنْ تساوى عنده الأمران ، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه، ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها** [2] **، مع ملاحظة أن السيوطى لم يذكر المثالين الأخيرين .**

(د) : من دلالات الحصر والتخصيص فى السورة

١. النفى والإستثناء :

قوله تعالى : ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص/١٩]

وقوله تعالى :﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ [القصص/٣٦]

---

(١) **السابق . ص (٣٧٠) .**

(٢) **نفسه . ص (٣٦٦ . ٣٦٧) .**

وقوله تعالى : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ **[القصص/٣٨]**

وقوله : ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **[القصص/٥٨]**

وقوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ **[القصص/٥٩]**

وقوله : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ **[القصص/٧٠]**

وقوله : ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ **[القصص/٨٠]**

وقوله : ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ **[القصص/٨٤]**

وقوله : ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ **[القصص/٨٦]**

٢. ضمير الفصل :

تعريفه : **ضمير بصيغة المرفوع ، مطابق لما قبله ، تكلماً وخطاباً وغيبةً ، وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل خبر كذلك، نحو :** ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ **[البقرة/٥]** ، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ **[الصافات/١٦٥]**، ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ **[المائدة/١١٧]**، ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ **[المزمل/٢٠]** ، ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾ **[الكهف/٣٩]** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ **[هود/٧٨]**

إعرابه : **لا محل لضمير الفصل من الإعراب .**

فوائده : **له ثلاثة فوائد :**

١) **الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع .**

٢) **التأكيد ؛ ولهذا سماه الكوفيون دَعَامة ؛ لأنه يُدْعَم به الكلام، أى يقوَّى ويؤكد ، وبنى عليه بعضهم أنه لا يجمع بينه وبينه، فلا يقال: زيد نفسه هو الفاضل .**

٣) **الاختصاص ، وذكر الزمخشرى الثلاثة فى** ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ **[البقرة/٥] ، فقال: فائدته الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة، والتوكيد ، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره [١].**

أمثلة لآيات خصصت بضمير الفصل :

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[القصص/١٦]**

وقوله تعالى : ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[القصص/٣٠]**

([١]) السيوطى . معترك الأقران (٣ / ٤٦٧) . وانظر : السيوطى . المطالع السعيدة . تحقيق : د. نبهان ياسين حسين . دار الرسالة للطباعة . بغداد . ١٩٧٧ م . (١ / ٢١٣ . ٢١٤) وانظر : السيوطى . الإتقان . ص (٢٨١ . ٢٨٢) .

obeikandl.com

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ **[القصص/٣٤] .**

غير أنى رأيت صاحب كتاب المجتبى من مشكل إعراب القرآن يعرب (هو أفصح) خبراً لـ « أخى » [١].

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ **[القصص/٥٨] .**

٣) تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى :

وله أحوال أربعة كما سبق :

أحدهما : **المسند إليه معرفة والمسند مثبت .**

وثانيهما : **المسند إليه معرفة والمسند منفى .**

وثالثها : **المسند إليه نكرة مثبتة .**

ورابعها : **أن يلى المسندُ إليه حرفَ النفى فيفيده** [٢].

أمثلة لآيات خصصت بتقديم المسند إليه على الخبر الفعل

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ **[القصص/٤]**

وقوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ **[القصص/٨]**

وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **[القصص/١٣]**

وقوله : ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ **[القصص/٢٠]**

وقوله : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ **[القصص/٢٥]**

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ **[القصص/٥٦]**

وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ **[القصص/٦٤]**

وقوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ **[القصص/٦٦]**

وقوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ **[٦٨]**

وقوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ **[القصص/٧٦]**

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ **[القصص/٧٦]**

---

(١) انظر : د. أحمد الخراط . المجتبى من مشكل إعراب القرآن . دار مجمع الملك فهد . المدينة المنورة . ١٤٢٦ هـ . ص (٣ /٨٩٢) .

(٢) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٣٦٨ . ٣٦٩) .

obeikandl.com

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ **[القصص/٧٧]**

وقوله : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ **[القصص/٧٨]**

وقوله : ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ **[القصص/٨٢]**

وقوله : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **[القصص/٨٣]**

وقولـــــــــه : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ **[القصص/٨٤]**

وقوله : ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **[القصص/٨٥]**

وقوله : ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ **[القصص/٨٦]**

٤) التخصيص بإنما

قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ **[القصص/٧٨]**

٥) التخصيص بأنما

قوله تعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ **[القصص/٥٠]**

٦) تقديم المعمول

ما قيل فى فوائد تقديم المعمول :

نقل السيوطى ـ رحمه الله ـ فى كتابه الإتقان أن العلاّمة شمس الدين بن الصائغ ذكر فى كتابه: « المقدمة فى سر الألفاظ المقدَّمة » ، عشر فوائد لتقديم المعمول ، وهى :

الأول : التبرك : **كتقديم اسم الله تعالى فى الأمور ذات الشأن، ومنه قوله تعالى :**

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ **[آل عمران/١٨]**

الثانى : التعظيم : **كقوله تعالى :** ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ **[النساء/٦٩]**

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ **[الأحزاب/٥٦]**

الثالث: التشريف : **كتقديم الذكر على الأنثى نحو :** ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ **[الأحزاب/٣٥]**

والحرّ على العبد فى قوله : ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ **[البقرة/١٧٨]**

والحى على الميت فى قوله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ **[الأنعام/٩٥] .. إلخ**

الرابع : المناسبة : **وهى : إمّا مناسبة المتقدّم لمناسبة الكلام .**

وإمّا مناسبة لفظ كالتقدم أو التأخر .

فمثال الأول : **قوله تعالى :** ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ **[النحل/٦]**

فإن الجَمَال بالجِمال وإن كان ثابتاً حالتى السراح والإراحة، إلا أنها حالة إراحتها، وهو مجيئها من المرعى آخر النهار يكون الجَمال بها أفخر إذ هى فيه بطان وحالة سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأول إذ هى فيه خماص .

وأما مثال مناسبة اللفظ

كقولـه : ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ **[الحديد/٣] وكقولـه :** ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ **[الحجر/٢٤]**

الخامس : الحث عليه والحض على القيام به

حذراً من التهاون بـه، كتقديم الوصية على الدَّيْن فى قولـه : ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ **[النساء /١١]، مع أن الدَّيْن مقدّم عليها شرعاً .**

السادس : السبق **وهو إما فى الزمان باعتبار الإيجاد بتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى ، وداود على سليمان، والملائكة على البشر فى قوله :** ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ **[الحج/٧٥] ..إلخ**

أو باعتبار الإنزال كقوله : ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ **[الأعلى/١٩]**

وقولـــــه : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ **[آل عمران/ ٤.٣]**

أو باعتبار الوجوب والتكليف : **نحو :** ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ **[الحج/٧٧]**

﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ **[المائدة/٦]**

ونحو : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ **[البقرة/١٥٨]، ولهذا قال** ﷺ **: « نبدأ بما بَدأ الله به»**

أو باعتبار الذات : نحو : ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾

السابع : السببية : **كتقديم العزيز على الحكيم ، لأنه عزّ فحكم وتقديم العليم على الحكيم، لأن الإحكام والإتقان ناشىء عن العلم .**

الثامن : الكثرة : **كقوله :** ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ **[التغابن/٢]**

التاسع : الترقى من الأدنى إلى الأعلى : **كقولـه تعالى :** ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ **[الأعراف/١٩٥]**

العاشر : التدلى من الأعلى إلى الأدنى ، **وخرّج عليه :** ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ **[البقرة:٢٥٥]** ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف/٤٩] [1].

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٣١٧ . ٣١٨) مختصراً .

أمثلة لآيات خصصت بتقديم المعمول

قوله تعالى : ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص/٦]
وفى التقديم دلالة على اختصاص فرعون وهامان وجنودهما بالحذر من بنى إسرائيل دون غيرهم ، لأنهم المؤمنون وقتئذٍ ، وفى ذكرهم بهذا التسلسل تدلى من الأعلى إلى الأدنى .
وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص/١٢] وفيه دلالة على اختصاصهم بالنصح له دون سواه
وقوله تعالى : ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص/٢٠]
وقوله : ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص/٢٣]
وقوله : ﴿إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص/٢٤]
وقوله : ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾ [القصص/٢٨]
وقوله : ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص/٢٨]
وقوله : ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص/٢٩]
وقوله : ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص/٢٩]
وقوله : ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص/٣٢]
وقوله : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص/٣٣]
وقوله : ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص/٣٤]
وقوله : ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص/٣٥]
وقوله : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص/٣٨]
وقوله : ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [القصص/٤٢]
وقوله : ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [القصص/٤٥]
وقوله : ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [القصص/٤٧]
وقوله : ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص/٤٨]
وقوله : ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص/٥٢]
وقوله : ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص/٥٣]
وقوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص/٥٤]

وقوله : ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [القصص/٥٥]

وقوله : ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص/٥٧]

وقوله : ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص/٦٣]

وقوله : ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ [القصص/٦٦]

وقوله : ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص/٦٨]

وقوله : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [القصص/٧٣]

وقوله : ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص/٧٥]

وقوله : ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص/٧٥]

وقولـــه : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص/٧٨]

وقولـــه : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص / ٨٥]

وقوله : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا﴾ [القصص / ٨٨]

وقوله : ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص / ٨٨]

٧) تقديم المسند :

نلاحظ أنه لا يكون إلا مع الخبر والمبتدأ ، أما الفاعل فلا يتقدم على فعله أبداً ، قال ابن الأثير وابن النفيس بأن تقدم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص ، ورده صاحب الفلك الدائر ، وقال هو ممنوع ، لم يقل به أحد ، لكن الظاهر أنهم جوزوا الاختصاص فيما إذا كان الأمر على الجواز لا الوجوب ، ومثلوا بقولهم : " تميمى أنا " ، وهو جائز التقدم .[1]

أمثلة تقديم المسند فى السورة

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص / ٧٠]

٨) تعريف الجزأين :

ذكر الإمام فخرالدين فى نهاية الإيجاز ، أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : " المنطلق زيد " ، ومنه فى القرآن فيما ذكر الزَّملكانى فى أسرار التنزيل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة /٢]

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٣٦٩) بتصرف .

obeikandl.com

قال : إنه يفيد الحصر ، كما فى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (فاتحة الكتاب / ٥] ، أى : الحمد لله لا لغيره .[١]

أمثلة لتعريف الجزأين فى السورة

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص / ١٦]

وقوله : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص / ٢٦]

وفى هذه الآية عُرِّفَ المبتدأ بإضافته للاسم الموصول

وقوله : ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ [القصص / ٥٣]

وقوله : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص / ٥٨]

وقوله : ﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ [القصص / ٧٥]

٩) التخصيص بالاستثناء :

وله شروط ثلاثة ، ذكر الشيخ ابن عثيمين **اثنين منها فى كتابه : (الأُصول من علم الأصول) ، وذكر الشرط الثالث** العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطى **فى كتابه : (مذكرة فى أصول الفقه) ، على النحو التالى :**

الشرط الأول : **اتصاله بالمستثنى حقيقة أو حكماً .**

فالمتصل حقيقةً : **المباشر للمستثنى منه بحيث لا يفصل بيهما فاصل .**

والمتصل حكمًا : **ما فصل بينه وبين المستثنى منه فاصل لا يمكن دفعه كالسعال والعطاس .**

فإن فصل بينهما فاصل يمكن دفعه ، أو سكوت ، لم يصح الاستثناء ، مثل أن يقول : " عبيدى أحرار " **ثم يسكت أو يتكلم بكلام آخر ، ثم يقول : " إلا سعيداً " فلا يصح الاستثناء ، ويعتق الجميع .**

وقيل يصح الاستثناء ، مع السكوت والفاصل إذا كان الكلام واحداً ، لحديث ابن عباس – رضى الله عنهما – ، أن النبى ﷺ قال يوم فتح مكة : " إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، لا يعضد شوكه ، ولا يختلى خلاه " فقال العباس : يا رسول الله ، إلا الإذخر ، فإنه لقينهم وبيوتهم ، فقال : " إلا الإذخر " وهذا القول أرجح لدلالة هذا الحديث عليه .[٢]

وخالف الشنقيطى **. رحمه الله . فى ترجيح هذا الشرط**

فقال . رحمه الله . :

---

(١) السابق – ص (٣٦٩) .

(٢) ابن عثيمين . الأصول من علم الأصول . (٢٧٧ : ٢٧٩) باختصار .

obeikandi.com

وحكى المؤلف : جواز تأخير الاستثناء عن ابن عباس ، وحُكِيَ عن طاووس والحسن **جوازه فى المجلس ، قال : وأومأ إليه أحمد . رحمه الله . فى الاستثناء فى اليمين ، والأَوْلَى ما ذكرناه .**

والتحقيق أن الاستثناء لابد أن يكون متصلا بالمستثنى منه ، ويدل له قوله تعالى فى قصة أيوب : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ ﴾ **[ص / ٤٤] ، إذ لو كان تدارك الاستثناء ممكنا لقال : إن شاء الله ، والظاهر فيما روى عن ابن عباس أن مراده به : الخروج من عهدة النهى فى قوله :** ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ **[الكهف / ٢٣].** (١)

قلت : **ولعل الأرجح القول بالجواز فى المجلس الواحد مع السكوت أو الفاصل إذا كان الكلام واحداً لقوة الدليل فى الحديث .**

الشرط الثانى : **ألا يكون المستثنى أكثر من نصف المستثنى منه ، فلو قال : له علىّ عشرة دراهم إلا ستة ، لم يصح الاستثناء ولزمته العشرة كلها ، أما إذا استثنى الكل ، فلا يصح على القولين ، فلو قال : " له على عشرة إلا عشرة " لزمته العشرة كلها** (٢)

قال الشنقيطى **. رحمه الله . : وأما اشتراط كون المستثنى أقل من النصف فقد استدل له بأن استثناء الأكثر ليس من لغة العرب .**

قال : وقال أبو إسحق الزجاج : لم يأتِ الاستثناء إلا فى القليل من الكثير .

وقال ابن جنى : لو قال قائل : " له علىَّ مائة إلا تسعة وتسعين " ، ما كان متكلماً بالعربية ، وكان كلامه عياً من الكلام ولُكْنَةً.

قلت : **وهذا القول عزاه غير واحد إلى مالك ، وهو قول الباقلانى والبصريين وعليه أكثر النحاة** (٣)

قال الشيخ ابن عثيمين **– رحمه الله – : وهذا الشرط فيما إذا كان الاستثناء من عدد ، أما إن كان من صفة فيصح ، وإن خرج الكل أو الأكثر ، مثاله : قوله تعالى لإبليس :** ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ **[الحجر / ٤٢] وأتباع إبليس من بنى آدم أكثر من النصف النجاة** (٤) **ووافقه** الشنقيطى **. رحمه الله .**

فقال : وقال أكثر الأصوليين : يجوز استثناء الأكثر ، واستدلوا بأن الله تعالى قال فى آية : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ **[ص / ٨٢ . ٨٣]**

---

(١) **الشنقيطى . مذكرة فى أصول الفقه . (٢١٥ . ٢١٦)**

(٢) **ابن عثيمين . الأصول من علم الأصول . (٢٨٢ . ٢٨٣) باختصار .**

(٣) **انظر : الشنقيطى . مذكرة فى أصول الفقه . (٢١٧)**

(٤) **ابن عثيمين . الأصول من علم الأصول . (٢٨٤)**

وقال فى أخرى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ **[الحجر / ٤٢]**
فلابد أن يكون الغاوون أكثر من المخلصين أو العكس ، وعلى كلٍّ فقد استثنى الله الأكثر .
قلت : **وهذا الدليل فى المسألة أقوى .** [١]

الشرط الثالث: **أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، قال** الشنقيطي – رحمه الله – : **وأما اشتراط كون المستثنى من جنس المستثنى منه فاستدل له : بأن الاستثناء أخرج بعض ما دخل فى المستثنى منه ، وغير جنسه لم يدخل حتى يخرج .**
وأكثر الأصوليين **على جواز الاستثناء المنقطع ، واستدلوا له : بكثرة وروده فى القرآن ، وفى كلام العرب ، كقوله تعالى** ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ ﴾ **[مريم / ٦٢] ، وقوله :** ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ **[الواقعة / ٢٥ . ٢٦] ، وقوله :** ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ **[الليل / ١٩ . ٢٠] ، وقوله :** ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ ﴾ **[النساء / ٢٩] .**

وقال النابغة الذبياني :

وقفت فها أصيلاناً لا أسائلها		عيت جواباً وما بالربع من أحدِ
إلا الأوراى لأيًّا ما أبينها		والنؤى كالحوض بالمظلومة

وقال الراجز :

وبلدةٍ ليس بها أنيسٌ		إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ[٢]

أمثلة للتخصيص بالاستثناء فى السورة :

قوله تعالى : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ **[القصص/١٩]**
قوله تعالى : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ **[القصص/٣٦]**
قوله تعالى : ﴿ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ﴾ **[القصص/ ٥٨]**
قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ **[القصص/٥٩]**
قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ **[القصص/٧٠]**
قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ **[القصص/٨٠]**
قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ **[القصص/٨٤]**

---

(١) **انظر : الشنقيطى . مذكرة فى أصول الفقه . (٢١٧)**
(٢) **المصدر نفسه . (٢١٦)**

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ **[القصص/٨٦]**

قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ **[القصص/٨٨]**

١٠) التخصيص بالشرط :

والشرط مخصص سواء تقدم أم تأخر

مثال المتقدم : **قوله تعالى فى المشركين :** ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ **[التوبة/٥]**

مثال المتأخر : **قوله :** ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ **[النور/٣٣]** (١)

أمثلة للتخصيص بالشرط فى السورة :

قوله تعالى : ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ **[القصص/٢٧]**

قولـــــه تعـــالى : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [القصص/٤٩]

(١١) التخصيص بالوصف

(نعت – حال – بدل بعض من كل)

أمثلة للتخصيص بالوصف فى السورة :

﴿ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ **[القصص/٢] . نعت**

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ **[القصص/٣] . حال**

الآية : (١١) ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ **حال**

١٢) ﴿ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ **نعت** ﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ **حال [القصص/١٢]**

١٥) ﴿ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ **حال**

١٥) ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ **نعت**

١٦) ﴿ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ **نعت**

١٨) ﴿ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ **نعت**

---

(١) **الشنقيطى – المصدر السابق . ص (٢١٦)**

obeikandl.com

٢١) ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ **حال**

٢١) ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **نعت**

٢٣) ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ **حال**

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ **نعت**

٢٥) ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ **حال**

٢٦) ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ **نعت**

٣٠) ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ **نعت**

٣٠) ﴿ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ **نعت**

٣٢) ﴿قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ **نعت**

٣٦) ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ **نعت**

٤١) ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ **نعت**

٤٣) ﴿ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ **نعت**

٤٣) ﴿بَصَآئِرَ﴾ **حال من الكتاب**

٤٥) ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ **حال**

٥٧) ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ **نعت**

٥٧) ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ **نعت ثانٍ لحرم** [1]

٥٨) ﴿قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ **نعت**

٥٨) ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ **حال**

الآية : (٥٩) ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ **نعت** ﴿رَسُولًا﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ **نعت**

٦١) ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ **نعت**

٦١) ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ **نعت**

وينبغى ملاحظة تكرار الحياة الدنيا فى الآية (٥٩) ، (٦١) ، (٧٩)

قال السيوطى فى معترك الأقران (٤٤٦/٣) فى معرض كلامه عن تكرار اسم الفاعل فى سورة (الكافرون) ، ونزلت السورة فى معنى البراءة من آلهتهم ، ولذلك قال - ﷺ - : « من قرأها

---

(١) انظر : د. الخراط . المجتبى . سورة القصص (٣ / ٨٩٩) .

obeikandi.com

فقد برئ من الشرك »، وفى هذا المعنى الذى عرضت عليه قريش نزل قوله : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ ، ولرسول الله ﷺ نزلت السورة بسببها .

فإن قلت : لِمَ كُرِّرَ قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ ؟

فالجواب

فى تكرار هذه الآيات أقوال جمة، ومعانٍ كثيرة، وتلخيصها أن الله تعالى نفى عن نبيه عبادة الأصنام فى الماضى والحال والمستقبل، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله فى الأزمنة الثلاثة أيضاً، فاقتضى القياس تكرار هذه اللفظة ست مرات، فذكر لفظ الحال، لأن الحال هو الزمان الموجود، واسم الفاعل واقع موقع الحال، وهو صالح للأزمنة الثلاثة، واقتصر فى الماضى على المسند إليه ، فقال: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ وكان اسم الفاعل بمعنى الماضى فعمل على مذهب الكوفيين .

واقتصر من المستقبل على المسند إليه : ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ ، وكان اسم الفاعلين بمعنى المستقبل[1] .

٧٥) ﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ نعت

٧٦) ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ نعت للعصبة

٧٧) ﴿ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ ﴾ نعت ويلاحظ تكرارها فى الآية (٨٣)

٧٨) ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِى ﴾ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ متعلق بحال من نائب الفاعل، والظرف ﴿عِندِى ﴾ متعلق بنعت لـ ﴿عِلْمٍ ﴾ [2]

٧٩) ﴿فِى زِينَتِهِۦ ﴾ حال من الفاعل فى (خرج)

٨١) ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ ﴾ نعت

وقوله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ حال من الفاعل فى ﴿يَنصُرُونَهُۥ ﴾ [3]

٨٥) ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ نعت .

١٢) التخصيص بالغاية :

---

(١) السيوطى . معترك الأقران (٣/٤٦٦)

(٢) انظر : العكبرى . التبيان فى إعراب القرآن . تحقيق : على محمد البجاوى . دار عيسى البابى الحلبى . مصر . د. ت . سورة القصص (٢ / ١٠٢٦) . وانظر : د .الخراط . المجتبى . سورة القصص(٣ /٩٠٥) .

(٣) انظر : د. الخراط . المجتبى . (٣ / ٩٠٦) .

والتخصيصات بالغاية ذكرها السيوطى- رحمه الله - ومثَّلَ لها بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ إلى قوله : ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ ﴾ [التوبة/٢٩]

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾ [البقرة/٢٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ ﴾ [البقرة/١٩٦] ، وقوله تعالى : ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ ﴾ [البقرة/١٨٧] [1]

أمثلة التخصيص بالغاية فى السورة

بالبحث فى السورة لم أجد أمثلة جاءت بالحرف الأصلى للغاية « حتى »، بيد أننى وجدت آيتين ورد تخصيصها بالغاية ، وحرف التخصيص فيهما « إلى » .

وهذا الحرف قال فيه السيوطى – رحمه الله – :

حرف جر له معانٍ : أشهرها انتهاء الغاية زماناً ، نحو : ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ [البقرة/١٨٧]

أو مكاناً نحو : ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ [الإسراء/١]

أو غيرهما نحو : ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ ﴾ [النمل/٣٣]، أى مُنْتَهٍ إليكِ، ولم يذكر لها الأكثرون غير هذا المعنى، وزاد ابن مالك وغيره تبعاً للكوفيين معانٍ أُخَر [2].

والآيتان هما :

قوله تعالى : ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص/٧١]

وقوله : ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص/٧٢]

ثانياً : دلالات الإطلاق والتقييد

المطلق لغةً : **ضد المقيد**

واصطلاحاً : **ما دلّ على الحقيقة بلا قيد، كقوله تعالى : ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة/٣]**

فخرج بقولنا : **ما دلّ على الحقيقة العام ؛ لأنه يدل على العموم لا على مطلق الحقيقة فقط.**

---

(1) **السيوطى . الإتقان . ص (٣٢١) .**

(2) **نفسه . ص (٢٢٣) .**

وخرج بقولنا : « بلا قيد » المقيد .

والمقيد لغةً : **ما جعل فيه قيد من بعير ونحوه .**

واصطلاحاً : **ما دل على الحقيقة بقيد ، كقوله تعالى :** ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ **[النساء/٩٢]** (١)

وعبّر السيوطى – رحمه الله – عن الحقيقة بالماهية فقال : المطلق الدال على الماهية بلا قيد، وهو مع المقيد كالعام مع الخاص (٢).

الفرق بين العام والمطلق

١) العام : هو اللفظ الشامل لجميع أفراده بلا حصر، أما المطلق : فإنه لا يعم جميع أفراده، وإنما يخص فرداً منها، لكنه غير معين، ولهذا يقال: العام شموله عمومى ، أو إن شئت قلت : عمومه شمولى ، والمطلق عمومه بدلى ، فهذا هو الفرق، وهناك فرق آخر :

٢) العام : يدخله التخصيص . يعنى الاستثناء . والمطلق: لا يدخله الاستثناء .

مثال ذلك : إذا قلت لك : « أكرم الطالب » ، فقولى : « الطالب » عام ، يشمل جميع الطلبة ؛ لأن « أكرم الطالب » أى : أكرمْ كل طالب ، فـ « أل » هنا للعموم ، وإن شئت فقل : موصولة.

ولو قلت : « أكرم طالباً » ، فهذا مطلق ، لأنه لو كان عندنا الآن عشرة طلاب ، وقلت : « أكرم طالباً » ، فلا يلزم أن أعطى كل واحد من العشرة ، فالمطلق لا يصح الاستثناء منه لأنه لا يعم إلا واحداً (٣).

٣) أجاز الشيخ ابن عثيمين فى موضع آخر أن يستثنى من المطلق، غير أنه يشترط أن يكون منقطعاً لا متصلاً (٤).

أمثلة لبعض المطلقات فى السورة

من مظان المطلق النكرات فى سياق الإثبات، وقد جمعت شيئاً من ذلك فى السورة وهاك بيانها:

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص / ٥]

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[القصص / ١٤]

---

(١) انظر : ابن عثيمين . الأصول من علم الأصول . (٣٢٠ : ٣٢٢) باختصار .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (٣٤٠) .

(٣) انظر : ابن عثيمين . الأصول من علم الأصول . (٣٢٠ . ٣٢١) .

(٤) السابق . هامش ص (٢٥١) .

﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القصص / ٢٤]

﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾[القصص / ٢٩]

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[القصص / ٤١]

﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾[القصص / ٤٢]

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾[القصص / ٥٩]

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾[القصص / ٧٥]

المبحث الخامس : دلالات العموم

أ) **تعريفه :**

العام : لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر

ب) صيغه :

١) « كل » مبتدأةً ، نحو ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن/٢٦]

أو تابعةً ، نحو : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحجر/٣٠]

وكذلك باقى صيغ العموم بمادته مثل : جميع . كافة . قاطبة . وعامة .

٢) الذى والتى وتثنيتهما وجمعهما :

obeikandl.com

نحو : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ [الأحقاف/١٧]، فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول ، بدليل قوله بعدُ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ [الأحقاف/١٨]

ونحو قوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس/٢٦]

ونحو قوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ [النساء/١٦]

ونحو قوله : ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ ﴾ [النساء/١٥] الآية

ونحو قوله : ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ ﴾ [الطلاق/٤] الآية .

٣) (أى . وما . ومَنْ) شرطاً واستفهاماً وموصولاً ، وكذا باقى أسماء الشرط والاستفهام والموصولة .

نحو : ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء/١١٠]

وقوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء/٩٨]

وقوله : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء/١٢٣]

٤) الجمع المضاف ، نحو : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [النساء/١١]

٥) اسم الجنس المضاف ، نحو : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور/٦٣] أى : كل أمر الله.

٦) المعرَّف بأل ، نحو : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ [المؤمنون/١]

وقوله : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾ [البقرة/٢٧٥]

٧) النكرة فى سياق النفى والنهى وفى سياق الشرط والاستفهام الإنكارى

نحو : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء/٢٣] ، نحو : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ [الحجر/٢١]

ونحو : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة/٢]

ونحو : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة/٦]

ونحو : ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ﴾ [الأنعام/٤٦]

وقوله تعالى : ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾ [القصص/٧١] [1]

---

(1) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٣١٩) . وانظر : ابن عثمين . الأصول من علم الأصول . ص (٢٤٥ : ٢٥٩) باختصار .

ج) أقسام العام الثلاثة

العام على ثلاثة أقسام : **الأول : الباقى على عمومه :**

قال القاضى جلال الدين البلقينى : ومثاله عزيز ، إذ ما من عامٍّ إلا ويتخيل فيه التخصيص، فقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ **[الحج/١] قد يخص منه غير المتكلّف، و** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ **[المائدة/٣] خصّ منها حالة الاضطرار، وميتة السمك والجراد، وحرّم الربا وخص منه العرايا.**

وذكر الزركشى فى البرهان : أنه كثير فى القرآن ، وأورد منه : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ **[المائدة/٩٧]**

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ **[يونس/٤٤]**

وقوله : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ **[الكهف/٤٩]**

وقوله : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ **[فاطر/١١]**

وقوله : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ **[غافر/٦٤]**

قلت . أى السيوطى . : هذه الآيات كلها فى غير الأحكام الفرعية، فالظاهر أن مراد البلقينى أنه عزيز فى الأحكام الفرعية، وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها ، وهى قوله :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ **[النساء/٢٣] الآية فلا خصوص فيها .**

الثانى : العام المراد به الخصوص .

والثالث : العام المخصوص .

والفرق بينهما

١) أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهة تناول اللفظ ، ولا من جهة الحكم، بل هو ذو أفراد استعمل فى فرد منها.

أمّا الثانى فأريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها ، لا من جهة الحكم.

٢) ومنها : أن قرينة الأول عقلية والثانى لفظية .

٣) ومنها : أن الأول قرينته لا تنفك عنه ، وقرينة الثانى قد تنفك عنه .

٤) ومنها : أن الأول يصحّ أن يراد به واحداً اتفاقاً ، وفى الثانى خلاف [١].

د) أمثلة للأقسام الثلاثة

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٣١٩ . ٣٢٠) باختصار .

obeikandl.com

أولا : الباقى على عمومه : **نحو قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ [النساء/٢٣]**

ثانيا : العام المراد به الخصوص : **نحو قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران/١٧٣]، والقائل واحد نعيم بن مسعود الأشجعى، أو أعرابىّ من خزاعة، كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبى رافع ، لقيامه مقام كثير فى تثبيط المؤمنين عن ملاقاة أبى سفيان .**

قال الفارسى : ومما يقول أن المراد به واحد قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [آل عمران/١٧٥]، فوقعت الإشارة بقوله : ﴿ذَٰلِكُمُ ﴾ إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى جمعاً لقال : إنما أولئكم الشيطان ، فهذه دلالة ظاهرة فى اللفظ.

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [النساء/٥٤]، أى رسول الله ﷺ لجمعه ما فى الناس من الخصال الحميدة .

ومنها قوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة/١٩٩] أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس فى قوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ قال : إبراهيم – عليه السلام –

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران/٣٩] أى: جبريل – عليه السلام – كما فى قراءة ابن مسعود .

ثالثا : العام المخصوص :

فأمثلته كثيرة ومنها قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ **[الشعراء/٢٢٤: ٢٢٧] الآية** (١).

هـ) أمثلة لبعض الألفاظ العامة بالسورة

الآية (٢) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ سبب العموم الإضافة

(٣) ﴿نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ ﴾ السبب : الإضافة ، وقوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا ﴾ السبب: الإضافة أيضاً.

(٥) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾

السبب : الاسم الموصول ، وقد يشكل علينا أن هذا من العموم المراد به الخصوص، لأن المقصود مستضعفو بنى إسرائيل فى السورة، ولكن يرد ذلك :

---

(١) **السابق . بتصرف واختصار ص (٣١٩ . ٣٢٠) .**

أولا : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ثانياً : أن الواقع يشهد بأن عادة الله مع عباده المستضعفين ، الذين يُؤْذَون فيه ، أنه يمكنهم فى الأرض ، ويهلك عدوهم .

(٩) ﴿ قُرَّةُ أَعْيُنٍ ﴾ العموم للإضافة

(١٣) ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ العموم للإضافة

(١٤) ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ العموم لاستخدام « أل » التى للاستغراق

(١٥) ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ هذا من العام الذى أريد به الخصوص، وذلك للدلالة العقلية [(١)]، إذ إنه يستحيل كونه عاماً، وأيضاً لدلالة السياق، إذن إن السياق من المقيدات، وذلك شبيه بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء/٩١] والمراد مريم – عليها السلام – .

(١٧) ﴿ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ العموم لاستخدام (أل) الاستغراقية

(١٨) ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾

يقال فيها ما قيل فى الآية السابقة رقم (١٥)

(٢٣) ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ العموم لاستخدام اسم الاستفهام .

(٣٧) ﴿ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ العموم للإضافة

(٤٠) ﴿ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ استخدام اسم الاستفهام

(٤٨) ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ﴾ استخدام (ما) الموصولة

(٥٠) ﴿ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ الإضافة

(٥٢) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الاسم الموصول

(٥٧) ﴿ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ استخدام لفظ العموم (كل)

(٥٧) ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الإضافة

(٦٠) ﴿ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ الإضافة

(٦٣) ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ استخدام الاسم الموصول

(٦٥) ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ استخدام اسم الاستفهام

(٦٧) ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ استخدام الاسم الموصول

---

(١) نفسه . ص (٣٢٠)

obeikandi.com

(٦٨) ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ **استخدام الاسم الموصول**

(٦٨) ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **استخدام الاسم الموصول**

(٦٩) ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ **استخدام الاسم الموصول**

(٧١) ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾

(٧٢) ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾

العموم فى هاتين الآيتين عموم يراد به الخصوص ، لأنه لا يملك ذلك إلا الله وحده لا شريك له، وهذا شبيه بقوله تعالى : ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ **[الملك/٣٠]** [1]

(٧٣) ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ **العموم للإضافة**

(٧٤) ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ **العموم من إضافة الجمع ، ونعته بالموصول .**

(٧٥) ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ **استخدام لفظ (كل) وهو من العمومات**

(٧٥) ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ **للإضافة**

(٧٧) ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ **العموم للإضافة** (٧٨) ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ **للإضافة**

(٧٩) ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ **للإضافة**

(٧٩) ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ **هذا العموم قد يراد به الخصوص ، لأنه قد يقع من رجل من طلاب الدنيا .**

(٨٠) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ **وهذا أيضا مثل الآية السابقة ، لأنه قد يقع من رجل من أهل العلم .**

(٨١) ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ **، أى: بدياره ، والعموم للإضافة**

(٨٢) ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

والعمومات على التوالى (أل) الاستغراقية فى (الرزق) ، ثم استخدام الاسم الموصول (مَنْ) ، ثم الإضافة فى (عباده) ، ثم (أل) الاستغراقية فى (الكافرون) .

(٨٣) ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ **العموم فى (الذين) ، و (علواً) و (فساداً) لأنهما نكرتان فى سياق النفى ، و (أل) فى (المتقين)**

---

(١) **انظر : ابن عثيمين . الأصول من علم الأصول . ص (٢٤٨) .**

(٨٤) ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ **العموم على التوالى الاسم الموصول (مَنْ) مرتين ، ثم الاسم الموصول (الذين) ، ثم الموصول (ما)**

(٨٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ﴾ **استخدام الاسم الموصول (الذى) .**

(٨٥) ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **العموم فى الاسم الموصول (من) ثم (أل) الاستغراقية على اعتبار أن المعنى طرائق الهدى، أو أنها (أل) العهدية ، والمعنى عندئذٍ الهدى المعهود الذى جاء به الرسول ﷺ.**

ثم يأتى العموم الأخير فى الآية فى الاسم الموصول (مَن)

(٨٦) ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ **(أل) الاستغراقية**

(٨٧) ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ **(أل) الاستغراقية**

(٨٨) ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ **العموم لأن النكرة جاءت فى سياق النهى**

(٨٨) ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ **النكرة جاءت فى سياق (لا) النافية للجنس ، ولذلك جاء الاستثناء لإفراده عز وجل بالتوحيد ، دون سواه من الألهة الباطلة .**

(٨٨) ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ﴾ **استخدام لفظ من ألفاظ العمومات (كل)**

(٨٨) ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ **(أل) الاستغراقية .**

obeikandl.com

المبحث السادس: دلالات الإيجاز والإطناب

أ) تعريفه :

الإيجاز مصطلح يدرس ضمن مباحث علم المعانى الذى هو أحد علوم البلاغة الثلاثة

عرفه الرمانى بأنه : تهذيب الكلام بما يحسن به البيان ، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن ، الإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ . [١]

وقال أبو هلال العسكرى : الإشارة أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معانٍ كثيرة، بإيماء إليها ولمحة تدل عليها؛ وذلك كقوله تعالى: " إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى " ، وقول الناس: لو رأيت علياً بين الصفين؛ فيه حذف وإشارة إلى معانٍ كثيرة. (٢) .

ونقل عن أكثم بن صيفى خطيب العرب : « البلاغة الإيجاز » [٣]

ب) أقسامه :

ويقسمه البلاغيون قسمين : قصر وحذف [٤].

ج) : الإيجاز ودواعيه :

قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى :

هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن [٥].

قال الثعالبى: **من سنن العرب الإضمار إيثاراً للتخفيف ، وثقةً بفهم المخاطب** [١].

---

(١) الرمانى . ثلاث رسائل فى الإعجاز . تحقيق: محمد خلف الله و د. محمد زغلول . دار المعارف مصر . ط ٣ : ١٩٧٦ م . ص (٨٠) . وانظر : د. مختار عطية . الإيجاز . ص (١٧)

(٢) أبو هلال العسكرى . الصناعتين . تحقيق:على البجاوى ، ومحمد أبو الفضل . المكتبة العصرية . بيروت . ١٤١٩ هـ . ص (١ / ٣٤٨) . وانظر : د. مختار عطية . نفس المصدر . ص(١٧).

(٣) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص(١٦٦)

(٤) د. مختار عطية . الإيجاز فى كلام العرب ونص الإعجاز . ص (١٧) .

(٥) عبد القاهر الجرجانى . دلائل الإعجاز . ص (١٠٤) .

obeikandl.com

وقال السيوطي في فوائد إيجاز القصر : وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة [٢].

وعن فوائد إيجاز الحذف : يذكر السيوطي تسع فوائد ، نذكرها بشيء من الاختصار :

١) منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .

٢) ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر على الإتيان بالمحذوف، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء ، وقد اجتمعتا في قوله : ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس/١٣]

٣) ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، قال حازم في منهاج البلغاء: إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طوال وسآمة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال في ذكرها ، قال : ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يُراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله في وصف أهل الجنة : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر/٧٣]

فحذفَ الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجُعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفس تُقدِّر ما شاءته، ولا تبلغ في ذلك كنه ما هنالك، وكذا قوله : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام/٢٧] ، أي : لرأيت أمراً فظيعاً ؛ لا تكاد تحيط به العبارة .

٤) ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام ؛ نحو : ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾ [يوسف/٢٩] ، ونون (لم يك) ، والجمع السالم . أي نونه . ومنه قراءة : ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج/٣٥] ، و(ياء) ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر/٤] ، سأل المؤرِّخ السَّدوسي الأخفش عن هذه الآية ، فقال : عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه ، نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسري ، وإنما يُسْرَى فيه نقص منه حرف، كما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم/٢٨] ، الأصل : (بغية) فلما حُوِّل عن فاعل نقص منه حرف .

٥) ومنها شهرته ، حتى يكون ذكره وعدمه سواء، قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال، التي لسانها أنطق من لسان المقال .

٦) ومنها صيانته عن ذكره تشريفاً، كقوله تعالى : ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ

---

(١) الثعالبي . فقه اللغة . ص (٢٣٥) .

(٢) السيوطي . الإتقان . ص (٣٧٣) .

تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء/٢٣: ٢٨] ، حذف فيها المبتدأ فى ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرب، أى : « هو رب » ، « الله ربكم » ، « الله رب المشرق » ، لأن موسى عليه السلام . استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال ، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً .

(قلت) لكن ما سبق من تمثيل لعل فيه نظر ، والسيوطى نفسه نقل فى موضع آخر من كتابه أن « ما » الاستفهامية بمعنى : أَىُّ شىء ، ويسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم [١] ولم يذكر أعيان العقلاء، ففهم من هذا أن فرعون . قبحه الله . نزَّل العالم من كل وجه منزلة ما لا يعلم ولا يعقل، لذلك فالصحيح أن الحذف للفظ الجلالة (الله) جاء رفعةً وتشريفاً له عما قصده فرعون اللئيم من معنى وضيع .

٧) ومنها صيانة اللسان تحقيراً له ، نحو : ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ ﴾ [البقرة/١٨] أى : هم أو المنافقون

٨) ومنها قصد العموم ، نحو ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/٥] أى على العبادة وعلى أمورنا كلها.

٩) ومنها رعاية الفاصلة نحو : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى/٣] [٢]

(قلت) وفى هذا نظر ، فدعوى رعاية الفاصلة لا نسلم به ، لأننا نصف الشاعر بأنه شاعر مُفْلِقٌ، إذا كان صدر بيته ينادى عجزه، ولم تكن القافية مقحمة مستوحشة ، ولو كانت القوافى لمجرد مراعاة الجرس الموسيقى، عُدَّ ذلك من عيوب الشعر، هذا مع النص البشرى، فالأولى طرحه مع النص المعجز ، ويمكن أن يقال : إن حذف الضمير هنا غرضه الترفع عن إضافة القلى إلى ضمير النبي محمد ﷺ .

يقول الهاشمى :

اعلم أن هذا القسم من البلاغة هو مطمح نظر البلغاء ، وبه تتفاوت أقدارهم، واعلم أن دواعى الإيجاز كثيرة، منها :

الاختصار ، وتسهيل الحفظ، وتقريب الفهم ، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضَّجَر والسآمة ، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير ... إلخ [٣].

---

(١) السيوطى – السابق . ص (٢٦١ . ٢٦٢) .

(٢) السيوطى – المصدر نفسه . ص (٣٧٧ . ٣٧٨) .

(٣) الهاشمى – جواهر البلاغة . ص (١٦٧) .

د) الفرق بين إيجاز الحذف وإيجازالقصر

قال السيوطى . رحمه الله . : فالأول : هو الوجيز بلفظه ، **قال الشيخ بهاء الدين** : الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاماً يعطى معنىً أطول منه ، فهو إيجاز قصر .

وقال بعضهم : إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ .

وقال آخر : هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة .[1]

ولإيضاح مزيد من المفارقة بينهما نورد قول القزوينى فى التعريف والتمثيل لإيجاز القصر : وهو ضربان – أى الإيجاز –: أحدهما إيجاز القصر وهو ما ليس بحذف، كقوله تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} ، فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِل كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يقدم على القتال، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم، وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم: **(القتل أنفى للقتل)** من وجوه:

أحدها: أن عدة حروف ما يناظره منه وهو في القصاص حياة عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر.

وثانيها: ما فيه التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص.

وثالثها: ما يفيده تنكير حياة من التعظيم أو النوعية كما سبق .

ورابعها: إضراره بخلاف قولهم، فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره . وكذا قوله تعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاع } أي لا شفاعة ولا طاعة على أسلوب قوله:

على لاحب لا يهتدي بمناره " ... إذا ساقه العود النباطي جرجرا"

أي: لا منار ولا اهتداء.

وقوله:

لا يفزع الأرنب أهوالها ... ولا ترى الضب به ينجحر

أي: لا ضب ولا انجحار. (٢)

هـ) الفرق بين الإيجاز والاختصار

---

(١) **السيوطى – السابق . ص : (٣٧٣) .**

(٢) **القزوينى – الإيضاح فى علوم البلاغة – (٣ / ١٨٢– ١٨٣) .**

obeikandi.com

نقل السيوطى عن بعضهم قوله:

١) الإيجاز والاختصار بمعنى واحد ، كما يؤخذ من المفتاح وصرح به الخطيبى.

٢) وقال بعضهم : الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز، لكن قال الشيخ بهاء الدين ، وليس بشىء [١]

ولعل الأمر يسير ، الأمر لا يعدو كونه اصطلاحاً عند بعض العلماء دون الآخر ، ولا مشاحة فى اصطلاحه لنفسه ، وأما المعنى اللغوى فقد يتسع لهما .

و) القول فى إثبات (المساواة) كواسطة بين الإيجاز والإطناب :

اختلف أهل العلم هل بين الإيجاز والإطناب واسطة- وهى المساواة - أم لا ؟ وهل تدخل فى قسم الإيجاز؟

الأول : **فالسكاكى وجماعة على الأول ، لكنهم جعلوا** المساواة **غير محمودة ولا مذمومة، لأنهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا فى رتبة البلاغة ، وفسروا** الإيجاز **بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف،** والإطناب **أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقاً بالبسط .**

الثانى : ابن الأثير وجماعة **على الثانى ، فقالوا : الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد ، والإطناب بلفظ أزيد .**

الثالث : **وهو قول وسط لإثباته المساواة وجعلها مقبولة وهو قول** القزوينى **، فقال:**

« الأقرب أن يقال: إن المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله، أما بلفظ مساوٍ للأصل المراد، أو ناقص عنه وافٍ، أو زائد عليه لفائدة، والأول : المساواة، والثانى: الإيجاز ، والثالث: الإطناب، واحترِز بـ « وافٍ » عن الإخلال وبقولنا بـ « الفائدة » عن الحشو والتطويل، فعنده ثبوت المساواة واسطة وأنها من قسم المقبول [٢].

مسألة : هل التدرج فى الحذف معتبر ؟

١) اعتبر الأخفش فى الحذف التدريج حيث أمكن، ولهذا قال فى قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ [البقرة/٤٨] : إن الأصل « لا تجزى فيه » ، فحذف حرف الجرِّ، فصار « تجزيه » ، ثم حذف الضمير ، فصار « تجزى » ، وهذه ملاطفة فى الصناعة ، قال ابن جنى : وقول الأخفش أوفق فى النفس ، وآنس من أن يُحْذَف الحرفان معاً فى وقت واحد.

٢) مذهب سيبويه أنهما حُذفا معاً [٣].

---

(١) السيوطى – الإتقان . ص : (٣٧٣) .

(٢) نفسه . ص (٣٧٢) – وانظر : السيوطى – معترك الأقران – (٢٢٢/١) .

(٣) السيوطى – الإتقان . ص (٣٨١ –٣٨٢) .

قواعد مهمة فى الحذف :

أولا : **ينبغى تقليل المقدّر مهما أمكن ، لتقلّ مخالفة الأصل ، ومن ثَمَّ ضُعِّفَ قول الفارسى فى : ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ [الطلاق/٤] :**

إن التقدير : ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ والأَوْلَى أن يقدّر « كذلك »

قال الشيخ عز الدين : **ولا يقدّر من المحذوفات إلا أشدُّها موافقةً للغرض، وأفصحُها، لأن العرب لا يقدرون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسنَ وأنسبَ لذلك الكلام، كما يفعلون فى ذلك فى الملفوظ به ، نحو : ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة/٩٧] ، قدّر أبو على : « جعل الله نُصُب الكعبة ، وقدّر غيره : « حُرْمة الكعبة » وهو أَوْلَى ، لأن تقدير الحرمة فى الهدْى والقلائد والشهر الحرام لاشك فى فصاحته وتقدير النُّصُب فيها بعيد عن الفصاحة، ومهما تردّد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن ، لأن الله وصف كتابه بأنه أحسنُ الحديث، فليكن محذوفه أحسنَ المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات، قال : ومتى تردّد بين أن يكون مجملاً أو مبيناً ، فتقرير المبيّن أحسن ، نحو :**

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ [الأنبياء/٧٨] ، لك أن تقدّر « فى أمر الحرث » و« فى تضمين الحرث » ، وهو أولى لتعيّنه ، و « الأمر » مجمَل لتردّده بين أنواع .

ثانيا : **إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقى فاعلاً ، وكونه مبتدأً والباقى خبراً، فالثانى أَوْلَى ، لأن المبتدأ عين الخبر، وحينئذٍ فالمحذوف عين الثابت ، فيكون حذفاً كَلاَ حذف، فأمّا الفعل فإنه غير الفاعل ، اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى فى ذلك الموضع أو بموضع آخر يشبهه، فالأول كقراءة ﴿يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ [النور/٣٦] بفتح « الباء »**

، ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [الشورى/٣] بفتح « الحاء » فإن التقدير: « يسبِّحُه رجال » ، « يوحيه الله » ، ولا يقدران مبتدأيْن حذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين فى رواية من بَنَى الفعل للفاعل .

ثالثا : **إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً ، أو ثانياً ، فكونه ثانياً أَوْلَى ، ومن ثَمَّ رجح أن المحذوف فى نحو : ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام/٨٠] نون الوقاية لا نون الرفع وفى ﴿نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل/١٤] التاء الثانية لا تاء المضارعة وفى : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة/٦٢] أن المحذوف خبر الثانى لا الأوّل ، وفى نحو : ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ﴾ [البقرة/١٩٧]**

أن المحذوف مضاف للثانى ، أيّ حجّ أشهر ، لا الأوّل أى : أشهر الحج ، وقد يجب كونه من الأول ، نحو : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب/٥٦] فى قراءة مَنْ رفع « ملائكته » لاختصاص الخبر بالثانى لوروده بصيغة الجمع .

وقد يجب كونه من الثانى ، نحو : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة/٣] ، أى: برئ أيضاً ، لتقدم الخبر على الثانى [١].

ز) أنواع الحذف :

أولا : ما يسمى بالاقتطاع : وهو حذف بعض حروف الكلمة ، وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع فى القرآن ، ورُدّ بأن بعضهم جعل منه فواتح السور ، على القول بأن كلَّ حرف منها اسم من أسمائه تعالى كما تقدم .

وادّعى بعضهم أن الباء فى ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة / ٦] أُوِّلَ بكلمة « بعض » ، ثم حذف الباقى .

ومنه قراءة بعضهم : ﴿وَنَادَوۡاْ يَا مَالِ﴾ [الزخرف/٧٧] بالترخيم، ولمّا سمعها بعض السلف ، قال : ما أغنى أهل النار عن الترخيم !! وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة .

(قلت) : ولكن هذه قراءة شاذة كما ذكر ذلك الثعالبى فى فقه اللغة [٢].

ويدخل فى هذا النوع حذف همزة « أنا» فى قوله : ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف/٣٨] ، إذ إن الأصل (لكن أنا) حذفت الهمزة تخفيفاً ، وأدغمت النون فى النون .

ثانياً: الاكتفاء ، وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة ، ويختص غالباً بالارتباط العطفى، كقوله : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾[النحل/٨١] ، أى : والبرد وخصص الحر بالذكر ، لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم، لأنه أشد عندهم من البرد، وقيل: لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً فى قوله : ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ﴾ [النحل/٨٠]

ثالثا : الاحتباك ، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها ، والاحتباك من الحبك ، وهو الشدُّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ، فحبك الثوب : سَدُّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشَدُّه وإحكامه ، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق.

وتعريفه : أن يحذف من الأوّل ما أثبت نظيره فى الثانى ، ومن الثانى ما أثبت نظيره فى الأول ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة/١٧١] ، والتقدير : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذى ينعق والذى يُنعَق به

---

(١) السابق . (٣٨١ . ٣٨٢) .

(٢) الثعالبى . فقه اللغة . ص (٢٣٤) .

، فحذف من الأول الأنبياء للدلالة ﴿ٱلَّذِى يَنۡعِقُ﴾ عليه ، ومن الثانى الذى (يُنْعَق به) لدلالة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عليه .

رابعاً : الاختزال ، وهو ما ليس واحداً مما سبق ، وهو أقسام ، لأن المحذوف إما كلمة : اسم ، أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر ، أو حذف أكثر من كلمة [1].

ح) شروط الحذف

ذكر السيوطى –رحمه الله – ثمانية شروط :

الشرط الأول : وجود دليل :

١) إما حالى ، نحو : ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [هود/٦٩] ، أى : سلّمنا سلاماً .

٢) أو مقالى نحو : ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرًا﴾ [النحل /٣٠]

(قلت) : ولست أدرى الفرق الذى يقصده السيوطى بينهما .

٣) أو عقلى : حيث يستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف .

٤) ومنها الصناعة النحوية :

كقولهم فى : ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ [القيامة/١] ، التقدير « لأنا أقسم » ؛ لأن فعل الحال لا يُقْسَم عليه .

وفى : ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾ [يوسف/٨٥] ، التقدير : « لا تفتأ» ؛ لأنه لو كان الجواب مثبتاً دخلت اللام والنون ، كقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ [الأنبياء/٥٧].

تعقيب ابن هشام على الشرط الأول

قال ابن هشام : إنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها ، أو أحد ركنيها ، أو يفيد معنىً فيها هى مبنية عليه ، نحو ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾

أما الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل، بل يشترط ألا يكون فى حذفها ضرر معنوى أو وصناعى .

قال : ويشترط فى الدليل اللفظى أن يكون طبق المحذوف، وَرَدَّ قول الفراء فى : ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ [القيامة/٣، ٤] : إن التقدير : « بلى ليحسبُنا قادرين »، لأن الحسبان المذكور بمعنى الظن، والمقدّر بمعنى العلم؛ لأن التردد فى الإعادة كفر، فلا يكون مأموراً به .

([1]) معترك الأقران – (٢٤١/١ : ٢٥١) باختصار – وانظر:السيوطى . الإتقان . ص (٣٨٢ : ٣٨٧) .

obeikandi.com

قال : والصواب فيها قول سيبويه : إن « قادرين » حال أى : بل نجمعها قادرين، لأن فعل (الجمع) أقرب من فعل (الحسبان) ، ولأن « بلى » لإيجاب المنفى ، وهو فيها فعل الجمع .

الشرط الثانى : ألا يكون المحذوف كالجزء، ومن ثَمَّ لم يحذف الفاعل، ولا نائبه ، ولا اسم كان وأخواتها .

الشرط الثالث : ألا يكون مؤكّداً ؛ لأن الحذف منافٍ للتأكيد، إذ الحذف مبنى على الاختصار، والتأكيد مبنى على الطول .

الشرط الرابع : ألا يؤدى حذفه إلى اختصار المختصر ، ومن ثَّمَّ لم يحذف اسم الفعل ؛ لأنه اختصار للفعل.

الشرط الخامس : ألا يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم إلا فى مواضع قَوِيَتْ فيها الدلالة، وكثر فيها استعمال تلك العوامل .

الشرط السادس : ألا يكون المحذوف عوضاً عن شىء ، ومن ثَمَّ قال ابن مالك : إن حرف النداء ليس عوضاً من « أدعو » لإجازة العرب حذفه ، ولذا أيضا لم تحذف التاء مع إقامة واستقامة .

وأمّا ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء/٧٣] فلا يقاس عليها .

الشرط السابع : ألا يؤدى حذفه إلى تهيئة العامل القوى [١] ولم يذكر السيوطى الشرط الثامن كما ذكر فى صدر كلامه عن شروط الحذف.

وممن أطال النفس فى ذكر شروط الحذف الدكتور طاهر حمودة فى كتابه (ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى) ، فعد تسعة شروط . [٢]

ط) نماذج من إيجاز الحذف فى السورة

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٣٧٩ : ٣٨١) باختصار .

(٢) د. طاهر حمودة – ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى – الدار الجامعية – إسكندرية –١٩٩٨ م – (١٠٩ :١٤٦) .

obeikandl.com

قولــه تعــالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ **[القصص/٧] كأن بعدها حذفاً تقديره : « فامتثلت » ، أو « ففعلت»** ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ **[القصص/٨] .**

وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ **[القصص/٧] فيه حذف لما علم تفصيله فى سورة طه من قولــــه :** ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ **[طه /٣٨.٣٩] .**

بين الآيـة الثامنـة والتاسعة حذف وتقديره : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ **« فهموا بقتله »** ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ **[القصص/٩]**

ولعل سبب تقوية هذا التقدير الفاصلة ﴿ كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ ، فالخطأ شملهم بكفرهم وشركهم ابتداءً [١] وبهمهم بقتله كغيره انتهاءً .

وفى قوله : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ ﴾ **[القصص/٩] حذف المبتدأ وبتقديره : « هو قرة عين» [٢]**

قوله تعالى : ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾ **[القصص/١١] .**

(جنب) صفة لموصوف محذوف تقديره : « مكان جنب » [٣]

بـين الآيتـين (١٢) و (١٣) حـذف تقـديره : ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ **[القصص/١٢]**

فكأنهم أجابوا بنعم فقال تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ **[القصص/١٣]**

وقد يؤيد هذا التقدير أنه ثبت أنهم سألوها ابتداءً : وما يدريك؟ لعلك تعرفين أهله؟ فقالت : لا ولكنهم يحرصون على مسرة الملك ، ويرغبون فى ظئره [٤]، وهذا يدل على أنهم أظهروا الموافقة حالاً أو مقالاً، ورد الله موسى إلى أمه بقدره الغالب ، وأمره الذى لا يرد .

﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ **[القصص / ١٣ . ١٤]**

---

(١) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (٢٠٤/١٣) .

(٢) انظر: أبو حيان . البحر المحيط . (٨ / ٢٨٨) . وانظر : مكى بن أبى طالب . مشكل إعراب القرآن . تحقيق : د. حاتم صالح ضامن . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط٢: ١٤٠٥ هـ . (٢ / ٥٤١)

(٣) انظر : د . ياسين جاسم المحيميد . الإعراب المحيط . د . ت . (٧ /١٣١) .

(٤) انظر : القرطبى . المصدر السابق . (٢٠٧/١٣) .

بين الآية (١٣) و (١٤) حذف لأحداث السِّنىّ الأولى من حياة نبى الله موسى – عليه السلام – ، وقت أن كان صبياً، وحتى بلغ أشدَّه واستوى، ولعل الحكمة من ذلك أن هذه السنوات ليست تفيد أتباع الأنبياء كثيراً فى اتباع سنة شرعية أو سنة عادة ، إنما يكون ذلك بعد سن التحمل بين يدى البعثة .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ **[القصص / ٢١ . ٢٢]**

بين الآيتين (٢١) و (٢٢) حذف لمعاناة نبى الله موسى عليه السلام فى طريقه من مصر إلى مدين، فثبت عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال : « سار من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً، فسقطت نعلا قدميه من الحفاء، وجلس فى الظل وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لتُرَى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة»[١]

ولعل من دواعى الحذف فى مثل هذه المواضع ما يلى :

١) أن الحذف ارتكن على <u>الدلالة العقلية</u>، فمعلومٌ أنّ من كان فى حال موسى مطارد خائف يترقب، لم يُتَحْ له أن يَعُدَّ العدة والزاد للسفر، فماذا يكون حاله؟! .

٢) أن حذف مثل هذه الأمور أصرح من الذكر، حتى يتسنى للعقل أن يجول يمنة ويسرة فى تصوِّر هول ما جرى له فى رحلته هذه .

٣) أن فى ذكر السُّنة لتفاصيل بعض الإيجاز القرآنى أوضح إشارة إلى أهمية السُّنة، وأنها تخصص عامه، وتقيد مطلقه، وإلا فكيف عرفنا مقدار الصلوات التى أمرنا بها إجمالاً؟ وكيف عرفنا أنصبة الزكوات ... إلخ ؟ ، مصداقاً لقوله ﷺ من حديث المقدام بن معدى يكرب – رضى الله عنه – ، أنه– ﷺ – قال : « يوشك الرجل متكئاً على أريكته يُحَدَّثُ بحديث من حديثى، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله – عز وجل – ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول الله ﷺ مثل ما حرّم الله »[٢] وصدر هذا الحديث : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » أى : السنة .

---

(١) الأثر حسن بمجموع طرقه . رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره . وفى تاريخه من عدة طرق .
انظر : ابن كثير . قصص الأنبياء . تحقيق: العربى . مراجعة : الشيخ مصطفى العدوى . دار أصداء المجتمع . بريدة . السعودية . ودار بغداد . المنصورة د . ت ص (٣٤٧) . وانظر التخريج السابق بهامش الصفحة نفسها .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه . وانظر: محمد رشيد رضا . مجموعة الحديث . كتاب أصول الإيمان . الشيخ محمد عبد الوهاب . دار الريان . ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨م . ص (٢١٧) .

والسُّنَّة المطهرة ذكرت لنا ما أوجز من حال موسى عليه السلام حال مطاردته فى آية القصص ، وفى ذلك أوضح دلالة على إبراز الافتقار إلى السُّنة المطهرة .

بين الآيتين (٢٤) و (٢٥) حذف للحوار الذى دار بين المرأتين وأبيهما، وذلك بعد رجوعهما من السقى مبكرتين على غير عادتهما ، وهو ما أثبته المفسرون، قال ابن كثير : لما رجعت المرأتان سريعاً بالغنم إلى أبيهما أنكر حالهما بسبب مجيئهما سريعاً، فسألهما عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى عليه السلام فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها، قال الله تعالى : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص/٢٥] [(١)].

وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص/٢٥]

حذف لتسلسل الأحداث فى الطريق إلى الرجل الصالح، فقد ثبت أن أباها لما سألها عن سبب معرفتها لقوته وأمانته فقالت عن أمانته :

إنه قال لها كونى من ورائى ، فإذا اختلف علىّ الطريق فاحذفى لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدى إليه [(٢)] ، وهذا لا شك ذكر لبعض هذه التفاصيل .

قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص/٢٦]

حذف لسؤال الرجل الصالح، ومراجعته لابنته، كيف عرفت من الرجل قوته وأمانته؟ وقد سبق ذكر ذلك .

بين الآيتين (٢٨) و (٢٩) حذف لتفاصيل أحداث العشر حجج التى عمل فيها موسى عليه السلام عند صالح مدين، والقصة وإن كان وقتها بعد بلوغه الأشد والاستواء، إلا أنها قبل بعثته ﷺ ، وخلوها من الأحداث الجسام التى قد تسوّغ لنا اتباعه فيها .

بين الآيتين (٣٠) و (٣١) ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (القصص: ٣٠ - ٣١) حذف لسؤاله تعالى عما فى يده . أى العصا . ، وذلك لورود ذلك تفصيلاً فى سورة طه فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ [طه/١٧] وذلك قبل أن يأمره بإلقائها، وإجابة موسى عليه السلام فى قوله:

---

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . (٣٩٧/٣) .

(٢) نفسه . (٣ / ٣٩٨) .

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ **[طـه/١٨] ولعـل علة حذف السؤال عن العصا، والإجابة لأنه :**

١) ذكر فى موضع آخر فى سورة طه .

٢) لأن المقام فى سورة القصص أسرع منه فى « طه » ، والدليل ذكر « الفاء » مرتين قبل الأمر بإلقاء العصا ، وذلك فى قوله : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ **[القصص/٢٩] وقوله :** ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ ﴾ **[القصص/٣٠] فناسب ذلك الحذف ، وكان أرعى للمقام من الذكر.**

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾**[القصص/٣١]**

لعل فيه حذف تقديره: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ ﴾ **(<u>فألقاها</u>) ، دلَّ عليه قوله تعالى :** ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ **[طه/٢٠]**

بين الآيتين (٣٥) و (٣٦) ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ **(القصص: ٣٥ - ٣٦) حذفٌ لما جرى بين موسى وهارون – عليهما السلام – من حين الملاقاة وحتى الوصول إلى فرعون ليبلغاه رسالة ربهما – جلّ وعلا –**

قولـه تعـالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ **[القصص/٤٧]**

جواب <u>(لولا) الأولى</u> محذوف تقديره : <u>ما أرسلناك (ولولا) الثانية</u> للتحضيض [1].

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ **[القصص/٥٨] حذفت (فى) ، والتقدير : أى : <u>بطرت فى معيشتها</u>** [2].

قولـه تعـالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ **[القصص/٥٨] حذف الموصوف والتقدير : إلا <u>سكوناً قليلاً</u> وذلك على تقدير أن « <u>قليلاً</u> » صفة للسكنى .**

قال القرطبى ـ رحمه الله ـ : أى لم تسكن بعد إهلاك أهلها إلا قليلاً من <u>المساكن</u> وأكثرها خراب، والاستثناء يرجع إلى المساكن ، أى بعضها يسكن ، قاله <u>الزجاج</u> .

واعترض عليه فقيل :

---

(١) انظر :أبو السعود ـ إرشاد العقل السليم ـ (٧ / ١٧) .

(٢) القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ـ (١٣/ ٢٤١) .

لو كان الاستثناء يرجع إلى المساكن لقال : (إلا قليلٌ) ، لأنك تقول : القوم لم تُضْرَب إلا قليلٌ، ترفع إذا كان المضروب قليلاً ، وإذا نصبت كان القليل صفةً للضرب، أى : لم تضرب إلا ضرباً قليلاً ، فالمعنى إذاً : فتلك مساكنهم لم يسكنها إلا المسافرون ، ومن مرّ بالطريق يوماً أو بعض يوم، أى : لم تُسكَن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً ، وكذا قال ابن عباس ، لم يسكنها إلا المسافر أو مارّ الطريق يوماً أو ساعة [1].

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [القصص/٦٢] قال البيضاوى – رحمه الله – : حُذِفَ المفعولان – أى : [illegible] [2].

قال أبو حيان : ومفعولا « تزعمون » محذوفان : أحدهما : العائد على الموصول ، والتقدير: تزعمونهم شركاء [3].

قوله تعالى : ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ [القصص/٦٤] جواب (لو) محذوف .

قال القرطبى – رحمه الله – : قال الزَّجَاج : جواب « لو » محذوف، والمعنى : لو أنهم كانوا يهتدون لأنجاهم الهدى، ولما صاروا إلى العذاب ، وقيل : أى لو كانوا يهتدون ما دعوهم، وقيل المعنى : ودّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون فى الدنيا إذ رأوا العذاب يوم القيامة [4].

لكن الرازى يخالف فى ذلك، ويرى أنه لا حذف، فيقول : فأما قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ فكثير من المفسرين زعموا أن جواب « لو » محذوف، وذكروا فيه وجوهاً :

أحدها : قال الضحاك ومقاتل : يعنى المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا يهتدون فى الدنيا ما أبصروه فى الآخرة .

وثانيها : لو أنهم كانوا مهتدين فى الدنيا لعلموا أن العذاب حق .

وثالثها : وَدُّوا حين رأوا العذاب لو كانوا فى الدنيا يهتدون .

ورابعها : لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب .

وخامسها : قد آن لهم أن يهتدوا لو أنهم كانوا يهتدون إذا رأوا العذاب ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الشعراء/٢٠١] .

ثم يقول الرازى : وعندى أن الجواب غير محذوف، وفى تقديره وجوه :

---

(1) القرطبى – السابق . (١٣ / ٢٤١)

(2) البيضاوى . جامع البيان . (٤ /١٨٢) .

(3) أبو حيان . البحر المحيط . (٨ / ٣١٨) . وانظر : المحيميد . الإعراب . المحيط . (٧ /١٣٧)

(4) القرطبى . السابق . (١٣/٢٤٣) .

أحدها : أن الله تعالى إذا خاطبهم بقوله : (ادعوا شركاءكم) ، فههنا يشتد عليهم ويلحقهم شيء كالسدر والدّوار، ويصيرون بحيث لا يبصرون شيئاً، فقال تعالى : ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ شيئاً لما صاروا من شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيئاً لا جرم ما رأوا العذاب.

وثانيها : أنه تعالى لما ذكر عن الشركاء وهى الأصنام أنهم لا يجيبون الذين دعوهم، قال فى حقهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ، أى هذه الأصنام كانوا يشاهدون العذاب لو كانوا من الأحياء المهتدين ، ولكنها ليست كذلك، فلا جرم ما رأت العذاب، فإن قيل : قوله : ورأوا العذاب ، ضمير لا يليق إلا بالعقلاء، فكيف يصح عودة إلى الأصنام؟ قلنا : هذا كقوله : ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ [الكهف/٥٢] .

وإنما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا ها هنا .

وثالثها : أن يكون المراد من الرؤية رؤية القلب ، أى والكفار علموا حقيقة هذا العذاب فى الدنيا لو كانوا يهتدون، وهذه الوجوه عندى خير من الوجوه المبنية على أن جواب « لو » محذوف، فإن ذلك يقتضى تفكيك النظم من الآية [١].

لكن هذا الرأى لم يسلم من النقض ، فنجد أبا حيان فى تفسيره بعدما ذكره يقول : وقد أثنى على هذا الذى اختاره، وليس بشيء ، لأنه بناه على أن الضمير فى « رأوا » عائد على المدعوين ، قال : وهم الأصنام ، والظاهر أنه عائد على الداعين ، كقوله : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة/١٦٦] .

لأن حمل (مهتدين) على الأحياء فى غاية البعد، لأن ما قدّره هو جواب ولا يشعر لو أنه جواب، إذ صار التقدير عنده : ولو كان من الأحياء رأوا العذاب، لكنها ليست من الأحياء، فلا ترى العذاب، ألا ترى إلى قوله : فلا جرم ما رأت العذاب ؟ [٢].

والذى أراه أن الحق مع أبى حيان وكثير من المفسرين لوجوه :

١) أن تقدير المحذوف أقرب من تقدير قصص ومواقف ليس عليها دليل من الكتاب أو السنة، إنما هى أوهام وحدس العقل .

٢) أن الرازى نفسه لجأ إلى تقدير المحذوف كما ذكر أبو حيان حين قدّر : لو كانوا من الأحياء المهتدين .

وأيضاً عندما قال فى الوجه الأول : ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون شيئاً لما صاروا فى شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيئا . وهذا الأخير لاشك جواب « لو » .

---

(١) الرازى . مفاتيح الغيب . (٢٥/ ١٠) .

(٢) انظر : أبو حيان . البحر المحيط . (٨ / ٣١٩) .

٣) أن الحذف فى هذا المقام أولى ، حتى يجول العقل ويصول فى تقدير الجواب الذى يعم كل التقديرات، ولو ذكر جواب « لو » لفات المتلقى معانٍ جمة .

قوله :﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ [القصص/٦٦]

التنوين عوض عن محذوف تقديره . والله أعلم . : يوم إذ يرون العذاب ، دلّ عليه ما سبق من رؤية العذاب .

قوله تعالى : ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ [القصص/٧٩] حذف المفعول الثانى ، وهو تفصيل ما أوتيه قارون ، لشهرته ولعمومه وتعدده .

ي) نماذج من إيجاز القصر بالسورة

قوله تعالى : [القصص/١٢] : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

الاستفهام كأنه تبشير وتلطف ، قال العلاّمة ابن عاشور . رحمه الله . : وعرضت سعيها فى ذلك بطريق الاستفهام المستعمل فى الغرض تلطفاً مع آل فرعون ، وإبعاداً للظنة عن نفسها [١].

(قلت) : ومما يؤيد تلطفها فى الاستفهام استخدام « هل » ، وهى مما لا يترجح معها نفى ولا إثبات ، بخلاف « الهمزة » فلا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه [٢]، وهذا كله أفاد – كما سبق – التلطف والتبشير .

قولها : « أهل بيت »: فيه تعمية وتعتيم؛ لأن المضاف إلى النكرة فهو فى قوة النكرة ، ولا يفيد توضيحاً ولا تعريفاً [٣]

قولها : « يكفلونه »: يشمل كل أنواع الرعاية والخدمة .

قولها : « وهم له ناصحون »: تقديم المعمول أغنى عن قولها : هم يخصونه بالنصح ، وفى ذلك تطمين .

واستخدام الجملة الخبرية الإسمية دون الفعلية، لقصد تأكيد أن النصح المخصوص لموسى عليه السلام من سجاياهم ومما ثبت لهم .

قال ابن عاشور : فالمعنى : أن النصح من صفاتهم فهو حاصل لأمثاله حسب سجيتهم [٤].

قوله تعالى : ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص/٢٣]

---

(١) ابن عاشور . التحرير والتنوير . (٢٠ / ٨٤) .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (٢١٣) .

(٣) انظر : ابن هشام . قطر الندى . ص (٢٦٠) .

(٤) ابن عاشور . التحرير والتنوير . (٣٠ / ٨٤) .

قوله : « ما خطبكما » أغنى عن قوله : ما مصابكما ؟ فأنا مشفق عليكما ، ذلك لأن لفظ (الخطب) يشمل هذه المعانى

قال القرطبى – رحمه الله – : قال ما خطبكما ، أى: شأنكما ، قال رؤبة :

يا عجباً ما خطبُه وخطبِى

قال ابن عطية : وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو فى مصاب أو مضطهد ، أو من يشفق عليه ، أو يأتى بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة فى شر ، فأخبرتاه خبرهما [1].

قولهما : ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ :

إخبار عن حالتهما من الضُّعفة والاضطهاد ، وإخبار عن قلة مروءة الرعاء وخبث طويتهم .

قولهما : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ :

اعتذار لأبيهما ، وتسويغ لعملهما على خلاف العادة من الاكتنان فى البيوت .

قال ابن عاشور : وكان قولهما وأبونا شيخ كبير اعتذار عن حُضورهما للسَّقى مع الرجال لعدم وجدانهما رجلاً يستقى لهما، لأن الرجل الوحيد هو أبوهما، وهو شيخ كبير لا يستطيع ورود الماء لضعفه عن المزاحمة [2].

قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص/٢٥]

قولها : ﴿إِنَّ أَبِي﴾ بالتأكيد ، مع أن موسى عليه السلام لم يتردد أو يشك فى كلامها، ولكن التوكيد جاء ليغنى عن الشك فى حالها لا فى مقالها ، فحالها قد يدعو للشك، لأنه قد أجيبت طلبتها مع أختها، ورجعتا راشدتين ، فلماذا رجعت وحدها وقد انفضّ الاختلاط بالرعاء ، من أجل ذلك صدّرت التوكيد لدفع هذا الوهم والشك ، وهذا ديدن الصالحات القانتات، فمريم . عليها السلام . قالت لجبريل عندما تمثّل لها بشراً سوياً: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم/١٨]، فأكدت العوذ بربها، لأن حاله معها يدعو للتردد أيضاً؛ لأنها لم تختلط بالرجال فكيف وصل إليها؟ وماذا يريد؟ فصدّرت كلامها بالاستعاذة منه ، مع أنه لم يقربها، وهذا حال الحافظات للغيب وهذا هو الشاهد، وكان التوكيد مُغنياً عن كل هذه الدلالات والإيحاءات ، وخادماً لمقتضى الحال .

قولها : « يدعوك »: **لاشك أن اللفظ يحتوى التشريف والتكريم فضلاً عن رغبتهم إجابته للدعوة ، فالصالحون يمتثلون لمثل هذه الدعوات .**

([1]) انظر: القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (٢١٦/١٣) .

([2]) ابن عاشور . السابق . (٢٠ / ١٠٠) .

قولها : « ليجزيك »: إشارة إلى ما قدمه من معروف احتساباً لربه ، لا تشوفاً إلى جزاء ولا شكور، والجزاء : المكافأة عن عمل حسن أو سيئ بشيء مثله، قال تعالى :

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن/٦٠]

وقال –عز ذكره – : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ﴾ [سبأ/١٧]

وموسى عليه السلام قدّم الخير ابتداءً ، فدلّ المقام على أن حصاده سيؤول للخير انتهاءً.

قولها : ﴿أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ ﴾ : ، أضافت الأجر إلى السَّقى إشارة إلى أنه ليس أجيراً ، إنما فعل ذلك نبلاً ومروءةً وكرماً .

قوله تعالى : ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [القصص/٥٨]

عطف هذه الآية على جملة ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا ﴾[القصص/٥٧]

باعتبار ما تضمنته من الإنكار والتوبيخ، فإن ذلك يقتضى التعرض للانتقام شأنَ الأمم التى كفرت بنعم الله فهو تخويف لقريش [١].

وقوله : ﴿لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ إشارة إلى منتهى الدمار والخراب الذى حلّ بهم ولم يغادر منهم أحداً ، وقوله : ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ احتراسٌ أى : إلا إقامة المارين بها المعتبرين بهلاك أهلها [٢].

قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [القصص/٦٩] فى ذلك إشارة إلى عموم علم الله ، واستواء السر والجهر، واستواء ما كان وما هو كائن ، وما لم يكن ، لو كان كيف يكون .

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص/٧٠] هذه الآية اشتملت على معان عظيمة من الثناء والتعظيم لله – عز وجل – فقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ﴾ هو علم على الذات المقدسة ، معناه : ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، ومعناه : المألوه ، أى : المعبود محبةً وتذللاً وتعظيماً [٣].

قوله تعالى : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أى : لا معبود بحق إلا الله – عز وجل – [٤].

---

(١) انظر : ابن عاشور – المصدر السابق . (٢٠ / ١٥٠) .

(٢) المصدر نفسه . (٢٠/ ١٥٠) .

(٣) د. رسلان . شرح الجامع لعبادة الله وحده . دار الفرقان . مصر . ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م . ص (١٢) .

(٤) ابن عثيمين . شرح كشف الشبهات . ص (٢٦) .

قال الشيخ محمد سعيد رسلان : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ لا معبود بحق إلا الله ، فلابد من إفراد الله وحده بالعبادة ، وهو توحيد الألوهية ، وهو الذى وقع فيه الخلاف، ودبَّت بسببه الخصومة، ولأجله نصب سوق الجهاد، فالألوهية معناها: العبادة [١].

قوله تعالى : « له الحمد »:

الحمد : هو ثناء باللسان خاصة على الجميل الاختيارى ، مع نعمة وغيرها[٢]

والحمد أيضاً : هو وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم .

قوله تعالى : ﴿فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يشمل الحمد المطلق الذى أوله بلا ابتداء، وآخره بلا انتهاء ، وتقديم المتعلق لاختصاصه بالله – عز وجل – .

قوله تعالى : **﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أى له وحده لا شريك له جميع الأحكام الكونية والشرعية ؛ ولكمال ملكه، وقوة تدبيره لكونه ، فالكل مجبور على الرجوع إليه يوم الجزاء، وفى ذلك ترغيب للمحسن بالرجوع إلى الكريم ، وترهيب للمسيىء منه ، فلا أحد يُفَرُّ منه إليه إلا الله – عز وجل– ، وأمر الله– عز وجل– ليس فيه ظلم ، بل أمره دائر بين الفضل والعدل ولله در القائل :**

ما للعباد عليه حق واجب ❁ كلا ولا سعى لديه ضائع
إن عذِّبوا فبعدله أو نعِّموا ❁ فبفضلِه وهو الكريم الواسع[٣]

قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص/٧٦]

فى هذه الآية إيجاز بالقصر، لأن هذه الصورة التى تنقدح فى عقل المتلقى تجعله يتصور مدى كثرة ووفرة الكنوز، ومدى تنوعها ، وعدد الخزائن ، وعدد الحراس والخزَّان ... إلخ هذه المعانى المفهومة من الآية تضمناً والتزاماً ، فكان الإيجار بالإلغاز بدلالة التلازم أصرح وأنجع من التعديد للكنوز والتصريح .

قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص/٨١]

---

(١) د. رسلان . (لا إله إلا الله) معناها شروطها . دار الفرقان . مصر – ط٢ : ١٤٣٢ . ٢٠١١م . ص (١٤) .

(٢) د. رسلان . شرح الجامع لعبادة الله وحده . ص (١٣) .

(٣) هذا البيتان وجدتهما فى كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب . لشيخ الإسلام ابن القيم ، ولم ينسبهما ينسبهما لقائل ، ولعلهما له رحمه الله . انظر : ابن القيم . الوابل الصيب . دار الريان . ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م . ص (٦٩٠) ضمن مجموعة الحديث.

فيها دلالة على فقدان كل أسباب الانتصار بالنفس أو بالغير ، وهذه الأسباب عديدة لا حصر لها، فمن يخذله الله فلا ناصر له ، وصدق ربى إذ يقول : ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج/١٨]

قوله تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤﴾ [القصص/٨٤]

قوله : ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ أى : كل عمل صالح

وقوله تعالى : ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أى : كل عمل فاسد ، لأن « أل » فيهما للاستغراق

وفى قوله تعالى : ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ إشارة إلى التعامل مع المحسن بالفضل، وفى ذلك ترغيب .

وفى قوله : ﴿فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ إشارة إلى العدل فى عقوبة المسيىء ، وهذا لعمر الله منتهى العدل مع الترهيب ، وفى تعامل الله مع كلا الأمرين فى الآية – الترغيب والترهيب – إشارة إلى أن أمر الله يدور بين العدل والفضل ، وليس للظلم عنده مكان ، فلا ينطرح على المسرف سيئات لم يقترفها ، ولا ينقص المحسن من إحسانه شيئاً.

ثانياً : دلالات الإطناب

أ) تعريف الإطناب :

لغةً: مصدر أطنب فى كلامه إذا بالغ فيه وطوّل ذيوله .

واصطلاحًا : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو ، والفرق بينهما أن الزائد إن كان غير متعين كان تطويلاً، وإن كان متعيِّنًا كان حشوًا ، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة [١].

فالتطويل كقول عَدِيِّ العبادى فى جذيمة الأبرش :

وقَـــدَّدتِ الأديـــمَ لراهشَـــيْه وألفَـــى قولَهـــا كـــذبًا وميْنـــا

فالميْن والكذب بمعنى واحد، ولم يتعين الزائد منهما؛ لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معية ، فلا يتغير المعنى بإسقاط أيِّهما شئت .

والحشو كقول زهير بن أبى سلمى :

وأعلم علمَ اليومِ والأمسِ قبلـه ولكننى عن علمِ ما فى غدٍ عمى[٢]

ب) العلاقة بين المعنى اللغوى والإصطلاحى للإطناب :

مما لاشك فيه أن القدماء كانوا ذوى حسٍّ مرهف، وذوق عالٍ، فلا تكاد تؤثر عنهم مصطلحاً فقهياً أو لغوياً أو بلاغياً إلخ، إلا وهو يضرب بجذور قوية فى الحقل اللغوى .

بيد أن الباحث قد تشكل عليه بعض هذه العلاقات، فالصلاة مثلاً

لغةً : الدعاء ، وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة/١٠٣]، أى : ادعُ لهم .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة/٨٤] قد يقال : إن المراد بها الصلاة الشرعية، أو الصلاة اللغوية ، أى : الدعاء ، أما فى الشرع : فهى التعبد لله بأقوال ، وأفعال معلومة مفتتحةً بالتكبير مختتمةً بالتسليم [٣].

فلسائلٍ أن يسأل عن العلاقة بين اللغة والاصطلاح فى عبادة الصلاة .

والجواب : إنه بالتدبر نرى علاقة قوية بينهما، فالمصلى عندما يسبح ويحمد ويكبر وينزه ربه ، فهذا دعاء بالقول .

---

(١) المراغى . علوم البلاغة والبيان . (١/١٩١) .

(٢) الهاشمى . جواهر البلاغة . (١٦٨) .

(٣) ابن عثيمين . الشرح الممتع على زاد المستقنع . المكتبة التوفيقية . مصر . د . ت . (٣/٢) .

وعندما يقف كما علمه الرسول ﷺ ، ثم يركع لله ، ثم يضع أشرف ما فيه ويرغم أنفه فى التراب، ويقول فى منتهى هذا التسفل : (سبحان ربى الأعلى) **، فهذه الأفعال كلها دعاء بدلالة الحال .**

وما يقال فى الصلاة قد يقال فى الزكاة ، وهذا الأمر قد يشكل على الباحث فى مصطلح الإطناب لغةً واصطلاحاً .

يقول ابن الأثير : " وسأبين حقيقته في كتابي هذا، وأحقق القول فيه بحيث تزول الشبهة التي خبط أرباب علم البيان من أجلها، وقالوا أقوالاً لا تعرب عن فائدة. والذي عندي فيه أنه إذا رجعنا إلى الأسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسباً لمسماه، وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، ويقال: أطنبت الريح؛ إذا اشتدّت في هبوبها، وأطنب في السير؛ إذا اشتد فيه، وعلى هذا فإن حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني، وهذا لا يختص بنوع واحد من أنواع علم البيان، وإنما يوجد فيها جميعها؛ إذ ما من نوع منها إلا ويمكن المبالغة فيه " [1]

وقد أطال الدكتور مختار عطية النفس فى هذه المسألة فى كتابه (الإطناب فى القرآن الكريم . دراسة بلاغية **)**

وتتبع المصطلحات اللغوية القديمة تباعاً، حتى وصل إلى الدراسات الحديثة، وهو فى ذلك يثبت تقارباً وتلاحماً ظاهراً بين اللغة والاصطلاح .

فمن أمثلة ما يبدو بعيد الصلة . إلى حد ما . عن منبتها اللغوى [2]

ما جاء فى معجم (الجيم) لأبى عمرو الشيبانى (ت. ١٨٨هـ)

إذ يورد هذه المادة بوزن (فَعَال) فيقول :

(الطَّناب) : السير الذى يربط فى رأس وتر القوس ، وهو الإطنابة . والمعنى . كما نرى . يبعد كثيراً عن الدلالة الاصطلاحية للإطنابة ، التى نحن بصددها فى هذا الفصل .

ونتقدم للاستدلال على أصل الكلمة فى « ديوان الأدب » للفارابى ، إذ نجده يذكر مادة (الإطناب) فى قوله :

(الطُّنُب) : حبل الخباء وعرق الشجر وعَصَبُ الجسد .

وفى موضع آخر يقول : الإطنابة : المظلة ، والإطنابة : السيْر الذى يكون على رأس الوتر .

وفى موضع ثالث :

---

(١) ابن الأثير – المثل السائر – (٢/١٢٠) .

(٢) هذا مصطلح د. مختار عطية فى كتابه: الإطناب فى القرآن الكريم . انظر: ص (٢٧) .

أطنب فى الكلام ، أى : بالغ ... ولا يخفى ما فى هذه الإلماحات السريعة من الغموض ، وبخاصة الذى يحيط بإمكان إيجاد علاقة بين « حبل الخباء » و « عرق الشجر » و « عصب الجسد » و « المظلة » و « السير » وبين « الإطناب » فيما استُقِرّ عليه بوصفه مصطلحاً بلاغياً [١].

ويورد الدكتور مختار عطية فى موضع آخر معانٍ لغوية تتلاحم وتتناغم مع المعنى الاصطلاحى : فيقول بعد ما أورد المعنى اللغوى عن ابن منظور :

ويدنينا ابن منظور من القربى بين المعنى المعجمى للإطناب والمعنى الاصطلاحى له، فيورد قول أبى عمرو بأن التطنيب أن تعلق السقاء فى عمود البيت ثم تمخضه ، فكأن التطنيب هنا بمعنى التمخيض أو التوليد أو الإدرار وتمخيض الكلام : توليده، أى خروج ما بثناياه من الطول والكثرة .. وبهذا المفهوم يكون الإطناب فى الكلام بشعبه التى استقر عليها البلاغيون قديماً وحديثاً [٢].

ويقول : ولعل ابن منظور بذلك قد زاد بنا قربى من المعنى الاصطلاحى للإطناب، ذلك المعنى الذى استقر عليه البلاغيون فيما بعد [٣].

ج) دواعى الإطناب :

قال الهاشمى . رحمه الله . : **واعلم أن دواعى الإطناب كثيرة ، منها : تثبيت المعنى – وتوضيح المراد – والتوكيد – ودفع الإيهام – وإثارة الحمية ، وغير ذلك** [٤]

وذكر المراغى قريباً من ذلك فقال : من دواعى الإطناب :

١) توكيد المعنى وتثبيته فى النفس ، أفلا ترى إلى قوله تعالى فى باب الموعظة : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/٩٧، ٩٩]

٢) دفع اللبس الذى كان يحتمل وجوده مع الإيجاز،واعتبر ذلك بما تراه فى قوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب /٤] فكلمة القلب تحتمل أحد معنيين : القطعة من اللحم ، والفهم والإدراك ، لهذا أتى بكلمة (فى جوفه) ليتعين المعنى الثانى ، ويزول اللبس

---

(١) د. مختار عطية . الإطناب فى القرآن الكريم دراسة بلاغية . دار الجامعة الجديدة . الإسكندرية . ٢٠٠٨ م . ص (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) نفسه – ص (٣٠) .

(٣) المصدر نفسه ص (٣١) .

(٤) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (١٦٨) .

، وقوله تعالى :﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج/٤٦] فأتى بكلمة (فى الصدور) لدفع اللبس بأن المراد بها العيون الباصرة .

٣) التعظيم والتهويل :

انظر إلى قوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ **[التكوير/١: ١٤] يكفى فى الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت ، قوله :** ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ **أو غيره مما بعده من الاثنى عشر المذكورة ، لكنه عدّدها لتهويل شأن هذا اليوم [(١)].**

الإيجاز أفضل أم الإطناب ؟

قال الشيخ أحمد مصطفى المراغى **: ما يراه الأئمة فى تفضيل الإيجاز على الإطناب أو العكس، فمن مفضل يراه كشبيب بن شيبة إذ يقول : القليل الكافى خير من كثير غير شافٍ.**

ويقول آخر **: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ، ولا خير فى شىء يأتى به التكلف .**

ومن مرجح للإطناب وحجته أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه ، وأبينه أشده إحاطة بالمعانى، ولا يحاط بالمعانى إحاطة تامة إلا بين الخاصة والعامة ، والغبى والفطن .

والمختار **أن الحاجة إلى كلٍّ ماسة، وأن لكلٍّ موضعاً لا يسد عنه فيه سواه، فمن استعمل أحدهما فى موضع الآخر فقد أخطأ .**

قال جعفر بن يحيى : متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عياً ، ومتى كانت الكفاية فى موضع الإكثار، كان الإيجاز تقصيراً[(٢)] وهو اختيار الهاشمى فى جواهر البلاغة [(٣)]، واختيار الكثرة الكاثرة .

د) أقسام الإطناب

قسم الإمام السيوطى . رحمه الله . الإطناب قسمين :

أحدها : إطناب بالبسط

والثانى : الإطناب بالزيادة

([1]) المراغى . علوم البلاغة . (١٨٩/١ ، ١٩٠) .

([2]) نفسه . (١٩٩/١) .

([3]) الهاشمى . جواهر البلاغة . (١٧٢) .

وقال ـ رحمه الله ـ عن إطناب البسط :

الأول : الإطناب بتكثير الجمل ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ **[البقرة/١٦٤] . أطنب فيها أبلغ الإطناب لكون الخطاب مع الثقلين ، وفى كل عصر وحين، للعالم منهم والجاهل، والموافق منهم والمنافق ، وقوله تعالى :** ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ **[غافر/٧]**

فقوله : ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ **إطناب، لأن إيمان حملة العرش معلوم، وحسّنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه .**

وقوله : ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **[فصلت/٦، ٧] وليس من المشركين مُزَكٍّ، والنكتة الحث للمؤمنين على أدائها، والتحذير من المنع، حيث جُعِل من أوصَاف المشركين** [1].

(قلت) **: هذا القسم المسمّى بالبسط، والذى هو تكثير الجمل ، قد لا نُسَلِّم به للإمام السيوطى ، والرد عليه يكون إجمالاً وتفصيلاً .**

فالرد الإجمالى **: أن كل حرف فى كتاب الله – عز ذكره – أتى بفائدة، وكل حرف حذف من موضعه فلفائدة أيضاً، عَلِمَ ذلك من عَلِمَه ، وجَهِلَه من جَهِلَه، وبالقياس الأولوىّ، فكل جملة لها فوائد جمة، ولا نسلم أن جملاً كثيرة تأتى لتأكيد معنىً واحد وفقط .**

والرد التفصيلى :

أن آية البقرة قد يقال فيها : إنها جاءت بعد قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ **[البقرة/١٦٣]**

والآية إخبار بوحدانية الله – عز ذكره – ، ووصفه بالرحمن الرحيم ، فجاءت الآية بعدها تعدد آثار الخالق فى الكون التى لا يفطن إليها إلا العقلاء، فالآية إذن برهنة وتدليل على وحدانية الخالق، إذا لو كان ثَمَّ خالقان لظهر التفاوت، ولكن صفحة الكون تشهد بالوحدانية وذلك فى السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك فى البحر، والماء العذب يخرج من السحاب، وكذلك الآيات بين السماء والأرض من تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، كل هذه الآيات برهان على وحدانية الله – جل وعلا – .

---

(1) **السيوطى ـ الإتقان ـ ص(٣٨٨) .**

وأيضاً ، تعدد هذه الآيات الكونية برهان آخر على أن الله – عز وجل – رحمن رحيم ، رحمن بالمؤمنين والكفار فى الدنيا ، ورحيم بالمؤمنين خاصة فى الآخرة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب/٤٣] أو أن (الرحمن) بمعنى ذو الرحمة، فهو يدل على الصفة، و (الرحيم) يدل على الفعل الذى يوصل الرحمة إلى المرحوم، فيكون (الرحمن) ملاحظاً فيه الوصف و(الرحيم) ملاحظاً فيه الفعل، وهو اختيار العلاّمة ابن عثيمين – رحمه الله– [١] فالمهم أن هذه الآيات الكونية دلائل رحمة الله بعباده ،لأنه لا يُستغنى عنها طرفة عين ، فصار وجودها من معالم الرحمة .

وأما الآية الثانية : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر/٧]

فقد يقال فيها : إن هذا من الإيغال فى الفاصلة .

وأما الآية الثالثة : ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت/٦ ، ٧]

فقد يقال فى قوله : ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إن فى ذلك إشارة إلى أن الكافر يعذب على فروع الإسلام يوم القيامة، وذلك نقلاً وعقلاً

أما النقل : فلقوله تعالى حكاية عن سؤال أصحاب اليمين للمجرمين فى سقر يوم القيامة :

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦﴾ [المدثر/٤٢ : ٤٦] وهذا هو الذى أدخلهم سقر

فإن قال قائل : تكذيبهم بيوم الدين كفر، وهو الذى أدخلهم سقر .

قلنا : إنهم ذكروا أربعة أشياء ، ولولا أن لهذه المذكورات مع تكذيبهم بيوم الدين أثراً فى إدخالهم النار لم يكن فى ذكرها فائدة ، ولو أنهم لم يعاقبوا عليها ما جرت على بالهم .

وأما العقل :

فلأن المسلم المطيع الملتزم بشرعه يعقاب على ترك فرع من فروع الشريعة، فالمستكبر من باب أولى [٢].

وأما القسم الثانى : فهو إطناب الزيادة

ذكر السيوطى ـ رحمه الله ـ منه واحداً وعشرين نوعاً

وهاكَ بيانَها من كتاب الإتقان ، وإنما اخترت تفصيل السيوطى لاستقصائه وشموله مقارنة بغيره .

---

(١) انظر : ابن عثمين ـ شرح البيقونية ـ تحقيق : سيد عباس الجليمى ـ مكتبة السنة ـ القاهرة ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ م ـ ص (١٢: ١٤) .

(٢) انظر ـ ابن عثيمين ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع – (٦/ ٢٠١ ، ٢٠٢) بتصرف .

النــوع الأول : **دخــول حــرف فــأكثر مــن حــروف التأكيــد ، وهــى : إنّ ، أنّ ، ولام الابتــداء، والقَســـــم ، و(ألا) الاستفتاحية وأما، و (ها) التنبيه، وكأنّ فى تأكيد التشبيه، ولكنّ فى تأكيد الاستدراك، وليت فى تأكيد التمنى، ولعل فى تأكيد الترجى، وضمير الشأن، وضمير الفصل وإمّا فى تأكيد الشرط، وقد، والسين وسوف، والنونان فى تأكيد الفعلية ، ولا التبرئة ، ولن ، ولمّا فى تأكيد النفى .**

النوع الثانى : **دخول الأحرف الزائدة**

قال ابن جنى : كل حرف زِيدَ فى كلام العرب، فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

وقال الزمخشرى فى كشافه القديم : « الباء » فى خبر « ما » و « ليس » لتأكيد النفى، كما أن اللام لتأكيد الإيجاب .

النوع الثالث : **التأكيد الصناعى**

وهو أربعة أقسام : أحدها : **التوكيد المعنوى بكل وأجمع وكلا وكلتا .**

ثانيها : **التأكيد اللفظى ، وهو تكرار اللفظ الأول إما بمرادفه وإما بلفظه .**

ثالثها : **تأكيد الفعل بمصدره .**

رابعها : **الحال المؤكدة .**

النوع الرابع : **التكرير**

النوع الخامس : **الصفة ، وترد لأسباب :** أحدها : **التخصيص فى النكرة**

الثانى : **التوضيح فى المعرفة ، أى : زيادة البيان**

الثالث : **المدح والثناء .**

الرابع : **الذم .**

الخامس : **التأكيد لرفع الإبهام .**

النوع السادس : **البدل**

النوع السابع : **عطف البيان**

النوع الثامن : **عطف أحد المترادفين على الآخر .**

النوع التاسع : **عطف الخاص على العام .**

النوع العاشر : **عطف العام على الخاص .**

النوع الحادى عشر : **الإيضاح من الإبهام .**

النوع الثانى عشر : **التفسير**

النوع الثالث عشر : **وضع الظاهر موضع المضمر**

النوع الرابع عشر : **الإيغال ، وهو الإمعان .**

النوع الخامس عشر : **التذييل .**

النوع السادس عشر : **الطرد والعكس**

النوع السابع عشر : **التكميل**

النوع الثامن عشر : **التتميم**

النوع التاسع عشر : **الاستقصاء**

النوع العشرون : **الاعتراض**

النوع الحادى والعشرون : **التعليل** [1]

(قلت) وهذه الأنواع ذكرت بأمثلتها باعتبارها فنون بلاغية، دون نسبتها إلى الإطناب فى مقدمة تفسير ابن النقيب، ولم تذكر تباعاً، بل متفرقة فى ثنايا الكتاب [2].

هـ) نماذج للإطناب بالزيادة

فى غير السورة

١) التأكيد الصناعى :

وهو أربعة أقسام : أحدها : التوكيد المعنوى بكل وأجمع ، وكلا وكلتا، نحو :

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ **[الحجر/٣٠]**

وثانيها : التوكيد اللفظى، وهو تكرار اللفظ الأول إما بمرادف، نحو: " ضَيِّقًا حَرِجًا "**[الأنعام/١٢٥] بكسر الراء،** ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ **[فاطر/٢٧]**

وإما بلفظة ، ويكون فى الاسم والفعل والحرف ، والجملة .

وثالثها : تأكيد الفعل بمصدره ، وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، وفائدته: رفع توهم المجاز فى الفعل بخلاف التوكيد السابق، فإنه لرفع توهم المجاز فى المسند إليه، كذا فرق ابن عصفور وغيره، ومن ثَمَّ رد بعض أهل السنة على بعض المعتزلة فى دعواه نفى التكليم حقيقة بقوله ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ **[النساء/١٦٤] .**

لأن التوكيد رفع المجاز في الفعل، ومن أمثلته : ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ **[الأحزاب/٥٦]**

رابعها : الحال المؤكدة :

نحو : ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ **[مريم/٣٣] ،** ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **[البقرة/٦٠] ،**

﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ **[النساء/٧٩]** [3]

---

(١) **السيوطى . الإتقان . (٣٨٨: ٤٠٥) باختصار .**

(٢) **انظر : ابن النقيب . مقدمة تفسير ابن النقيب . تحقيق : د . زكريا سعيد .**

(٣) **السيوطى . السابق . (٣٩٠ . ٣٩١) باختصار .**

obeikandl.com

ومن الأمثلة فى السورة

(٣١) قوله تعالى : ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ [القصص/٣١]

حالان مؤكدان، الأول : ﴿مُدۡبِرٗا﴾ حال ، ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ نصب على موضع الحال [١].

لكن قد يقال : إن فى القول بأن ﴿مُدۡبِرٗا﴾ حال مؤكدة (للتولى) نظراً ، لأن التولية قد لا تكون إدباراً ، بدليل قوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة/١٤٤] [٢].

وعلى القول أن التولية إدبار فقد يقال إن الحالين المؤكدين أكدا معنى الإدبار، وفى ذلك دليل على شدة هول ما رأى موسى عليه السلام .

(٥٧) قوله تعالى : ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القصص/٥٧] قوله : ﴿رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ تأكيد للفعل ﴿يُجۡبَىٰٓ﴾ ؛ لأنه معنى المصدر، قال العكبرى: ﴿رِّزۡقٗا﴾ مصدر من معنى ﴿يُجۡبَىٰٓ﴾ [٣]، وفى ذلك دليل على أن رزقهم آكد قبل بعثة النبى – ﷺ – ، وبعد البعثة من باب أَوْلَى. والله أعلى وأعلم

(٥٨) قوله تعالى : ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [القصص/٥٨] ﴿لَمۡ تُسۡكَن﴾ حال والعامل فيها الإشارة [٤].

وقد تكون حال مؤكدة (للإهلاك) فى قوله تعالى : ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةم بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص/٥٨]، وعلة القول بالتوكيد أن قوله تعالى : ﴿لَمۡ تُسۡكَن﴾ هو دلالة الالتزام (للإهلاك) ، وفى ذلك دليل قوى على قوة الهلاك الذى لم يبقِ ولم يذرْ، وأما الاستثناء ففسر بأنه المسافرون المارون بديارهم [٥]، ولذلك قد يمكننا أن نقول : ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ تكميل أو احتراس .

(٤٦) قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص/٤٦] قوله : ﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ﴾ انتصبت (الرحمة) على المصدر .

عند الأخفش بمعنى : ولكنْ رَحِمَك ربك يا محمد رحمةً ، قال القرطبى ومعنى الآية على هذا : ما كنت بجانب الطور إذ كلمنا موسى فنادينا أمتك وأخبرناه بما كتبناه لك ولأمتك من الرحمة

---

(١) انظر : مكى بن أبى طالب . مشكل القرآن . ص (٢/ ٥٤٤) .

(٢) انظر : السيوطى . الإتقان . ص (٣٩١) .

(٣) العكبرى . التبيان فى إعراب القرآن . (٢ / ١٠٢٣) .

(٤) العكبرى – نفسه . (٢ / ١٠٢٣) .

(٥) انظر : القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . (١٣/ ٢٤١) .

إلى آخر الدنيا. « لكن » فعلنا ذلك « رحمة » منا بكم ، قال الأخفش : (رحمةً) نصب على المصدر أى : ولكن رحمناك رحمةً . وقال الزجاج : هو مفعول من أجله، أى : فعل ذلك بك لأجل الرحمة . وقال الزجاج : هو مفعول من أجله، أى : فعل ذلك بك لأجل الرحمة . النحاس: أى لم تشهد قصص الأنبياء، ولا تليت عليك ، ولكنا بعثناك وأوحيناها إليك للرحمة[١].

(قلت) : فعلى قول الأخفش أفادت الآية تتابع الرحمة وتواليها على الرسول ﷺ وأمته تبعاً له.

٢) التكرير

قال السيوطى ـ رحمه الله ـ : وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة ، خلافاً لبعض من غلط ، وله فوائد : منها : التقرير، والتوكيد ، والتعظيم ، والتهويل ، وتجديد العهد وتطريته إذا طال الكلام ... إلخ [٢]

نماذج التكرير فى السورة

(٥) قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [القصص/٥]

كرر الفعل ﴿وَنَجْعَلَهُمْ﴾ مرتين لتقرير الجعل الكونى الذى يساوى الإرادة الكونية السابقة فى صدر الآية، وهذا الجعل لابد من وقوعه ، وفى ذلك دلالة على توكيد إرادة الله ، وأنه لا راد لقضائه .

تكرار الخوف فى الآية السابقة إخباراً فى قوله : ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ ، ونهياً عنه فى قوله :﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾ دليلٌ على حتمية وقوعه، وكذلك الآيات (١٨) ، (٢١) ، (٢٥) ، (٣١) ، (٣٢) وفيها لفظ (الرهب) بدل الخوف ، (٣٣) ، (٣٤)

كل هذا التكرار يؤكد على شدة ما لاقى موسى عليه السلام من فرعون وملئه، وشدة وهول الآيات التى رآها موسى عند مناجاة ربه ، وكذلك شدة ما لاقت أم موسى وقومها من ظلم فرعون وجنوده وهذا كله ليقرر فى النفس حالة الجو العاصف الذى عاشه بنو إسرائيل وموسى عليه السلام .

تكرار لفظ الظالمين : فى الآية (٢١) و (٢٥) و (٣٧) و (٤٠) و (٥٠) و (٥٩) ، وذلك قد يوحى بدلالات التعظيم والتهويل لعاقبة الظلم، سيما وأن الله – عز وجل– لا يقرنه إلا بالتوعد وعدم الرضى ، وفى ذلك كناية عن منتهى ما يلحق بالظالم من الخسران المبين .

---

(١) القرطبى – السابق (٢٣٤/١٣) – وانظر : مكى بن أبى طالب ـ مشكل إعراب القرآن ـ (٢ / ٥٤٦)

(٢) انظر : السيوطى ـ الإتقان ـ (٣٩١ ـ ٣٩٢) باختصار .

تكرار لفظ العدو والشيعة **فى الآية (١٥) ، (١٩) ولعل فى ذلك دلالة واضحة على وجوب المفاصلة والتمايز بين الحق والباطل ، وأن مناط ذلك على الإسلام والكفر، وهما المعنيان اللذان فاضل بهما موسى عليه السلام بين شيعته وعدوه .**

تكرار (أنْ) فى الآية (١٩) أربع مرات

﴿ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩ ﴾ (القصص: ١٩)

قال ابن النقيب : كرر (أنْ) فى أربعة مواضع تأكيداً [١]

(قلت) **: ولعله يقصد بالتأكيد أن المصدر المؤول آكد فى الوقوع من الصريح – كما سبق–**

تكرار « مدين » **فى الآية (٢٢) و (٢٣) و (٤٥)**

وتكرار (الطور) **فى الآية (٢٩) و (٤٦)**

ولعل ذلك لحب واستعذاب هذا البلد الأول ، وحب البلد الثانى لبركته ولتجلى الله – عز وجل – لجبله ، ومناجاة موسى عليه السلام عنده .

٣) عطف أحد المترادفين على الآخر

قال السيوطى – رحمه الله – والقصد منه التأكيد أيضاً ، وجعل منه ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ﴾ [يوسف/٨٦] [٢]

صور من عطف أحد المترادفين فى السورة

قوله تعالى : ﴿عَدُوّٗا وَحَزَنٗا﴾ [القصص/٨]

قوله تعالى : ﴿كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ﴾ [القصص/١٣]

قوله تعالى : ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [القصص/١٩]

قوله تعالى : ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ [القصص/٣١]

قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗا﴾ [القصص/٨٣]

٤) عطف الخاص على العام والعكس

ومثال الخاص بعد العام **كقوله تعالى : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة /٢٣٨]**

---

(١) ابن النقيب . مقدمة تفسير ابن النقيب . ص (٢٢٧) .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (٣٩٨) – وانظر : معترك الأقران – (٢٧٠/١) .

obeikandl.com

وفائدته : **التنبيه على مزيةٍ وفضلٍ فى الخاص، حتى كأنه لفضله ورفعته جزء آخر مغاير لما قبله، ولهذا خص الصلاة الوسطى (وهى العصر) بالذكر لزيادة فضلها .**

ومثال العام بعد الخاص **كقوله تعالى :** ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ **[نوح/٢٨]**

وفائدته : شمول بقية الأفراد ، والاهتمام بالخاص لذكره ثانية فى عنوان عام بعد ذكره أولاً فى عنوان خاص [١].

وقال السيوطى **عن عطف الخاص على العام : وفائدته : التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات ، وحكى** أبو حيان **عن شيخه أبى جعفر بن الزبير أنه كان يقول : هذا العطف يسمى (بالتجريد) ، كأنه جُرِّد من الجملة وأفرد بالذكر تفصيلاً، ومن أمثلته :** ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ **[البقرة٢٣٨]**

وقال فى عطف العام على الخاص : وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ، والفائدة فيه واضحة وهو التعميم [٢].

أمثلة لعطف الخاص على العام والعكس فى السورة

الآية : (٣٥) قوله تعالى : ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾

عطف العام على الخاص للدلالة على العموم والشمول . والله أعلم

الآية : (٤٠) قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ ﴾

عطف عام على خاص للدلالة على العموم والشمول .

٥) الإيضاح بعد الإبهام

قال أهل البيان : إذا أردت أن تبهم ثم توضح، فإنك تُطنب، وفائدته إما رؤية المعنى فى صورتين مختلفتين : الإبهام والإيضاح، أو لتمكن المعنى فى النفس تمكناً زائداً لوقوعه بعد الطلب ، فإنه أعز من المنساق بلا تعب، أو لِتَكْمُل لذّة العلم به، فإن الشىء إذا علم من وجه ما، تشوقت النفس للعلم به من باقى وجوهه وتأملّت، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه، كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعةً واحدة [٣].

أمثلة للإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال فى السورة

قوله تعالى : ﴿ يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ ﴾ **[القصص/٤]**

---

(١) **انظر : الهاشمى . جواهر البلاغة . (١٦٨ . ١٦٩) .**

(٢) **السيوطى . الإتقان . (٣٩٨ . ٣٩٩) – انظر : معترك الأقران (١ /٢٧١ : ٢٧٢) .**

(٣) **انظر : السيوطى – الإتقان . (٣٩٩) – وانظر : معترك الأقران (١ / ٢٧٢) .**

أجمل الله تعالى الاستضعاف، ثم جاء تفصيله فى تذبيح الأبناء واستحياء النساء للخدمة ، وحذف مافعله بالرجال ، ليذهب العقل كل مذهب فى تصور شدة ما لاقى الرجال من أذى، لأنه إذا كان حاله مع الصنفين الضعيفين بهذه القسوة والفظاظة ، فبالقياس الأولوىّ حاله مع الرجال أشد وأقوى

، والمهم أنه أوضح بعد الإبهام عن شىء من هذا الاستضعاف.

قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ **[القصص/٦:٥]**

فى الآيتين توضيح لصورة المن على المستضعفين، وأنه سيكون فى جعلهم أئمة ووارثين ومُمَكَّن لهم فى الأرض .

قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ **[القصص/٧]**

وفى ذلك بيان وإيضاح لمضمون الوحى إلى أم موسى، وأنه كائن فى تطمينها ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ **[الحجر/٦٦]**

قوله تعالى : ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ **[القصص/٢٠]**

فذكر القتل جاء لبيان الائتمار .

قوله تعالى : ﴿ نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **[القصص/٣٠]**

فقوله : ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **بيان وتفسير لمضمون النداء، والدليل (أن) التفسيرية**

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ **[القصص/٤٨] فبعد هذا الإبهام فى قوله :** ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ﴾ **أوضح وفسر صفة هذا الكفر، وأنه كفرٌ قولىٌّ فى قولهم :** ﴿ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ **[القصص/٧٦]**

فذكر لفظ ﴿ٱلْكُنُوزِ ﴾ **، ثم أتى بيان الوصف الكمى لهذه الكنوز من خلال التكنية بثقل مفاتيحها.**

٦) التذييل

والتذييل هو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة ، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى أو لمفهومهما [1]

وفائدته : ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ، ويتقرر عند من فهمه [2].

من أمثلة التذييل فى السورة

قوله تعالى : : ﴿ فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص/١٦]

وقوله : ﴿ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ ﴾[القصص/٣١]

وقوله : ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القصص/٣٤] ، والفاصلة مؤكدة لمفهوم الآية والله أعلم

وقوله : ﴿ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص/٣٥] ، وهنا نلاحظ وجود تذيلين متتابعين لـ « سلطاناً» ، لأن من له سلطان فهو فى منعة من الوصول إليه ، وهو أيضاً غالب .

وقولـــــه : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القصص/٤٤]

وقولـــــــــه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص/٥٠]

وقوله : ﴿ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ [القصص/٥٥]

وقوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ﴾ [القصص/٦٨]

٧) الطرد والعكس

وهو أن يُؤتَى بكلامين، يُقرّر الأول بمنطوقه مفهوم الثانى وبالعكس، كقوله تعالى :

﴿ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّ ﴾ [النـــــور/٥٨]، فمنطوق الأمر بالاستئذان فى تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها وبالعكس، وكذا قوله : ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم/٦] [3].

من نماذج الطرد والعكس فى السورة

---

(1) الهاشمى . جواهر البلاغة . ص (١٧١) .

(2) السيوطى . الإتقان . (٤٠٣) .

(3) السيوطى – نفسه – (٤٠٣) .

(١٩) قولـه تعـالى : ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **مفهومهـا أنـه بهـذا يجانـب طريـق الصلاح والمصلحين، فجـاء قوله تعالى :** ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ **ليقرر مفهوم ما سبق .**

(٦٠) قولـه تعـالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ **[القصص/٦٠] ،ومفهوم الصدر أن متاع الدنيا زائل ، وعارية مسترجعة ، والآخرة هى الأبقى ، وهو ما أكده العجز .**

٨) التكميل أو الاحتراس

وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المراد بما يدفعه، وهو ضربان :

١) أن يتوسط الكلام ، كقول ابن المعتز :

صـببنا عليهـا «ظـالمين» سـياطَنا فطـارت بهـا أيـدٍ سـراعٌ وأرجـلٌ

فقوله : « ظالمين » تكميل دفع به توهم أنها بليدة تستحق الضرب .

٢) أن تقع آخر الكلام،كقولـه:﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **[المائدة/٥٤]** [١]

نماذج من التكميل فى السورة

قولـــه تعـــالى : ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ **[القصص/٧]**

قولـه تعـالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ **[القصص/١٠]**

قوله تعالى : ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ **[القصص/٢٣]**

قولـه تعالى : ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ **[القصص/٢٥]**

قوله تعالى : ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ **[القصص/٣٢]**

قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ **[القصص/٤٧]**

قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ **[القصص/٥٦]**

قوله تعالى : ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **[القصص/٥٨]**

قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ **[القصص/٦٤]**

---

(١) المراغى . علوم البلاغة . (١/١٩٥ . ١٩٦) .

obeikandl.com

قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ **[القصص/٦٨]**

قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ **[القصص/٧٦]**

قولـــــه تعـــــالى : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ **[القصص/٧٧]**

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ **[القصص/٨٨]**

٩)التتميم :

وهو زيادةُ فضلة ، كمفعول أو حال ، أو تمييز ، أو جار ومجرور، تُوجِدُ فى المعنى حسناً، بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً [١].

قال السيوطى : وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة، كالمبالغة فى قوله : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان/٨] ، أى : مع حب الطعام ، أى : اشتهائه ، فإن الإطعام حينئذٍ أبلغ وأكثر أجراً ، ومثله : ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة/١٧٧]، وقوله : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ [طه/١٢٢] ، فقوله : ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تتميم فى غاية الحسن [٢].

من صور التتميم فى السورة

قوله تعالى : ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ **[القصص/٣]**

قولـــه تعـــالى :﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ **[القصص/٩] ومعلوم أن اتخاذه ولداً آكد فى النفع لهما ، لأن غالب حال الولد النفع .**

قوله تعالى : ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ **[القصص/١١]**

قوله تعالى : ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ﴾ **[القصص/١٢]**

قوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ **[القصص/٢١]**

قوله تعالى : ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ **[القصص/٢٣]**

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ **[القصص/٣٦] ، الآيات من الله بينة واضحة ، سيَّما إذا أضيفت إلى الله – عز وجل– ثم جاءت كلمة " بينات " لتتم المعنى .**

---

(١) الهاشمى . جواهر البلاغة . (١٧٢) .

(٢) السيوطى . الإتقان . (٤٠٤) .

قولـــــه تعـــــالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ **[القصص/٥٠]**

قوله تعالى : ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾ **[القصص/٥٣]**

قوله تعالى : ﴿حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ **[القصص/٥٧]**

قولـه تعـالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ **[القصص/٥٨] ، ومعلـوم أنهـا لا تُهْلَكُ إلا لبطر أهلها ، وهو ما تممته الجملة بعدها .**

قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ **[القصص/٥٩]**

١٠) التوشيع

وهو أن يؤتى فى آخر الكلام بمثنى مفسَّر بمفردين ، ليُرى المعنى فى صورتين ، تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو : العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان (١).

من صور التوشيع فى السورة

قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ **[القصص/١٥]**

١١) التعليل

قال السيوطى : وفائدته التقرير والأبلغية، فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعلّلة من غيرها ، وغالب التعليل فى القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى .

وحروفه : اللام ، وإنْ ، وأنَّ ، وأنْ ، وإذ ، والباء ، وكى ، ومن ، ولعل . ومما يتقضى التعليل لفظ « الحكمة » ، كقوله : ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ **[القمر /٥]**

وذكر الغاية من الخلق نحو قوله : ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ **[البقرة/٢٢] وقوله :** ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ **[النبأ/٦، ٧]** (٢).

من صور التعليل فى السورة

قولـــــه تعـــــالى :﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ **[القصص/٤]**

---

(١) **الهاشمى . جواهر البلاغة . (١٦٩) .**

(٢) **السيوطى . الإتقان . ص (٤٠٥) بتصرف – وانظر : معترك الأقران (١ / ٢٨٢) .**

obeikandl.com

قوله تعالى : ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ **[القصص/٩]**

قولـــه تعـــالى : ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ **[القصص/١٣]**

قوله تعالى : ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ **[القصص/١٥]**

قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[القصص/١٦]**

وهذا كقوله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

واستدل بها السيوطى فى مقام الاستدلال بمعنى التعليل فى (إنّ) [1].

قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ **[القصص/ ١٧]**

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ **[القصص/ ٢٠]**

قولـــه تعـــالى : ﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[القصص/ ٢٥]**

والتعليل الأخير هو ذكر الغاية ، وهى النجاة من القوم الظالمين .

الآية : (٢٦) قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾

التعليل فى الآية لذكر السبب والعلة .

(٣١) قوله تعالى : ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾

(٣٤)قولـه تعـالى:﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾**والتعليـل لـذكر العلة**

(٥٣) قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾

(٥٤) قوله تعالى : ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾

(٧٣) قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(٧٦) قوله تعالى : ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾

(٧٧) قوله تعالى : ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ .

---

(1) انظر: السيوطى . الإتقان . ص (٢٢٩) .

obeikandl.com

أكتفى فى هذا البحث بهذه الأنواع من الإطناب، خشية الإطالة، بيد أننى كنت أودّ ذكر (الإيغال) بجوار الأنواع السابقة ، ولكن آثرت أن أتكلم عنه فى الفصل الخامس فى مبحث (أنواع الفواصل) .

obeikandl.com